مجلة الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة
قيمة الاشتراك فى اثنى عشر عددا ... ... ١٥ قرشا
ترسل إذن بريد أما طوابع البريد فلا تقبل

ليس للمجلة وكلاء ولا محصلون

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس مواد العدد

الموضوع

		صفحة
مهمة المصلح الاجتماعى	أحمد لطفى السيد باشا	٣
على أبواب المستقبل	محمد على علوبه باشا	٧
موارد مصر الطبيعية	توفيق دوس باشا	١٠
أدمة الموظف	على جمال الدين باشا	٢٢
ضرورة التواص بالإصلاح الاجتماعى	محمد العشماوى بك	٢٦
ثروتنا الحقيقية أيضا	الأستاذ محمد توفيق دياب	٣١
الشاب الأمثل مصطفى كامل	عبدالرحمن الرافعى بك	٣٦
الثروة القومية	الأستاذ عبد المجيد نافع	٤٠
بين القول والعمل	الدكتور ابراهيم مدكور	٤٥
البلح الشائعة	الشيخ محمود شلتوت	٤٩
الزواج بالأجنبيات		٥٤
أشبان المصريون ووظائف الشركات الأجنبية	الأستاذ راضى أبو سيف راضى بك	٥٧
الى المجد (قصيدة)	الأستاذ فؤاد بليبل	٦٢
الشاب المصرى يدرس للشهادة لا للعلم		٦٤
جيل حائر	الأستاذ سيد قطب	٦٦
مصر فى عهدها الجديد	الآنسة ابنة الشاطئ	٧١
الدعامات الهامة للأمم الديمقراطية	الأستاذ سلامه موسى	٧٣
البلدية وسيلة من وسائل التربية العامة	الأستاذ براهيم البلبان	٧٧
الغام البغام وإلغاء البغايا	الأستاذ س . ق .	٨١
فى ملاجئ العجزة والمعوزين	الأستاذ م . محمد عبد الكريم	٨٦
الجمهور المتساءل		٩٤
الأدبية المصرية	الآنسة حميدة قطب	٩٧
بابدد ناول		٩٩
الأمراض الوبائية	وزارة الصحة	١٠٢
الذكاء وقيمته الاجتماعية		١٠٦
لوسائل العلمية لمعالجة الإجرام	الأستاذ س . م	١٠٩
ترقية العائلات الريفية		١١١
متفرقات الجمعية		١١٣

مهمة المصلح الاجتماعي

بقلم حضرة صاحب السعادة أحمد لطفي السيد باشا
مدير جامعة فؤاد الأول والعضو بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

٣ — العائلة :

جريا على ما جرى عليه العرف العام في بلادنا ، نطلق لفظ " العائلة " على الرجل وزوجه وولده ليس غير . ولقد يكون في هذا تضييق لمعنى العائلة في العرف العام ، ولكن حجتنا في ذلك أننا نحرص على أن نعيّن تعيينا حدود العائلة ، تلك الوحدة الاجتماعية غير القابلة للتجزئة التي تؤلف الأسرة ، ومن الأسر تتألف القرية ، ومن القرى والمدن تتألف الدولة . نعيّنها هكذا لنجعلها وحدة بالوضع كما هي وحدة بالطبع ، الطبع أنشأها إنشاء ثم نظمها الاجتماع تنظيما تناوله التطور منذ النشأة الأولى .

كانت العائلة في كل حلقة من سلسلة تطوراتها ولا تزال إلى اليوم مركزا للعصبية ، ومظهرا للمودّة والرحمة ، ومهدا للتربية الوطنية ، ومصدرا للتضامن القومي . فهي بهذه الخصائص جميعها يجب أن تشغل المحل الأول من مهمة المصلح الاجتماعي ، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بتأليفها أم بحفظها وسعادتها .

أما فيما يتعلق بتأليف العائلة وحقوق الزوجين وواجباتهما وسلطة رب العائلة فقد انتهى تطوّرها عندنا إلى ما قررته الشريعة الاسلامية . وقد شهدنا أن لهذه الروابط العائلية تلابسها القسوة المنكرة في أزمان الاستبداد ، وتشملها المودّة والرحمة والتسامح في أزمان الحرية . وليست هذه الروابط في أصولها بحاجة إلى المصلح الاجتماعي ، وان كانت قد تحتاج اليه في بعض الأشكال التي يندرج أمرها تحت ما يسمونه " السياسة الشرعية " كتحديد سن الزواج ، واشتراط خلو الزوجين من الأمراض ، والفروق في مدلولات الكفاءة ، والموانع التي تخل بالغرض الأول من العائلة الخصبية . . . . . إلى غير ذلك مما تقضي به حاجات الارتقاء .

لا أنكر أن العائلة كغيرها من الظواهر الاجتماعية محل للتطور المستمر ، ولكني مع ذلك لا أرى في القواعد المقررة لنظام العائلة في الشريعة ما يعيق هذا التطور إلى الآن . بل أرى فيها من المرونة ما يجعل هذا النظام يساير الارتقاء الاجتماعي في كل خطواته من غير حاجة إلى أن يتناول المصلحون بالتعديل تلك الحقوق التي قررها الكتاب والسنة والتي جرت

ها تاليد منذ بضعة عشر قرنا . من أجل ذلك لم ترتلك الضرورة الملجئة لمشروع القانون الذى يرد به التضييق على الرجل فيما أحل الله له من زواج أكثر من الواحدة ، والتضييق عليه فى تطليق زوجته . فإن الأغراض الشريفة التى قصد اليها من هذا التشريع سيحققها التطور دون هذا المشروع . وفى هذه المناسبة نكرر أن المصلح الاجتماعى لا ينبغى أن يستعين بالتشريع على تعجل التطور إلا إذا كان تشريعه الاجتماعى ضروريا يتقبله الناس ولا يشق عليهم احتماله .

وهذا التشريع ليس ضروريا ، لأن ميول الناس عندنا قد تطورت لأسباب اجتماعية واقتصادية إلى حد أنه لن يمضى قليل من الزمان حتى يقضى نهائيا على تعدد الزوجات . فقد قاربت نسبة المتزوجين بأكثر من واحدة إلى نسبة المتزوجين ٣ ٪ وكسرا صغيرا فى تعداد سنة ١٩٣٧ ، وقد كانت فى تعداد سنة ١٩٢٧ ٥ ٪ إلا قليلا . وفى الحالين ليس هذا العدد القليل مما يستحق أن يتدخل به الشارع ولا أن يدّعى أن هناك ضرورة اقتضته .

على أن هذا المشروع ليس مما يحتمله الناس من غير مشقة . وأذكر ، على أثر مناقشة دارت حول هذا المشروع بعينه سنة ١٩٢٦ ، أن حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا أكمل استفتاء أهل دائرته الانتخابية وكان على أهبة السفر للجولة الانتخابية وقتئذ . فلما عاد من الانتخاب قال إن هذا المشروع لم ينل صوتا واحدا فى الاستفتاء . فهل يمكن أن يقال إن تشريعا هذا رأى الناس فيه يمكن أن يحتملوه خصوصا متى ظهر أنه لا ضرورة له البتة؟

أولى بالمصلح الاجتماعى ، عوضا عن هذا المشروع ضئيل الثمرات كثير الأشواك ، أن يعمد إلى اصلاح العائلة من حيث سلامتها وخصبها لتقوم على خير وجه بالغرض الذى وجدت من أجله .

ونحن نعلم أن ثلاثة أرباع المصريين مرضى بالأمراض الطفيلية ، البلهارسيا والانكستوما والملاريا ، أى أن ثلاثة أرباع عائلاتنا أو ثلاثة أرباع كل عائلة مرضى لا يحسنون القيام بالأعمال الجثمانية ولا بالأعمال العقلية . وقد حادثت فى هذا الشأن الخطير المشتغلين بالطفليات والمشتغلين بمسألة التغذية القومية وعلى الخصوص الدكتور محمد خليل بك عبد الخالق أستاذ الطفيليات والدكتور على بك حسن أستاذ علم الأغذية وبلغت هذه النتيجة : أن هذه الأمراض قد أثرت فعلا فى كفاءة المنتجين الزراعيين حتى قيل لى إن المستر براون أمر محفر قناة بنكلترا وأخرى مثلها فى مصر فكانت نفقة هذا العمل فى انكلترا أقل منها فى مصر مع ما نعلم من أن أجرة العامل الانكليزى أضعاف أجرة العامل المصرى .

إن هذه الأمراض ذات الأثر السيئ فى الإنتاج العقلى كما هى ذات أثر سيئ فى الإنتاج المادى ليس ممتنعا استئصالها ، وعلماؤنا يعلمون كيف يستأصلونها متى توجهت رغبة صادقة

من الحكومة ومن البرلمان إلى هذا الشأن الخطير . لست أنكر أن الحكومة تقوم بمجهودات فى هذا السبيل ولكنى لا أنكر أيضا أن هذه المجهودات ليست متناسبة أية نسبة معقولة مع ما يجب على المصلح الاجتماعى من أن يجعل كل همه سلامة العائلة المصرية قبل كل شىء .

هـذان العالمـان اللذان ذكرتهما متفقان على أن جودة التغذية ، إذا أمكن تدبيرها ، لا تستطيع شيئا كثيرا فى ردّ قوى الناس اليهم ما داموا مصابين بتلك الأمراض الطفيلية ، ومتفقان على أن أهم الأسباب لتفشى هذه الأمراض هو الرى المستمر أو الرى بالراحة وزراعة الأرز فى كل مكان ، ويستدلان على ذلك بأن المصابين بالبلهارسيا فى مناطق رى الحياض ٥٪ من السكان ، فى حين أن المصابين بها من سكان مناطق الرى الدائم ٧٥٪ .

وهنا ألمح عقبة اقتصادية ربما تقوم عائقا فى سبيل استقصاء هذه الأمراض فأتوجه إلى رجالنا الاقتصاديين علهم يستطيعون التوفيق بين طرائق استئصال تلك الأمراض و بين الاحتفاظ بمستوى معقول للإنتاج الزراعى . ولا شك فى أن التعجيل بهذا البحث يجب أن يشغل المصلح الاجتماعى كما يشغل رب العائلة أن يكون ثلاثة أرباع أولاده مرضى فى حاجة إلى عاجل من العلاج .

هذا من ناحية سلامة العائلة . وأما من ناحية خصبها فهنالك رأيان مع اتفاقهما على الفائدة الاجتماعية من وجود العائلات الخصيبة ، وأنها هى التى تجمع بين فضائل التربية والتعاون والنجاح والسعادة ، فإنهما يختلفان فى الوسيلة إلى ذلك .

يرى أحد المذهبين أن يكون للعائلة مال ثابت لا يجوز التصرف فيه ولا تجوز قسمته ولا يجوز الحجز عليه . كذلك يقضى هذا المذهب بتحرير الوصية من كل قيد .

ويرى المذهب الثانى ألا يعتمد فى بلوغ الأغراض التى ذكرناها للعائلة الخصيبة على إرث الملكية العائلية ، بل يعتمد لبلوغ تلك الأغراض على تنظيم التصليف وعلى جماعات التعاون وعلى تنظيم التعليم الفنى والصناعى . وعنده أن المستقبل ليس للملاك ولا للرأسماليين بل للزراع المستأجرين والمهندسين والتجار ورجال الأعمال وبالجملة أرباب الفطن من العاملين .

أما نحن فإننا أمة زراعية على الخصوص ، ينبغى عندنا للمحافظة على خصب العائلة أن يكون للعائلة دار وملكية زراعية تكون ميدانا لنشاطها ومظهرا لكرامتها وتضامنها . هذا الوضع هو الذى يحلم به كل زارع . غير أن هذه الملكية سيفتتها الارث فتًّا فى قليل أو كثير من الزمان . كذلك تحرير الوصية من القيود قد لا يفيد إلا حرية رب العائلة فى التصرف فى ملكه لأحد الورثة أو تميزه على غيره ولكنه لا ينتج آخر الأمر شيئا لأنه يتضامل بالارث ، وعلى ذلك فالتشبث بحفظ ملك للعائلة أو لاسم العائلة جهد ضائع وإسحاف لا فائدة منه .

أولى الأشياء ألا نعتمد فى شىء من حفظ العائلة وخصبها على التشريع فى المواريث والوصية وتضييق التعامل فى ملكية العائلة . بل ينبغى أن نترك لعمل الأفراد وبجهودهم الشخصية طرائق كسب الملكية التى لا شك فى أنها قوام العائلة الزراعية . ولكن من جهة أخرى ينبغى أن نعالج ذلك بالتوسيع على الزراع ، وتكثير الملكيات الصغيرة فى هذا الزمان على الأقل. وطريق ذلك أن تنزل الحكومة عما فى يدها من الأراضى الزراعية للزراع الذين لا يملكون شيئا أو الذين فى حكمهم من ملاك القراريط ، انتظارا لما سوف يقوم به المصلح الاجتماعى من إعداد الوسائل لإصلاح كل أرض قابلة للزراعة وتوزيعها أيضا على الزراع . وأظن أن هذا هى أقرب الطرق لإيجاد الملكيات الصغيرة التى ترفع مستوى المعيشة فى البيئات الزراعية الفقيرة حتى يمكن أن يوجد حد مشترك فى العيش بين الموسرين وغير الموسرين .

قد يقال إن الملكيات الصغيرة عائق فى سبيل الرقى الزراعى . ليكن ذلك . ولكن الفائدة التى نجنيها من زيادة الحاصلات زيادة نسبية لا يمكن أن توازى ما تجدى الملكية على حرية العائلة واستقلالها وخصبها وكرامتها .

تلك معان نحن أحوج ما نكون الى تحققها فى نهضتنا الحاضرة من الوجهة الاجتماعية . وينبغى أن يلاحظ فى هذا المقام أن الملكيات الصغيرة أمان من المذاهب الاشتراكية التى تقضى أصولها العلمية بمحو الملكية والميراث وهدم أركان العائلة من أساسها .

أحمد لطفى السيد

رجاء من حضرات المشتركين

إدارة مجلة الشؤون الاجتماعية ترجو من كل مشترك سدد قيمة اشتراكه ولم يتسلم إيصالا موقعا عليه من مدير المجلة أن يبادر الى إخطارها بذلك ما

على أبواب المستقبل

لحضرة صاحب السعادة الأستاذ محمد على علوبة باشا

إن بلادنا المصرية، وقد نعمت بظلال الحرية والاستقلال، تكاد تكون بلدا بكرا يؤتى أطيب الثمرات إذا شمر أبناء الوطن عن ساعد الجد وفتحوا عيونهم للحياة وما فيها من خير و بركة.

وإن هذا المستقبل الذى نرجو أن تعيش مصر فيه عزيزة الجانب موفورة الكرامة يحدونا إلى أن ننظر إلى حاضرنا، وأن نتعرف هذا الحاضر، حتى نرسم لمستقبلنا نهجا قويما يرفع من شأننا ونبلغ به أوج العظمة والمجد .

إنى قوى التفاؤل بالمستقبل، وإن كنت أرى فى الحاضر سحبا كثيفة يجدر بنا أن نبدد غياهبها بما يجب علينا من نشاط وجد ، وعزم وإيمان ، وقد كان غيرنا فى مثل حالنا ولكنه فكر ودبر ، وأحسن التفكير والتدبير ، وعمل وواصل العمل ، فوصل إلى غايته من النجاح والتوفيق .

وها نحن أولاء لا نزال فى دور التفكير والتدبير، ولا ينقصنا إلا العمل والمثابرة والاخلاص والتضامن . و إذا نحن أخذنا بهذه الأسباب بلغنا ما يصبو اليه الوطن من رفعة وعز ورقى .

إن من المؤلم أن تضيق مصر بأهليها، فقد وصل عدد السكان الان إلى ما يقرب من سبعة عشر مليونا بعد أن كانوا فى سنة ١٨٨٢ أقل من تسعة ملايين ، ولا تزال المواليد فى كثرة متواصلة ، حتى أصبحت مصر أكثر بلاد العالم نسلا وأخذ عددها يتضاعف كل خمسين سنة تقريبا رغم ارتفاع نسبة الوفيات . والأراضى المزرعة وهى ثروتنا الأساسية، أقل من خمسة ملايين ونصف مليون من الأفدنة . وهذه المساحة لا تكفى لتغذية هذا العدد الهائل من السكان . ولقد أصبح نصيب الفرد المصرى من الدخل الأهلى أقل من تسعة جنيهات فى السنة ، بينما وصل فى الأمم الأخرى الى ستين وثمانين جنيها . وهذه حال لا تساعد على إنهاض الفرد ليعمل ويدخر ، وصار الفلاح فى وقتنا الحاضر جائعا ضعيف الإنتاج ضعيف التفكير ضعيف الجسم ، وفتكت به الأمراض العديدة فتكا ذريعا . فلا تزال البلهارسيا والانكلستوما والرمد وغيرها من الأمراض تجد فى أجسام المصريين مرتعا خصيبا ، ولا تزال نقضوم هذه الأمراض ولم نصل بعد الى غلبتها أو حصر أخطارها . وقد يبدو عجيبا غريبا أن تعرف — أيها المصرى — أن نسبة اللائقين فى الجندية نحو ٢٢ ٪ بين المقترعين . والتعليم فى هذا البلد شأنه غريب . فبينما نشكو من قلة المتعلمين وضآلة

نسبة عددهم ضئيلة لا تتفق وعصرنا الحاضر ، وليس فينا عدد يذكر من الاخصائيين في العلوم والفنون التي عليها مدار الحياة والكفاح في هذا العصر ، بينما نشكو من هذا نشكو في الوقت نفسه من تلك الأزمة التي ظهرت في بلادنا ، وهي أزمة المتعلمين المتعطلين . فرأينا إذن أن نلتمس التعليم وهو حق وطني لكل فرد ، ضعفت البلاد ، واذ سعينا في نشره تقويت أزمة المتعلمين في بلادنا وكان نشره سببا في إيجاد مشكلة اجتماعية خطيرة .

هذا الوضع الغريب في ذاته طبيعي في بلادنا ، لأننا اعتمدنا على الزراعة وحدها ، ولم نفكر تفكيرا جديا متواصلا في إيجاد أبواب رزق أخرى .

ومن الوجهة العسكرية لا تزال في حال لا تحقق أطماعنا ، أليس لنا جيش يليق بمركز بلادنا ويناسب عدد سكانها ووضعها الجغرافي ومستقبلها الذي نرجوه .

ومصر مركز ممتاز بين أخواتها الأمم العربية والإسلامية ، حتى لقد أصبحت تلك الأمم ترحب بزعامة مصر وترجو من وراء ذلك للجميع خيرا .

ولكن مصر وإن ساهمت في هذا المضمار بما ساهمت لم تخط خطوات كبيرة ، ولم تزل أعباء هذه الزعامة جميع وسائلها الفعالة ولم تستثمر هذه القوى المعنوية والأدبية لخيرها وخير تلك الأمم جمعاء بل لخير الانسانية التي ترجو أن تستظل بظلال مبادئنا وتقاليدنا وعقائدنا وما فيها من خير وبر ، وعدل وسلام .

هذا حاضرنا في وجهه السافر ، أما المستقبل فانه يجب علينا أن ننظر اليه بمنظار عملي سليم .

علينا وقد ضاقت بنا الأرض وأصبحنا كثرة أن نعمل على رفع مستوى المعيشة ، ولن يتحقق ذلك إلا بتعاون الأمة والحكومة معا على إيجاد أبواب رزق أخرى ، كما فعل غيرنا ، وأهمها التجارة والصناعة ، ولاسيما صناعات المعادن والكهرباء والكيمياء ، وأن نوجد من المصريين مصدرين ممتازين ، وأن تنشئ المصارف الوطنية لكل فرع من فروع الحياة الصناعية والزراعية والتجارية ، وأن تساهم الحكومة بما لديها من وسائل في مساعدة الأفراد ومشاركتهم في كل هذه الفروع ، وأن تهيئ بلادنا لتكون مشتى للسائحين جديرا بمصر ، ومصيفا لنا على الأقل نحن المصريين ، وأن نبادر بأقصى جهد الى إصلاح الأراضي البور وتوزيعها على صغار الفلاحين وهم المزارعون الفعليون المتخرجون من المدارس الزراعية .

اذا فعلنا ذلك وتعاونت الأمة والحكومة في هذا المضمار أمكننا أن نخلق جيلا جديدا ، وأمكننا أن نمنع الفقر ، وفي هذا المنع منع للأمراض ومساعدة على حفظ الصحة في المدن والقرى . وقد عملت وزارتا الصحة والشؤون الاجتماعية على رفع شأن الفلاح والعامل والعناية بصحتهما وعيشهما وراحتهما . ولكني أرى أن النجاح متوقف على عاملين أساسيين : أولهما تمكين وزارتي الصحة والشؤون الاجتماعية تمكينا ماليا حتى يتما مشروعاتهما الهامة

فيما يختص بالوقاية قبل العلاج . فان أساس الصحة فى البلد وقايته من المرض قبل حلوله . الوقاية بنظافة المسكن ، ونظافة الملبس ، ونظافة الماء ، ومناعة الجسم بحسن الغذاء وكفايته . وثانيهما نشر التعليم بين أفراد الشعب حتى يفهموا معنى الوقاية ، ويأخذوا أنفسهم بوسائلها العديدة المختلفة .

علينا أن ننشر التعليم ، ولا سيما الزراعى والصناعى والتجارى ، وإن من أعز أمانينا أن يكون الشعب كله متعلما ، ولا خطر علينا إذا تعلم الشعب كله ما دام قد اتسع أمامنا المجال الاقتصادى وتفتحت وسائل العيش وساهما فى مضمار الصناعة والتجارة بأوفى نصيب ، وعملنا على تمصير الشركات القائمة ببلدنا ، وجعل اللغة العربية لغتها الأساسية فيها جميعا .

وإن من السهل علينا وقد كافحنا الفقر والمرض والجهل أن نخلق الجيل فتيا ، وأن ننشئ جيشا قويا كامل العدة والعدد يذود عن الوطن عوادى الزمن .

بهذا نكون جديرين بتلك الزعامة العربية والإسلامية فنصون ما لإخواننا وحيرتنا من حقوق ، ونغذى هذه الأواصر التى تجمعنا ، ونوحد بين صفوفنا حتى نصبح جميعا كجسم واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر .

اذا تمكنا من هذا كله ، وليس فى ذلك الأمر مستحيل كان المستقبل عامرا زاهرا يبشر بالخير و بلوغ الآمال . فقد قامت أمم مثلنا كانت حالها كحالنا بنهضة قوية وأعمال جبارة فوصلت إلى ما ترجوه من نمو وفلاح .

وإن التاريخ الاقتصادى لليابان وايطاليا وسويسره وغيرها لؤكد أن التنظيم فى العمل ، وبذل الجهد فى إيجاد نسل صالح ، والتعليم الفنى المنتج رغم قلة المواد الأولية — كل ذلك يؤدى إلى نمو البلاد ورفعتها وسؤددها .

ومصر والحمد لله ، بفضل موقعها الجغرافى الممتاز وما فيها من مواد أولية وأيد تطلب العمل ، وبفضل تعاون الأمة والحكومة ، وبفضل رعاية المليكا وحدبه ترجو أن تتبوأ مقعد صدق بين الأمم على قواعد ثابتة من العلم والعمل والإخلاص والإيمان .

إن المستقبل بأيدى أبنائها فلتكونن جميعا على أن نبنى لبلادنا المجد ولنعمل جميعا متضامنين مخلصين ، والله عز وجل يتولانا بعونه إنه نعم المولى ونعم النصير .

محمد على علوبة

موارد مصر الطبيعية

وكيف نستطيع تنميتها للنهوض بمستوانا الاقتصادى

لحضرة صاحب السعادة توفيق دوس باشا

"الراغبون فى الاصلاح كثيرون ، والمشفقون على مصر والباكون مما وصلت اليه حالها كثيرون . ولكن ينقصنا الطبيب العالم الخبير الذى يأخذ بأصبعنا فيضعها على مكمن الداء ثم يأخذ بها فيضعها على مكان الدواء ويقول : هذا داؤكم وهذا دواؤكم ؛ وهذا طريق الموت وهذا طريق الشفاء .

ولقد وجدنا هذا الطبيب العالم الخبير فى حضرة صاحب السعادة الأستاذ الجليل توفيق دوس باشا لما وقف فى الحادى والثلاثين من يناير الماضى بالجامعة الأمريكية يحاضرنا فى موضوع موارد مصر الطبيعية وفى طرق تنميتها ابتغاء مكافحة الفقر فى بلادنا والقضاء عليه . وإنه ليسرنا أن ننشر هذه المحاضرة النافعة بنصها كاملا ، شاكرين لسعادته ذلك البناء الطيب الذى أفاضه على وزارة الشؤون الاجتماعية ومجلتها"

المحرر

سيداتى سادتى :

أشكر للجامعة الأمريكية عنايتها بشؤون مصر الاجتماعية فوق عنايتها بشؤون التربية والتعليم . فالحق أن هذا المعهد العظيم الذى يتولى أمر عدد وفير من أبنائنا فيلقنهم علما نافعا وينبتهم نباتا حسنا لم يقف فضله عند هذه الخدمة الجليلة بل لقد أضاف إليها فضلا آخر هو فسح المجال فى داره هذه لبحث أحوال مصر العامة وترقية ثقافتها والنهوض بمستواها الفكرى .

وإن هذا الشكر ليتزايد كلما ذكرت أن وزارة الشؤون الاجتماعية لم تكد تنشأ وتبدأ عملها حتى تطوعت هذه الجامعة تطوعا كريما لأن تكون اداة من أدوات دعوتها إلى الإصلاح فاشتركت معها فى تنظيم مواسم للمحاضرات الاجتماعية يتعاقب فيها على هذا المنبر بفضل خيرة العلماء والباحثين وصفوة الخطباء والمفكرين عارضين مختلف شؤون حياتنا القومية ملتمسين صنوف العلاج لأدواء مجتمعنا المصرى بحيث صار هذا المنبر من أنفع وأفضل منابر الدعوة الإصلاحية فى هذه البلاد .

وإنى إذ أوجه الشكر إلى الجامعة الأمريكية إنما أوجه مثله إلى وزارة الشؤون الاجتماعية التى أحست حاجة الشعب إلى من يصور له فضائله وعيوبه وينبهه إلى وجوب تنمية تلك الفضائل والاستزادة منها وإلى وجوب تدارك هذه العيوب والبعد عنها، فعمدت إلى تنسيق مواسم المحاضرات وتوجيهها واختيار موضوعاتها وخطبائها . وهى بذلك قد أصابت ثلاثة أهداف سامية فى وقت واحد : أيقظت الضمير الاجتماعى فى نفوس أهل الرأى وحملة الأقلام من أبناء هذا البلد وبعثت فيهم شعورا بأن عليهم لأمتهم واجب النصح والإرشاد وتفتيح الأذهان إلى ما يجب وما لا يجب فهرعوا إلى هذه القاعة وإلى محطة الاذاعة اللاسلكية ملبين دعوتها بل ملبين دعاء هذا الواجب الوطنى العظيم ثم هيأت لطلاب الإصلاح وهواة العلم والثقافة موردا سائغا ينهلون منه خلاصات ماوصل إليه التفكير وأدت إليه التجارب والبحوث . ثم هيأت للشباب مواضيع جديدة للتأمل والتدبر إن لم يتبينوا اليوم مرماها وكنهها فلا أقل من أن يصوبوا إليها نور عقولهم ويلوكوها فى أحاديثهم ويتخذوها مادة للحوار والسمر فيما بينهم، وبذلك ينصرفون عن التلهى بالسفاسف الشخصية والمهاترات الحزبية وما قال زيد فى عمرو وما قال عمرو فى زيد إلى الاشتغال بحالة مصر الاجتماعية وشؤونها القومية ومحاولة المساهمة ولو بمجرد الاهتمام فيما يصلح هذه الأحوال والشؤون .

وتلك بلا شك نتيجة سارة أهنئ بها الوزارة الناشئة ، وأرجو لها المضى فى هذا السبيل حتى ترفع مستوى الشعور بالواجب ومستوى التفكير ومستوى الحديث فى هذه البلاد . ولا يفوتنى فى هذه المناسبة أن أنوه بفضل هذه الوزارة فى إنشائها مجلة الشؤون الاجتماعية لهذا الغرض السامى وإسناد رياسة تحريرها لكاتب من أكفأ الكتاب وأكثرهم خبرة مما نرجو للمجلة على يديه أن تنتج أثرها المطلوب بين عامة الشعب قبل خاصته .

سيداتى . سادتى

أجمع الذين فكروا فى علل مصر الاجتماعية على أن هذه العلل وإن تعددت أشكالها واختلفت أسماؤها ترجع كلها إلى أسباب رئيسية ثلاثة : وهى الجهل والفقر والمرض .

أما أنا فأرى أن المصيبة الكبرى والبأوى الأساسية إنما هى الفقر . الفقر وحده .

أما الجهل والمرض فما هما سوى عرضين من أعراض تلك العلة الكبرى ، أو ظاهرين من ظواهر تلك الآفة المهلكة، تبرأ الأمة منهما بحكم التبعية إذا هى عرفت كيف تبرأ منها .

لماذا لا يتعلم الشعب ؟

— لان التعليم غير منتشر .

ولماذا لا ينتشر التعليم ؟

— لأن الشعب فقير والدولة فقيرة .

ثم لماذا لا يصح الشعب وتقوى قواه ؟

— لأن وسائل الوقاية والعلاج ناقصة .

ولماذا لا تستكمل أسباب الوقاية والعلاج ؟

— لأن الشعب فقير والدولة فقيرة .

الفقر إذن هو جماع العلل ومصدرها . ولو حصرنا جميع أدوائنا الاجتماعية فى إطار لرأينا شبح الفقر المخيف يطل من وراء هذا الإطار ويحتضنه ويكاد ينطق بلسان الحال قائلا " ما كان أغناكم عن كل هذا لو أنكم اكتفيتم بى وعنيتم بأمرى " .

وإذن فمن العبث المطلق بل من باب محاولة المستحيل أن نطمع فى تحقيق أى إصلاح قبل أن نعالج مشكلة الفقر فى بلادنا وقبل أن نصل فيها إلى حل .

ولكن كيف نعالج مشكلة الفقر ؟

لا أريد أن أدخل فى بحث فقهى أتناول به ماضى هذه المشكلة وحاضرها ومستقبلها ، ولا أن أعرض لما قال علماء الاجتماع فى أسبابها ونتائجها وتطوراتها ، ولا أن أجركم ورائى الى رحلة أدبية طويلة تتوه فيها العقول وتتشعب الآراء ثم نعود منها فاذا بنا نصطدم بالعقبة ذاتها ونتساءل — نعم .... ولكن كيف نعالج مشكلة الفقر ؟

لذلك أرجو أن تسمحوا لى بأن أصل الى الجواب على هذا السؤال من أقصر طريق وأن أقول لكم : علاج الفقر هو توفير المال .

هذا الجواب قد يبدو ساذجا يحمل بعضكم على السخرية والابتسام ، بل إنى لأكاد أسمع هذا البعض يتهامس قائلا : لقد فسرت الماء بعد الجهد بالماء . واذا كان الغنى هو علاج الفقر واذا كان توفير المال هو السبيل الى الغنى فما السبيل إلى توفير المال !

آه . لقد وصلنا إلى لب المسألة وبلغنا منها الصميم .

كيف نوفر المال . هذا ما جئت لأحدثكم فيه . توفر المال بتنمية مواردنا الطبيعية من جميع وجوهها . وهذا ما يجب أن يظل حديث المفكرين والمصلحين . ومن العبث أن تستكمل مصر من ظواهر المدنية والحضارة ما تشاء ، وأن تنعم من أشكال النظم الحكومية والبرلمانية بما تشاء ، فإن كل هذا سيظل صورا خادعة ومظاهر كاذبة ما دام الشعب فقيرا لا يقوى على تعليم نفسه وإبراء جسمه للنهوض بما تفرضه عليه الحياة الحقة من تكاليف وأعباء .

لكى نستطيع أن نوفر المال وبعبارة أصح لكى نستطيع أن نغنى الشعب يجب أن نعنى بالموارد الطبيعية فى بلادنا ، ننمى المعروف منها ونستكشف المجهول حتى لايبقى منبع من منابع الرزق معطلا أو غير مستغل الى أقصى حدود الاستغلال .

سيداتى وسادتى :

لكل أمة مواردها الطبيعية تستغلها وتعيش منها . ولكن الأمم تتفاوت فيما منحتها الطبيعة من الهبات ، فبعضها غنى بثروته المعدنية ، وبعضها غنى بثروته الزراعية ، وبعضها غنى بثروته الصناعية ، وبعضها غنى بالثروة الكامنة فى أرضه وبحاره وأنهاره . ولكن التفاوت الأعظم إنما هو فيما أحب أن أسميه " الموارد البشرية " . وأقصد بالموارد البشرية اليد المدربة ، والجسم السليم ، والعقل المثقف ، والذهن المتنور المفتوح . لقد تكون سويسرا والدانمرك أقل الأقطار حظا من هبات الطبيعة ، اذ ليس فيهما فحم ولا زيوت ولا معادن ، وأرضهما الصالحة للزراعة ليست من النوع الجيد ، ولكن كلا منهما غنى بالموارد البشرية ، ومن ثم فقد صارت سويسرا من أغنى أمم الأرض نسبيا بفضل ما تخصصت فيه من الصناعات الفنية الدقيقة ، وبفضل ما انتفعت به من بحيراتها وجبالها ، إذ صيرتها مشاتى ومصائف يقصدها السياح من أقاصى الدنيا . وصارت الدانمرك من أغنى الأمم الزراعية بالرغم من أن أرضها ليست من الخصب بالمكان الذى تحسد عليه .

وفى آسيا وأفريقيا أقطار منحتها الطبيعة كنوزا من الثروات والموارد ، لكنها لفقرها فى الموارد البشرية لم تستطع استغلال تلك الكنوز .

اذكروا البترول الذى تتسابق الأمم الآن الى امتلاكه وتتزاحم الشركات على استنباطه وتتناحر الدول على حيازته واحتكاره . لقد كان هذا البترول كنزا دفينا فى الأرض منذ آلاف السنين لا يستعمله الناس لجهلهم بطرق استخراجه واستعماله . بل لعل من هذا السائل المخبوء فى قشرة الأرض حتى اليوم مايفنى أمما ، ولكن الموارد البشرية فى هذه الأمم لا تستغله بل ولا تعرفه .

أجل أيها السادة . إن الموارد البشرية هى خير وأسمى ما تملكه الأمة من الموارد الاقتصادية لأن جميع الموارد الأخرى لاقيمة لها بتاتا إلا بمقدار ماينتفع بها الانسان . وانتفاع الانسان بالشىء لا يكون إلا بالتدريب والتعلم والتثقف . وعبارة " الاقتصاد السياسى " انما تعنى فى النهاية — أو يجب أن تعنى — «الاقتصاد الإنسانى» لأن الانسان هو الذى يكسب الأشياء قيمتها .

فإذا شئنا أن نزيد ثروة بلادنا وأن نستغل تربتها ونستنبط كنوزها فالوسيلة الأولى الى ذلك هى قبل كل شيء وفرة الموارد البشرية أى وفرة الأيدى المدربة والجسوم السليمة والأذهان المثقفة لأنها هى الوسيلة الى استغلال الموارد الأخرى ؟.

فهل أيدينا مدربة على خير ما يجب أن تكون ، وهل أجسامنا سليمة على خير ما يجب أن تكون ، وهل أذهاننا مثقفة على خير ما يجب أن تكون ؟

إن الجواب على هـذه الأسئلة لا يحمل على الاغتباط ، فأيدينا لا تزال غشيمة لم تمهر فى الصناعات ، ومدارسنا الفنية على وفرتها لم تخرج لنا العدد الكافى من الصناع الذين يسدون حاجاتنا وكمالياتنا ، وحسبنا أن ندخل بيتا من بيوت الأغنياء عندنا لنجده مملوءا بآثار اليد الأوربية التى تزودنا بالأثاث الفاخر والبهريات الأنيقة والرسوم الرائعة والأقمشة التى تفتتن بجمالها السيدات .

نحن لا نزال فى حاجة إلى تدريب أيدى صناعنا حتى تصل الى حدود الابتكار والاستقلال واذا كنا قد سرنا فى هذا الطريق شوطا فلا تزال أمامنا أشواط .

ثم أجسامنا ، هذه الأجسام التى يقول عنها الدكتور عبدالواحد الوكيل بك إن كلا منها يحمل فى المتوسط ثلاثة أمراض ، ماذا نقول فيها أيها السادة ؟ .

نقول فى صراحة مؤلمة بل فى صراحة مخزية إننا لن نستطيع أن نكون أمة قادرة على الانتاج الذى يكفل لنا حياة طيبة مالم تصح أبداننا وتسلم أجسامنا .

أعود أيها السادة فأكرر — ولن أمل التكرار وأرجو ألا تملوا السماع — إن الموارد البشرية هى المقدمة والمفضلة على جميع مواردنا الاقتصادية وهى الأجدر بالعناية والاهتمام. فلتفتح الحكومة وليفتح المفكرون أعينهم على هـذه الحقيقة ويولوها ماهى جديرة به من الاعتبار .

والآن فلننظر فى سائر مواردنا :

نحن نعيش فى قطر زراعى هو — على حد تعبير هيرودوتس — هبة من النيل ، فيجب أن نجعل زراعتنا فى المقام الأول من اقتصادياتنا . ولقد مضى علينا نحو ثمانين سنة وهذه الزراعة تكاد تنحصر فى القطن ترتفع بارتفاعه وتنخفض بانخفاضه . وقد كان هذا القطن السبب الأكبر فى ثرائنا على ميـاه الرى حتى غرقنا فيها وامتلأت أجسامنا بدبدانها . ومع أن التنبه عام الى الأخطار الاقتصادية التى نتعرض لها من جراء الاعتماد على محصول واحد فإننا مازلنا متعلقين بالقطن كما يتعلق المحب بالمعشوقة المتقلبة الغـادرة تنكبه المرة بعد المرة ولكنه يعود اليها طائعا متوسلا .

ونحن نستورد من الخارج محاصيل ومنتجات زراعية كان فى مستطاعنا الاستغناء عنها لو أننا عنينا بإنتاجها فى أرضنا بدلا من الانكباب على زراعة القطن . أجل نحن نستورد أصنافا مختلفة من الجبن والنبيذ والفاكهة والبقول والخضر المحفوظة بل نستورد الصوف والحرير وكل هذه الأشياء يمكن انتاجها فى بلادنا .

فمناخنا الذى يختلف طراوة وحرارة من أسوان إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط يليق كل اللياقة لصنع الأصناف المختلفة من الجبن . والمراعى الواسعة فى شمال الدلتا وكسب القطن الدسم يكفيان غذاء لماشية اللبن التى تستطيع الادرار طول العام . وعجيب حقا أن هذا الكسب الذى تخرجه محالج القطن فى مصر لا نستعمله علفا للماشية الا قليلا فى حين أن البلاد الزراعية تشتريه منا لاستعماله فى هذا الغرض ، وعجيب أيضا أن نعيش فى بلد زراعى ثم يرتفع بعض أصناف الفاكهة ارتفاعا فاحشا بل يصل الأمر فى بعض الأحايين إلى انتفائها تماما من الأسواق فى حين أنها تجود فى أرضنا ولكنا أهملنا زراعتها لأن الاتجاه العام على مدى السبعين السنة الماضية كان الاكثار من زراعة القطن وترك ما عداه . وكثيرا ما رأيت عراقيين يتعجبون من رداءة البلح المصرى و يؤكدون أن ما ينتجه نخيلهم فى العراق لا نعرف فى مصر ما يناظره حلاوة ومراءة . إن نقل الفسائل من العراق إلى مصر ليس مشكلة من المشاكل الكبرى كما أن غرس الكروم كان مما تفخر به مصر أيام الرومان والعرب . وكان إقليما الفيوم والبحيرة مغطيين بالكروم التى يؤكل عنبها وزبيبها و يستخرج منها النبيذ الذى يصدر إلى البلاد الأجنبية .

ولقد اتضح للخبراء الزراعيين أن الخضر تزكو فى بلادنا أكثر مما تزكو فيها الفاكهة ، وهى تملأ أسواقنا طول السنة ، وهذا بالطبع راجع إلى اختلاف المناخ بين الوجهين البحرى والقبلى ، فإن صيف الأول يكاد يكون شتاء الثانى ، وهذه الخضر كان يمكن أن نصدرها إلى البلاد الأجنبية لو أننا تعلمنا طريقة لفها وتغطيتها ولو أن شركات الملاحة عندنا عنيت بإدخال تعديلات يسيرة على بواخرها كإيجاد مخازن مجهزة بالثلاجات لصيانة تلك الخضر من التلف فى الطريق .

ولعلكم تضحكون عند ما تسمعون بأن الذرة الشامية ترسل من أمريكا إلى أوربا فتباع بكوالحها فى علب بعد أن تلف فى ورق من القصدير ، وهناك تعلن عنها مخازن البقالة فيقبل عليها المشترون الذين يسلقونها و يأكلونها بشغف شديد ، وأظن أنه يمكن تصديرها من هنا بل إن لدينا ما هو خير من الذرة الشامية .

لقد كنا نستورد الموالح من فلسطين والشام ، وكان للبرتقال والبطيخ اليافاوى شهرة ذائعة ، ولكن شيئا من الحزم وقليلا من التبصر نقلا بلادنا من الاستيراد إلى التصدير ، فما

كادت الحكومة المصرية تضع الحواجز الجمركية فى طريق الفاكهة الأجنبية سنة ١٩٢١ حتى ارتفعت الأصوات بالتذمر والاستهجان ، ولكن ارتفاع أثمان تلك الفاكهة بسبب ارتفاع الضريبة التى ضربت عليها فتح أعين المصريين على حقيقة كانوا يجهلونها وهى أن فى مستطاعهم الاستغناء عن تلك الفاكهة الأجنبية الغالية بفاكهة مصرية تعادلها فى النوع وتفضلها فى الثمن ، وهكذا رأينا فى العام التالى أقة الموز تهبط من اثنى عشر قرشا إلى قرشين وثلاثة قروش ، ورأينا أنواعا لذيذة من البرتقال تباع بثلث ما كنا نبتاع به البرتقال الفلسطينى ، وها نحن قد أصبحنا فى السنين الأخيرة نصدر إلى الخارج موالح من ألذ الأنواع وفى الوقت نفسه يتمتع موطننا بأنواع من البطيخ لم يكونوا يعرفونها من قبل .

وهذا الذى عملناه فيما يتعلق بالبطيخ والموز والبرتقال نستطيع أن نعمل مثله وأكثر منه فى سائر الفاكهة . ننتق لبذور الطيبة ونستوردها أول مرة ثم نستنبتها وفقا للوسائل الزراعية العلمية ثم نتعلم كيف نلفها ونحزمها ونشحنها فنمتع أنفسنا ومواطنينا بأطيب الثمار ونفيض بما نصدره منها إلى بلاد الأجنبية . وأرجو ألا تنسوا ما وافتنا به الأنباء التلغرافية منذ عامين من أن نوع المشمش المشهور باسم مشمش تيمور قد بيعت الواحدة منها فى أسواق لندره باثنى عشر شلنا ونصف شلن أى بخمسة وستين قرشا .

وما نستطيع أن نحققه من الربح فى تصدير الفاكهة نستطيع أن نحقق أكثر منه فى تصدير الخضر ومشتقات الألبان وغيرها . وسنحتاج بطبيعة الأشياء إلى الحماية الجمركية التى تقينا شر المزاحمة وإلى القليل جدا — بل القليل جدا — من المعونة المالية للتصدير . وما أظن الحكومة تبخل بذلك متى رأت أن الحركة جدية ومثمرة فى طريق النجاح .

والصوف والحرير كلاهما من المنتجات الزراعية . ونحن نربى الغنم . ولكنا نربيها لنأكل لحمها ونتمتع بالسمار الذى يتخلف عنها فقط . والواجب أن نربيها أيضا من أجل استغلال صوفها . فالصوف المصرى الذى ننسج منه الأكلمة والعباءات والزعابيط ليس طريا ولا أملس . ولذلك فهو لا يجود فى النسج . وما أظن من الصعب أن نستورد بعض السلالات الممتازة بجودة صوفها وأن نربيها ونستولدها ونبنى على أصوافها صناعة جديدة للنسج . وكذلك الشأن فى الحرير . فإن التوت الذى تتغذى منه دودة القز يجود فى الوجه البحرى كله وفى بعض أنحاء الصعيد . وتربية الدود نفسه من الصناعات الصغيرة التى تستطيع أسرة الفلاح أن تقوم بها فى غير عناء .

إن أوروبا قارة تحوى — أو كانت تحوى قبل الزوبعة القائمة فيها — نحو أربعة وعشرين دولة كلها أو معظمها من البلاد التى انتشرت فيها الصناعات بدرجات متفاوتة وليس جو أوربا البارد مما يساعد على سرعة نمو النباتات ، كما أن خصوبة الأرض ليست مما

تروج اليه الأوربيون . ولكن اليد المدربة والعقل المثقف ، أى الموارد البشرية ، قد استطاعت أن تعالج أتربودة بحيث أصبحت تلك التربة بأحسن ما تستغل به تربة الخصبة الكريمة، ففى الدنمرك ترى الفلاح يبيع بيض دجاج بالمليون لأنه لا يستنتج إلا خير أنواع الدجاج . وهناك أيضاً ترى العزب تنشأ خصيصاً لتربية البقر والعجول والخنازير أو لاستخراج شتى أنواع الجبن والقشدة .

ولقد كانت الدنمرك إلى ما قبل الحرب الألمانية تمون أوروبا بخير أنواع اللحوم والألبان ومشتقاتها . أما هولانده التى تعزو البحر وتحفه وتقتنص منه كل يوم أرضاً زراعية جديدة تصيفها الى بلادها فإن تجارة أزهارها التى تتجه وتصدرها الى الخارج تعتبر ركناً هاماً من أركان ثروة أقومية . ولعلكم لا تجهلون أن زهرة الخزامى Tulipe التى يحبها سيداتنا تأتينا من هناك على متن الطائرات وتباع الوحدة منها هنا بعشرة قروش .

وكل من الدنمرك وهولانده يصح أن يكون لنا مثلاً أو قدوة نستفيد منها فى زراعتنا لتتحرر من أسر القطن وذله . فإن نجاح الأولى يرجع الى جمعيات التعاون التى تقوم بجميع الأعمال المحتاجة إلى خبرة فنية . وكثيراً ما تندب هذه الجمعيات خبراء الى بعض المناطق لتحدين نوع الجبن أو لاستنباط نوع آخر منه . ومرتب هذا الخبير يزيد أحياناً على ألف جنيه فى العام فى حين أن مرتب الوزير هناك لا يجاوز تسعمائة . وبفضل هذه الخبرة الفنية تصدر الدنمرك مشتقات ألبانها الى القارة الأوربية وتجاوزها الى القارة الأمريكية . وهولانده التى اطردت البحر من المكان المعروف هناك باسم زويدرزيه (Zwidersee) وأنشأت مكانه أقاليم واسعة حولتها الى أراض زراعية ، مع أن عمق الماء المالح كان يبلغ فى بعضها ثمانية أمتار — هولانده هذه يجب أن نتعطف بها فننشط الى تخفيف بعض بحيراتنا الشمالية التى لا يزيد عمقها على متر أو مترين فإننا بذلك نصل الى التخفيف عن قرانا المزدحمة بالسكان بنقل عدد كبير منهم الى هذه الأرض الجديدة حيث يجدون عملاً كثيراً وأجراً كبيراً .

عندنا من هذه الأرض المغمورة ما يكاد يبلغ مليون فدان . فإذا استعمرناها زدنا ثروة البلاد الزراعية وأوجدنا ميادين للأيدى العاملة ، ولطفنا من أزمة التعطل ومشكلة التشرد والتسول . بل عندنا من الصحارى ما يمكن استزراعه وخاصة الأشجار والغابات . هذه الغابات التى نحن فى أمس الحاجة اليها سواء للبناء أو لصناعة الورق . وكثير من صحارينا كائنة فى شرق الدلتا وغربها فلا يشق علينا إيجاد الوسيلة لريها حتى إذا غرسنا الفسائل ونمت استغنت عن أية عناية بالماء أو بغيره .

والحرير الصناعى الذى غزا أسواقنا من إيطاليا واليابان فطغى على الحرير الطبيعى بأثمانه الزهيدة . هذا الحرير يمكن أن يصنع من قش القمح ومن قش الأرز ، وعندنا منهما بحمد الله

الشيء الكثير . فلماذا لا نستقدم الخبراء والصناع الفنيين ليسترشد بعلمهم ومهارتهم الى ان نحذق هذه الصناعة فتغنينا بعد زمن قصير عن استيراده من الخارج وتدر علينا الربح الوفير؟

والنباتات التي تصلح لصنع الأدوية والعقاقير الطبية لدينا منها الكثير ولكنا نجهله ونجهل فوائده وطرق استعماله ، ولو اهتم بعض علماء النبات عندنا بفحص بعض الأعشاب في حقولنا ودراسة خواصها واستعانوا على ذلك ببعض الدراسات و ببعض الخبراء لوجدوا أننا ندوس بأرجلنا في الحقول أو تتخذ طعاما للماشية أنواعا من العشب الشيطاني يبحث عنها المتخصصون في أوربا وأمريكا فلا يجدونها إلا بشق النفس و بعد كثير من الجهد والإنفاق .

ولأضرب لكم مثلا واحداً : ففي الريف المصري نبات يعرف باسم " الدمسيسة " من المذاق تستطيبه الماشية فتأكله . هذا النبات ينمو بكثرة على جوانب الترع والقنوات حتى ليقتلعه الفلاحون ليظفروا منه الأرض . فما قولكم في أن هذا النبات الشيطاني المهمل المرذول هو النبات الذي يصنع منه الأبسنت والذي يستخرج منه الصيدليون أدوية لعلاج مرض البول السكري بعد أن يجيئوا به من أعالي جبال الألب في سويسرا ومن وادي نهر الرون في فرنسا؟

أليست زراعة النباتات الطبية وما تستتبعه من صناعة الأدوية والعقاقير مصدر ثروة طائلة نستطيع أن نضيفه إلى موارد ثروتنا العامة ؟

والخشب يا سادة : إن الظروف الحاضرة تلح علينا في أن نتذكر هذه المادة البنائية الأساسية التي شحت في مصر بسبب انقطاع المواصلات وقلة وسائل النقل ، الخشب الذي كاد أن يوزن بميزان الذهب في هذه الأيام والذي سبب انقطاع وروده الينا من الخارج تعطيلا ملحوظا في حركة العمارة والبناء . إن نفسي لتحدثني بأن أرمي مواطني بالجنون كلما ذكرت أنهم يهملون زراعة الأشجار ذات الخشب الجيد على جوانب الطرق والترع والمصارف والشواطئ وأكاد أرميهم بالسفه كلما ذكرت ما يستفيدونه من زراعة الغابات من الفوائد التي تأتيهم من خشبها وحيواناتها وطيورها وما يستفيدونه بعد ذلك من المناظر الجميلة وأماكن النزهة والصيد ، فضلا على ما تتيحه هذه الغابات من الهواء وتحجزه من أتربة الجبال والصحراء .

على أنه لا يفوتني بعد أن ألفت النظر إلى أن كل هذه الأعمال لا يمكن أن يقوم به الأفراد بل لا بد من تأسيس شركات منظمة ذات رأسمال كبير تقوم بهذه الأعمال الكبيرة . ومن الطبيعي أن تقوم الحكومة من جانبها بتشجيع رءوس الأموال المذكورة بمنحها نوعا من الحماية إن لم تتجاوز في المعاونة ذلك إلى ما هو أبعد منه وأجدى .

سيداتى وسادتى :

موارد ثروتنا القومية ليست مقصورة على الزراعة . وقد مضى الزمن الذى كان يقال لنا فيه إن الصناعة لا تنجح فى مصر لخلو أرضها من الفحم والحديد . فان هناك بلادا كثيرة كايطاليا وسويسرا قد نهضت فيها صناعات مختلفة وهى مع ذلك خالية من الفحم والحديد. وهذا الفحم الذى كان يعلل به عجزنا عن الصناعة نستطيع أن نستغنى عنه باستنباط القوى المحركة من مساقط المياه فى أسوان. أما الحديد فعندنا منه ما يكفينا الف سنة ، بل أكثر ، وهو مع ذلك يعد من أجود الحديد فى العالم ولا يحتاج فى استخراجه من باطن الأرض إلى كبير عناء لأنه قريب من السطح بل على السطح نفسه أحيانا بالقرب من أسوان . والحقيقة أننا هنا نتمتع بحظ عظيم من هبات الطبيعة وهو الفحم الأبيض أى قوة المياه الساقطة وإلى جانبها مناجم الحديد يقفن متجاورين ينتظران اليد المدربة والذكاء المثقف ليستغلاهما .

ومصر تنتظر الانقلاب الصناعى الذى أدرك أوروبا قبل مائة وأربعين سنة وكان سببا لتفوقها على الشرق وسيادتها عليه واستعمارها لأقطاره المتأخرة . بل إن العالم لينقسم الآن فريقين أحدهما فريق الأمم الصناعية الراقية السائدة والآخر فريق الأمم الزراعية المتأخرة المسودة ، ذلك بأن الصناعة العصرية الآلية توجد من الثقافة الفنية العالية ومن التقدم العلمى العام ما يرقى بالأمة ، فضلا عما تحدثه فى الأخلاق من الاستقلال وفى العقول من النزعة إلى الابتكار والرغبة فى الاختراع والإيمان بالتطور الاجتماعى. وهى سجايا تخدم الرقى العام فى أى بلد من البلاد.

ونحن بالطبع حين ندعو إلى اعتناق الحضارة الصناعية لا نعنى الأخذ بجميع الصناعات فجأة ولا دفعة واحدة . بل نريد أن نشرع فى الصناعات التى تتصل بالزراعة ثم نرتقى منها الى إيجاد المصانع التى يمكن بها استخدام محصولاتنا الزراعية كالقطن والقمح والخضر والفاكهة والدخان وغيرها . ثم نضيف الى ذلك صناعات أخرى ضرورية كالعقاقير الطبية والورق والخزف . فقد جعلتنا الحرب القائمة نحس عجزنا وتخلفنا فى هذه الميادين . فان مصر التى اخترعت الطب للعالم والتى لا يزال "الثعبان المصرى" شعاره الى اليوم ، مصر هذه قد أحست قلة العقاقير بنشوب هذه الحرب ، بل بزوال بعضها من الأسواق تماما . أما الورق فإن ما يعانيه كل مؤلف أو طابع أو صحفى من غلائه الذى بلغ عشرة أضعاف ثمنه قبل الحرب يدل على حالنا الأسيفة فيه . وقد زاد ثمن الصحن من الخزف العادى من قرش إلى خمسة قروش حتى كدنا نعود إلى صناعتنا الابتدائية ونصنع الصحون من الفخار . وهذه حال تجعلنا نتساءل : أين الإقدام المالى ؟ أين الشركات ؟ أين الثقافة الفنية التى كان يجب أن ننتظرها من بعثاتنا العلمية المتوالية الى أوربا ؟

لقد سبقنا اليابان فى النهضة العصرية ، لأن اليابان كانت أيام المغفور له محمد على الكبير تعيش فى مثل ظلام القرون الوسطى. فى حين أننا نحن كنا قد اتصلنا بأوربا وأخذنا ببعض صناعاتها ، فأين نحن الآن من اليابان ؟

على أنه بالرغم من هذا لا يجوز أن نستصغر شأن النهضة الصناعية التي تحققت لنا في مدى العشرين السنة الماضية ، وهي النهضة التي رأينا فيها بنك مصر ومؤسساته المتفرعة منه أي الشركات الصناعية والتجارية التي بلغت حتى الآن نحو ثلاث وعشرين شركة يختلف عملها من الخليج الى صنع الأزرار ومن استخراج الزيوت الى استثمار المحاجر والمناجم . كما أن هناك شركات أخرى صناعية وتجارية يقوم بأعمالها مصريون أكفاء استطاعوا أن يكفونا حاجات ملحة كنا نحرم منها في هذه الأيام لولا همتهم وإقدامهم . وحسبنا أن نتخيل حالنا في الوقت الحاضر مع عناء الملاحة وصعوبات النقل لو أنه لم تكن لنا مصانع لنسج القطن بل ماذا كانت حالنا تكون الآن لو أن مصنع الزجاج الذي أسسه السيد بك ياسين لم يكن موجودا ؟

ولو أن مشروع استغلال مساقط المياه في أسوان كان قد تم في حينه أو لو أن الكلام في هذا المشروع قد أنتج العمل لكان لنا منطقة صناعية في مديرية أسوان تدور آلاتها وتحصل على القوى المحركة بأقل الأثمان . بل لكنا عندئذ لا نخشى نفاد الأسمدة الكيمائية الأزوتية لأنه كان يكون في إمكاننا استنزاله من الهواء وتوصيله بأثمان مخفضة الى يد الفلاح. ولكنا في هذه المسألة — كما كما هو شأننا في كل شيء — نخلط بين السياسة الحزبية والمصلحة القومية ويضرب بعضنا وجوه بعض بأعز ما للامة من مصالح وحقوق . وهكذا أسرفنا في الكلام وأسرفنا في المهاترة ثم لم نفعل شيئا يفيد البلاد .

اذكروا أيها السادة أننا نستورد في العام بثمانية ملايين من الجنيهات سمادا من الخارج . اذكروا هذا واذكروا معه أن لا غنى لنا عن هذا السماد وأن ثمنه يغلو وسوف يغلو أيضا كلما تعذرت سبل النقل وأننا سندفع هذا الثمن مهما ارتفع والا بارت أرضنا وضعفت تربتها . ثم اذكروا الفرصة الذهبية التي ضاعت منا يوم اختلف وزراؤنا على ما لا يجوز الاختلاف فيه وفوتوا علينا فرصة كان من شأنها أن تحفظ لنا الملايين الثمانية في جيوبنا كل عام وتجعل قوتنا لا تطير من الجلع كلما سمعنا أن سفينة تحمل السماد الينا قد غرقت أو أصابها سوء .

*
* *

سيداتي وسادتي :

لقد ذكرت مواردنا الزراعية وموردنا الصناعية ، ولكن مصر تمتاز بموارد أخرى وهي موردها التاريخية والمناخية التي تجذب اليها السائحين من جميع أنحاء العالم . فإنه ليس في العالم المتمدن شاب متعلم أو نصف متعلم يجهل اسم مصر التي قرأ عنها في التوراة قبل أن يقرأ عنها في الجغرافيا . وتاريخنا الحافل بآثار الفراعنة ، تاريخنا الذي يحتل جزءا كبيرا من الكتب المقدسة ، هذا التاريخ يثير خيال المتعلمين من الأمريكيين والأوربيين الذين تعد

زياراتهم لمصر بعض برنامج حياتهم ، وآثارنا الشامخة التي يقفون أمامها وقد أذهلتهم روعتها تجعلهم يحسبون أن ما ينفقونه في مصر لا يذهب في سبيل التنزه والاستجمام فقط كما هو الشأن عند السائحين في الأقطار الأخرى ، بل تجعل سياحتهم تعليما وتثقيفا وتربية . ومع ذلك فليست الآثار هي كل ما يجلب السائحين ، فإن مصر ملتقى الشرق والغرب قريبة من العالم الأوروبي وستزداد قربها بعد الحرب حين يتم النقل بالطائرات . فزائر القاهرة القادم إلينا من إحدى العواصم الأوربية يستطيع أن ينعم بمناظر أفريقيا وآسيا ويتمتع في الوقت نفسه بألوان الرفاهية الغربية . وشتاؤنا بشمسه الصافية ودفئه ونضرة زرعه ، وهذا النيل الذي يشق الوادي الجميل — كل هذا جدير بأن يجذب الآلاف بل عشرات الآلاف من السائحين . ولكنا — حكومة وشعبا — أهملنا موسم السياحة إيما أهمال ، فلم نعن بالإعلان الكافي الذي يرغب الأجانب في زيارة بلادنا ويوحي إليهم حب الاطلاع على آثارنا ، ولم نعن أيضا بتيسير أسباب إقامتهم بيننا . فإن الفنادق قد أنشئت لطبقة واحدة من السائحين هي طبقة الأغنياء الذين يستطيعون أن ينفقوا فيها ثلاثة وأربعة جنيهات في اليوم . ومعلوم أن هذه الطبقة ليست بالكثيرة العدد مهما يكن ثراء القطر الذي يفدون إلينا منه . فلماذا لا نؤسس الفنادق التي تجذب إلينا أبناء الطبقة المتوسطة الذين يودون لو يزورون مصر على ألا ينفقوا في اليوم أكثر من جنيه أو نصف جنيه ؟

إني كلما زرت الأهرام والصحراء التي تقع جنوبها تعجبت من غفلتنا عن هذا المكان الصالح المغرى الذي كان يجب أن يكون حافلا بميادين اللعب وبالكازينات وبرك الصيد ، وبغير ذلك مما يجلب الى الغريب الإقامة فيه . أغلب السياح يحبون البقاء طول النهار بالقرب من الأهرام يتأملون ضخامتها وغرابة هندستها ويستسلمون للخيال الذي يثير فيهم ذكريات الفراعنة وقدماء المصريين . ولكن ليس حول الأهرام — وبالأسف — غير فندق واحد لا ينزل فيه غير النادرين عليه . فما أحرانا أن نتم هذا النقص فنكسب ونستفيد .

أيها السادة :

أراني قد أطلت عليكم الحديث ، ولكني أرجو منكم المعذرة ، فلقد أردت أن ألم إلمامة موجزة بالوسائل الميسورة التي تمكننا من ادخار أموالنا في بلادنا بتحسين حالتنا الزراعية والصناعية ، ومن استيراد أموال أجنبية إلينا من طريق الإكثار في الإنتاج والتصدير . وكلها كما رأيتم وسائل لا تحتاج إلا إلى اليد الماهرة والذهن المثقف المفتوح والإقدام المتبصر الحازم . فهل آن لنا أن نفيق من غفلتنا التي طال عليها الزمن وأن نلحق ركب المدنية الذي تقدمنا بمسافات شاسعة ؟

هذا ما أرجو أن نوفق إليه ، والله ولي التوفيق .

ذمة الموظف

لحضرة صاحب السعادة على جمال الدين باشا

عندما تذكر ذمة الموظف واستقامته ، يتجه الذهن الى جرائم فاضحة ، كالرشوة والاختلاس واستغلال النفوذ أو محاباة الأقربين . فاذا لم يكن فى الأمر شىء من هذا اعتبر الموظف نزيها أمينا لا مطعن فى ذمته ولا غبار على سمعته .

لكن الترفع عن الرشوة والاختلاس واستغلال النفوذ ، والابتعاد عن المحاباة ، كلاهما لا يكفى للحكم بنزاهة الموظف واستقامته ، لأن هناك مخالفات أخرى إن لم يكن لها ما لهذه الجرائم من خطر ، فهى لا تقل عنها سوء أثر فى النظام الحكومى وفى المصلحة العامة ، ومع ذلك لا نجد لها عقوبات فى القانون .

فالموظف مفروض عليه أن ينفق من يومه ست ساعات فى عمله ، فاذا بدد جزءا من هذا الوقت فى غير العمل الحكومى فقد اختلس من مال الدولة الأجر الذى يتقاضاه على هذا الجزء ، وليس هذا من الذمة ولا من الأمانة فى شىء . وهـذا الاختلاس واقع بدليل أن الحكومة اضطرت الى ضبط أوقات حضور الموظفين وانصرافهم بآلات وأجهزة لا تخطئ ولا تحابى .

ومع ذلك فهذه الرقابة لا تطبق إلا على صغار الموظفين الذين يحملون من المسئولية نصيبا ضئيلا بجانب نصيب الكبار ، رؤساء المصالح والإدارات والأقسام ، الذين يقومون بتنفيذ اللوائح والمنشورات ويهيمنون على سائر الأعمال ويشرفون على مصالح الجمهور ، هؤلاء معفون من الرقابة ، وهم يغتنمون هذا الإعفاء للتحرر من قيود النظام ومن أكثر واجباتهم . فبدلا من أن يكونوا قدوة حسنة لمرءوسيهم فى المواظبة والدقة والنشاط يضربون لهم أسوأ مثل فى التراخى والإهمال .

إن الجمهور لا يفتر عن الشكوى من هذه الحال ، فقد يحضر صاحب مصلحة ليقابل أحد الرؤساء فينتظره الى الساعة التاسعة أو العاشرة معطلا عمله ومواعيده الهامة ، ثم يضطر الى انتظاره ساعة أخرى بعد وصوله الى مكتبه فى انتظار الإذن له بالدخول . ولا بد من مرور هـذه الفترة لأن تأخر الرئيس فى الحضور الى ديوانه يقتضى تراكم الأوراق والملفات أمامه ، فهو فى حاجة الى وقت طويل للتصرف فيها ، ولا شك أن طريقة تصرفه فى الأوراق تكون طويلة سريعة بمقدار ضيق الوقت ، وعمل مثل هذا الرئيس لا يمكن أن يكون سليما ولا سديدا مع هذه اللهفة ، وهو لو بكر فى الحضور لاستفاد وقتا أوسع واستطاع بحث ما يعرض عليه من المسائل بدقة وروية تضمنان لتصرفاته وأوامره الصواب والسداد .

ومن حق الموظف الصغير أن يتذمر ويشكو مادام يجد نفسه مرغما على الحضور فى الساعة الثامنة صباحا ، ومعاقبا إذا تأخر ، على حين أن رئيسه يحضر متى يشاء ويتصرف متى يشاء ولا يسأل عما يفعل .

وبين الموظفين عدد غير قليل ما يكاد يصل الى مكتبه حتى يشرع فى شرب القهوة وقراءة الجريدة ويقضى فى هذا وذاك وقتا غير قصير ، وأصحاب المصالح من أفراد الجمهور فى انتظاره لا يلق اليهم التفاتا . ثم هو لا يقنع من الجريدة بالتصفح أو الاطلاع السطحى ، بل ربما صادف نبأ يستحق الشرح أو التعليق فيعقد مجلسا من إخوانه للمناقشة والجدل والإقناع والاقتناع والمزاح والتفكه أحيانا ؟

ومن الموظفين من يتناول طعام الإفطار فى مكتبه مسخرا خدم الديوان لتهيئة هذه المائدة كأنما هو فى بيته وكأنما أولئك خدمه الخواص . ولو أن موظفا فى البنك الأهلى أو فى شركة شل أو غيرهما سلك مثل هذا المسلك يوما واحدا لتلقى الإنذار العاجل بفصله ، ذلك أن الموظف متى دخل الى مكتبه سواء فى الحكومة أو فى سواها لم يصبح وقته ملكا له بل هو للمكتب أو للمصلحة العامة وحدهما ، وأما الإفطار وقراءة الجريدة فمكانهما البيت أو المطعم .

ومن المخالفات الشائعة فى الدواوين أن يستقبل الموظف فى مكتبه كل يوم عددا من الضيوف والأصدقاء يستعملون ورق الحكومة وحبرها فى كتابة رسائلهم الخاصة ويستخدمون التليفون الحكومى فى محادثات شخصية ويبددون وقت الموظف وهو وقت الدولة فى مسامرات وملاطفات أو فى مفاوضات متعلقة بمصالح ذاتية بحتة غير مقدرين أن كل دقيقة من هذا الوقت الذى يقضونه فى المكتب إنما هى خسارة مادية وإدارية على الحكومة وعلى مصالح الشعب . ولا شك أن هذا الشعب الذى تهمل مصالحه أو تعطل بسبب هذا النظام الفاسد ، يحز فى نفسه أن يكون هذا جزاؤه وتقديره عند الموظفين الذين يتقاضون مرتباتهم من كده وتعبه اى مما يؤديه من الضرائب .

إن الموظف الذى يجيز لنفسه مثل هذا العبث يستحق الطعن فى ذمته وفى إخلاصه لوظيفته وأمانته لواجبه ، وليس الفرق بعيدا بينه وبين المرتشى والمختلس ، فكلا الصنيعين صادر عن روح واحدة هى روح الاستخفاف وفساد الذمة ، وكلا الموظفين عابث بمال الدولة بل سارق له .

ولست أخلى الجمهور من نصيبه من اللوم على هذه الحال ، فإنى أعلم أن كثيرين من الموظفين الذين ترى مكاتبهم آهلة بالضيوف ، يتضجرون من هذه الضيافة ولكن الحياء لا يسمح لهم بطرد القادمين أو تقصير الجلسة مع الزوار الذين تعودوا أن تكون مكاتب الحكومة دور ضيافة لهم ، أو أماكن للترويح عن النفس كالمقاهى ودور التمثيل .

ومن هنا يحتال بعض كبار الموظفين و يضطرون إلى ابتكار مختلف الطرق للتخلص من ضغط الزائرين ، فيعتذر السكرتير بأن رئيسه «فى لجنة» أو أنه «خرج» أو أنه «عند الوزير» وعملية التملص هذه قد تفيد فى رد كثيرين من الطفيليين ، لكنها تظلم معهم فريقا ممن لهم مصالح رسمية لابد لقضائها من مقابلة الرئيس .

هذه حال يجب أن تتدارك، فيقتصد الموظفون من استخدام المكتب للضيافة ، ويقدر الجمهور من جانبه أن المكتب للعمل الرسمى دون سواه ، ومن كان فى شوق الى صديقه الموظف فليذهب اليه فى بيته أو فى المقهى أو فى النادى ، ولا يقتحم عليه عمله والملفات المكدسة أمامه تحتاج إلى فحص عاجل .

كنت أعرف موظفا فى إحدى الشركات بالقاهرة ، فحاولت أن أتصل به تلفونيا لأتفق معه على موعد للقاء خارج الشركة، فأفهمتنى عاملة التليفون أنه لا يجوز لأحد الاتصال به أثناء عمله بالشركة . هذا على حين أننا نحادث ونزور من شئنا من موظفى الحكومة ونأخذ بل نسرق الكثير من وقتهم ولا يقال لنا مثل ما قالته الشركة من أنها لا تسمح بدقيقة من وقت موظفها تنفق فى غير العمل .

لقد عنيت الحكومة من سنوات خلت بتدارك « بطء الاجراءات » وردت هذا البطء إلى كثرة الأدوار والمكاتب التى يمر بها الملف ، ولم يلتفت أحد الى هذا السبب الهام الذى يضيع من الوقت جانبا كبيرا ، وأعنى به الضيافة والتليفون وقراءة الجريدة والتعليق عليها والإفطار وما اليه .

هذه المعطلات ، مع طبيعة طول الإجراءات ، تقضى حتما بتكدس الملفات وتأخيرها . ولا يجوز أن نهون من قيمة هذا التأخير فإن هناك أعمالا ومصالح موقوتة بأوقات ومحدودة بدقائق وساعات . وإلا فانظر إلى رجل يستحق عند الخزانة مبلغا من المال وقد علق على هذا المبلغ تأدية مهمة معينة كإدراك مزاد أو تقديم تأمين أو فك حجز أو دفع مصروفات مدرسية أو وفاء نفقة شرعية . وكل هذه الشؤون لا تحتمل التأخير بل ربما أدى التأخير فيها إلى فوات الفرصة أو الى الحبس أو الى خراب البيت ، ومع ذلك لا يبالى الموظف هذه النكبات المحتملة بل يظل مقبلا على ضيوفه وأصدقائه .

و إليك مثلا آخر من أمثلة الإهمال، ذلك القاضى الذى يأبى إلا السكنى فى القاهرة مع أن عمله فى المنصورة أو طنطا أو بنى سويف . هذا يصل إلى المحكمة متأخرا وينظر قضاياه بلهفة وعجلة لأنه يريد إدراك القطار للعودة إلى العاصمة ، ولو أعطى المتقاضين ذلك الوقت الذى أضاعه فى السفر ذهابا و إيابا لاستطاع أن يبذل لقضاياهم من الروية وطول البحث

والتحقيق مايضمن لهم العدل الكامل ، ويعينه على الفصل فى أكبر عدد منها . لكنه يضطر لضيق وقته إلى اصدار أحكام غير ناضجة وتأجيل عدد كبير من القضايا وما أكثر من يقع عليهم من هذه العجلة ظلم ، ومن تتعطل لهم بسبب التأجيل مصالح وحقوق .

لقد نجحت الحكومة فى حماية بعض إداراتها ومصالحها من فوضى الزيارات وتبديد الوقت ، كمصالح البريد ومكاتب التلغراف والتليفون ومكاتب صرف التذاكر من محطات السكة الحديدية ، وإنما نجحت الحكومة فى هذه الجهات لأنها فصلت بين موظفيها وبين الجمهور بحواجز مادية . فالموظف هناك متوفر على عمله لايشغله ضيوف ولا يحادثه من الناس إلا ذلك الشخص الواقف أمامه الذى لايستطيع إطالة الوقوف على قدميه ، وهذا نظام يمكن تعميمه فى كثير من المكاتب مادمنا مع الأسف لانجد الكفاية من يقظة الضمير عند بعض الموظفين ، ومن حسن الذوق عند كثير من أفراد الجمهور ، ولنا العذر إذا اقترحنا الفصل بين الموظفين والأفراد بحواجز من الخشب أو من الحديد كما نرى فى المصارف المالية وفى الشركات الأجنبية .

إذا كان الأمر كما وصفنا فليس بعد الموظف عن الرشوة والسرقة والمحاباة هو كل مايستحق به ألقاب النزاهة والعفة والكفاءة ، إذ لو جاز ذلك لقلنا إن الرجل الصالح هو الذى لا يقتل ولا يسرق ولا يزور ولا يأتى الحرمات ، وليس هذا بصحيح ، بل الرجل الصالح هو الذى يسمو على الرذائل والهفوات .

وعلى هذا القياس فالموظف الأمين هو الذى يحرص على عمله ويضن بوقت الحكومة أن يبدد فى غير ما خصص له ، وألا يرضى لنفسه أن يتقاضى أجرا على غير عمل . وفيما ضربنا من الأمثال أحسن زاجر وواعظ ونبراس ما

على جمال الدين

ضرورة التواصي بالإصلاح الاجتماعي

لحضرة صاحب السعادة محمد العشماوي بك

المستشار الفني لوزارتي الأشغال والشؤون الاجتماعية ووكيل رابطة الإصلاح الاجتماعي

التضامن الاجتماعي — العمل على تحقيق التوازن الاجتماعي — جهود الرابطة في ميدان الإصلاح

« في الثامن والعشرين من يناير الماضي أقامت رابطة الاصلاح الاجتماعي حفلة خيرية بدار الأوبرا الملكية خصصت إيرادها للمشروعات الاجتماعية التي تسعى الى تحقيقها .

وقد افتتح الحفلة حضرة صاحب السعادة محمد العشماوي بك وكيل الرابطة بهذه الخطبة البليغة التي نرجو أن يكون لها أثرها النافع في توجيه قوى الشعب والحكومة الى تحقيق الاصلاح الاجتماعي في هذه البلاد . »

مواطني الأعزاء :

لقد آن التكاتف والتواصي بما توحي به الكرامة والإباء .

لقد آن أن نعرف لهذا الوطن كرامته ونوفر له إباءه ونهيئ لنهضته دعامتها ولحاضره سبل التوفيق وللأمل المرجو في مستقبله وسائل التحقيق وأن نستلهم من ماضيه المجيد حوافز للبناء والتجديد . ولا يكون ذلك الى بالدعوة للإصلاح الاجتماعي نرسلها حارة مدوية تتجاوب أصداؤها في جنبات الوادي وجنبات البرلمان . نوجهها للحكومة وللشعب أفرادا وجماعات . نوجهها للاغنياء والمترفين والمفكرين والمثقفين . وكل من حباه الله برأي في الاصلاح أو يسر له سبيلا للمساهمة في سياسة البناء والتعمير . نوجهها بقلوب عامرة بالإيمان ونتلقاها بنفوس مستعدة للبذل والتضحية تضع مصلحة الوطن فوق كل اعتبار . نتلقاها بروح الإيثار ونستجيب لها بما تمليه فكرة التضامن الاجتماعي وما تقتضيه هذه الفكرة من احتمال قسط من الحرمان لسد عوز المحرومين ، ونقص في المال لرد غائلة البؤس عن الفقراء والمساكين ، وحد من الشهوات للترويح عن المكوبين ، وقصد في الترف لنرد فضلة منه على من حرموا نعمة الحياة الإنسانية الكريمة فنوفر لهم قسطا من هذه الحياة فلا يعيش المئات القلائل متاعيش الإسراف والبذخ ويعيش الملايين منا عيش البؤس والعرى والحرمان .

يجب أن تستشعر روح التضامن الاجتماعى فى حياتنا كلها فيشعر الأغنياء أن فى أموالهم حقا للسائل والمحروم ، ويشعر الذين حباهم الله بنعمة المعرفة أن عليهم واجب الهداية والإرشاد والمعاونة فى انتشال السواد الأعظم من الأمة من وحدة الجهالة المزرية والأمية الممقوتة التى تتوى بهذا الفريق من الشعب إلى مرتبة السائمات ، ويشعر كل من منّ الله عليه ببسطة من المال أو الفكر أو القوة أو الجاه أو التجربة أن ميادين الإصلاح الاجتماعى تقتضيه زكاة هذه النعم جميعها ، وأن هذه الزكاة فريضة فى كل ما منّ الله به علينا من مقومات هذه الحياة ونعمها نؤديها راضين لانقاذ الوطن وتوفير أسباب نهضته وتحقيق التوازن الاجتماعى بين مختلف طوائفه ، نؤديها بقلوب أشعرت عرفان الواجب الوطنى وتقديره وتلبيته وتؤازرها عقول تزن الصالح العام وتستهدفه وتعلم أن فى اختلال التوازن الاجتماعى مايشل حركة التقدم ويؤدى بالشعب إلى التخاذل والانقسام والانهيار .

لقد آن أن نواجه مشاكلنا الاجتماعية الكبرى قبل أن تتعقد ويتعذر حلها حلا سليما متزنا فى ظل التفكير الهادئ السليم وقبل أن تطالعنا الأحداث بخطر ثورة اجتماعية جامحة لا تعرف هوادة ولا تستمع لمنطق ولا ترعى اعتدالا فتقذف بنا فى فوضى اجتماعية لا يعلم إلا الله مداها ومعقباتها . لقد آن أن تكون كلمة الاصلاح الاجتماعى هى العليا تفيض بها برامج الاحزاب التى تتولى الحكم يستجيبون لها ويعملون لتحقيقها مادامت بيدهم مقاليد الأمور ، ويدعون إليها ويطالبون بالاستجابة لها ويهاونون فى تنفيذ برامجها إذا تحلوا عن الحكم .

لقد آن أن تحشد القوى وتتساند وتتسق جهودها للاضطلاع بمهمة الاصلاح الاجتماعى فى جميع الميادين وأن تأخذ بأطراف الاصلاح كلها وتسير به قدما نحو الكمال فلا تسرف فى ناحية وتهمل ناحية فيسير الوطن فى طريق نهضته بشق مشلول يحمل النصف السليم أذى النصف العليل فتضطرب الخطا ثم تتوقف ثم تتداعى .

لقد آن أن نعمل على تقريب الهوة بين مختلف الظواهر الاجتماعية التى تعيش البلاد فى كنفها فلا يحيا القليل منا فى سعة ورغد عيش وصحة موفورة والغالبية الباقية فى ضيق وعوز وكدر عيش تفتك بها الأمراض ويهبط بها البؤس إلى أحط الدركات .

ولا تحيا بضعة آلاف منا فى ترف العلم وفيض المعرفة بينما يعيش الملايين الباقون فى ظلمات الجهالة المطبقة . ويجب فى ميادين الثقافة العامة أن توحد أسسها وتقرب بين مصادرها حتى لاتتباين النظرة الى الحياة بتباين نوع الثقافة فتختل بذلك معايير الاصلاح ويقع الانقسام بين طبقات الأمة نتيجة لهذا التفاوت فى التفكير .

إن الأمر لا يستقيم على هذا الوضع ، وإن مبادئ الديمقراطية الحقة التى وضع أسسها ديننا القويم تعالج هذه الحال على وضع يقينا شرورها ويستبقى للجهود الفردية

نشاطها وثمرتها تنرد من فضلة مال الغنى على الفقير بقدر ما يصلح من شأنه ويجنبه الفاقة ومرارة النفس وحب الانتقاض على نظم المجتمع ونواميسه ويجعله عاملا مصلحا وأداة مثمرة .

لقد آن أن ننتقل بجهود الاصلاح الاجتماعى الى الريف ، ذلك الريف الهادئ الوادع مصدر الخير والثروة والذى لا يزال أهله منذ آلاف السنين يعيشون فى ظلمة حالكة نسج بردها الفقر والمرض والجهل ، ذلك الريف الذى كثر الأنين له والتلهف على إصلاحه وكثر الكلام حوله وقل العمل المثمر حتى كاد أن يصدق فينا وفيه قول حافظ ابراهيم :

قالوا وقد أبصروا الرغفان زاهية ... هـذا الدواء فهل عالجته فأبى ؟
أجابهم ودواعى الشح قد ضربت ... بين الصديقين من فرط العلى حجبا
لمثـل ذا الحد لم تبلغ مودتنا ... أما كفى أن يرانى اليوم منتحبا

وأصبحنا تهولنا مشكلاته وما يتطلب من تضحيات فنستسلم لليأس أو تستهوينا الأمانى المسولة فى طرائق إصلاحه فنستسلم للخيال .

لقد آن كل ذلك ، بل أخشى أن أقول قد كاد الآوان أن يفوت ولا نزال حيث كنا لم نتخذ للأمر عدته الكاملة ولا يزال رنين صيحات الاصلاح تدوى ثم يشغلنا عرض الدنيا الزائل ومظاهرها الكاذبة وتوافه الشؤون عن الاستماع له فتتلاشى رويدا رويدا ثم يخيم الصمت الرهيب .

إن الأمر يقتضينا النهوض متكاتفين متعاونين ، والعمل متساندين لنساهم فى الإصلاح كل منا بما يسره له لا تقعدنا قلة ولا ضعف ، فالعمل للاصلاح الاجتماعى فرض عين والقليل مع القليل تتجمع به الكثرة التى يتطلبها هذا الاصلاح ، والضعيف مع الضعيف تتجمع به القوة التى لا تكسر والعزيمة التى لا تثنى . ولا يليق بنا أن نتنحى عن هذا الواجب ويلق كل منا بالعبء على غيره ويحتال لتخلص من المسئولية بدل أن يسعى لاحتمالها . وعلى الحكومة أن تؤيد حركة الإصلاح وتتعاون مع الهيئات العاملة على وضع منهاجه ومؤازرته بالعون المادى والأدبى وحسن التوجيه وأن تسن من التشريع ما يكفل تدعيم حركة الإصلاح والمساهمة فيها على أوسع نطاق وما يرد عنها كيد المتخلفين ممن آثروا الدعة واستكانوا للمنفعة الشخصية وحياة الأثرة الشحيحة ، إن الحياة تطالعنا كل يوم بمعضلاتها والبلاد تجتاز تجربة قاسية تقتضيها صلابة فى الخلق ومناعة فى الجسم وقوة فى الروح ومتانة فى البناء لتصمد للأحداث وتشق طريقها عزيزة الجانب موفورة الكرامة قوية الثقة بالمستقبل . لا يكفينا فى بناء نهضتنا أن نعتمد على المال وحده أو العلم وحده أو عليهما معا دون أن يدعم البناء بالخلق المتين ، فعبرة

التاريخ ترينا كيف انهارت أمم وهى فى أوج عظمتها من العلم والفن والمال عندما دبت فى أعضائها عوامل الانحلال الخلق :

تفنى قوى الأخلاق ما تفنى القوى المفكره
ويرفع الله بها من شاء حتى الحشره

سيداتى سادتى :

فى رقعة من هذا الميدان الفسيح من ميادين الاصلاح الاجتماعى قامت الرابطة لتساهم بقدر ما توافر لها من وسائل وما تجمع لها من موارد محدودة فى تشييد صرح الاصلاح الاجتماعى فى مصر، وسبيلها إلى ذلك الدعوة للاصلاح والدعاية له من طريق المحاضرات وعقد المؤتمرات لدراسة جانب من مشكلاتنا الاجتماعية حيث تتاح الفرصة لطائفة من المفكرين لكى يشاركوها فى هذا الدرس وتتقدم للحكومة والهيئات المعنية بالإصلاح الاجتماعى بنتائج بحوثها لكى تتكون من هذه الدراسات وغيرها خطة صالحة للعمل المجدى . ولم يقف بنا الأمر عند هذا الحد ، بل رأت أن ترعى بطريقة عملية ناحية من نواحى الاصلاح الذى تنشده وتدعو اليه فأنشأت دارا لكفالة الطفل تؤوى طائفة من أبناء العمال الفقراء عند ما يبلغون السن التى يغادرون فيها أحضان أمهاتهم إلى أحضان التشرد والمرض والعوز لتقيهم شر هذا المصير وتجعلهم عدة صالحة للمستقبل ، ووفرت لهم من أسباب التهذيب والغذاء والكساء ما يصلح من شأنهم كثيرا ولا يباعد بينهم وبين بيئتهم ، وتتناول فى الوقت نفسه هذه البيئة بالاصلاح مسترشدة بدراسات تقوم بها طائفة من الزائرات الاجتماعيات المتطوعات تتناولها من الوجهة الاجتماعية والصحية . والرابطة بإنشاء هذه الدار وغيرها مما تمكنها مواردها من انشائه تعطى المثل الصالح لنوع من العناية بالطفولة البائسة فى أخطر مرحلة من مراحل حياتها وتساهم فى انقاذها واستبقائها ذخيرة للوطن وتطمع أن تقوم آلاف من هذه الدور يرعاها المهتمون بشؤون الطفولة فيعاونوا بذلك على حل مشكلة من أعقد المشكلات الاجتماعية فى مصر ويضعوا الأساس المكين لبناء الشعب بناء مدعما بصحة الأبدان وسلامة الأخلاق .

كما أن الرابطة أخذت تهيئ الوسائل لتنظيم دراسات اجتماعية وصحية وتربوية فى شؤون الأمومة والطفولة تتلقاها طائفة من فتياتنا المثقفات لتعاونهن على المساهمة فى أعمال انقاذ الطفولة وتهيئة الأمومة الصالحة لأنفسهن ولمواطناتهن .

والرابطة اذ تقيم هذه الحفلة ترمى الى توفير قسط من العون المادى للانفاق على مشروعاتها ما تم منها وما تعتزم القيام به وتعلن عن ناحية من نواحى نشاطها الاجتماعى وتستمد من تشجيعكم القوة والتأييد . وإن من علامات التوفيق أن يقع موعد هذه الحفلة فى عهد

ذكرى هجرة أكبر مصلح اجتماعى جاء بالهدى ودين الحق يدعو للعدل والإحسان والبر والإخاء والمساواة والتواد والتراحم والتعاون ويضع الأساس الركين ويرسم المنهج القويم لصلاح البشر فى دنياه وسعادته فى آخرته . وإن الرابطة لتستلهم من روح الاسلام السامية وجوهره الصافى حصتها فى الاصلاح ، ولذلك اعتزمت فى هذا العام أن يشمل برنامج مؤتمرها بحوثا فى نواحى الأصلاح الاجتماعى على ضوء هدى الاسلام ومبادئه . وإن الرابطة لتعتز بأن يتفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فيشمل حفلتها هذه برعايته السامية كما شملها فى العام الماضى فتستمد الرابطة من هذه الرعاية وهذا العطف قوة فى اليقين ومضاء فى العزيمة ومضيا فى الإصلاح فى ظل العرش المفدى وتحت لوائه الخفاق .

سيداتى سادتى :

إن فى ميدان القول سعة ولكنى أوثر أن أختتم هذه الكلمة لأعجل لحضراتكم المتعة الفنية التى يحويها برنامج هذه الحفلة والتى تفضل القائمون بها فقدموها متطوعين لوجه البر فأبانوا عن شعور نبيل وعاطفة إنسانية كريمة ، وأقاموا الدليل على ما قد يكون للفن من أثر محمود فى تأييد الجهود التى تبذل فى سبيل الاصلاح الاجتماعى فى شتى نواحيه .

وإنى أشكر لكم وعظيم هذا العون الكريم الذى تجلى فى شهود هذه الحفلة والمساهمة فيها سائلا الله أن يوفقنا فى مسعانا للإصلاح نعمل له مخلصين لوجه الله والوطن " وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " .

من وصايا الإمام على
إلى الأشتر النخعى والى مصر

" اعرف لكل امرئ ما أبلى ، ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره . ولا يدعونك شرف امرئ الى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا ، ولا ضعة امرئ الى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما ... ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة ، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة فإنهم أكرم أخلاقا وأصح أعراضا وأقل فى المطامع إسرافا " .

ثروتنا الخلقية

أيضا

بقلم الكاتب الكبير الأستاذ محمد توفيق دياب

كان شوقي يستلهم عبر التاريخ حين أرسل آيته المشهورة في الأخلاق ، فما من ماض قريب أو بعيد إلا يشهد بصدق تلك الآية .

لقد سادت اليونان القديمة بعراقة الأخلاق حين سادت ، فلما وهن فيها نسيج النفوس ذلت ، ولم تنقذها عراقة الانساب ولا حكمة أفلاطون ولا فلسفة أرسطو .

ولكن اليوم احيي اليونانيون أمسهم العظيم ، بما أحيوا في نفوسهم من خلق عظيم !

لقد ساد الرومان أيام عزهم المجيد باخلاقهم المجيدة ، فلما انقلب سؤددهم بطرا وثراؤهم بذخا وجدهم لعبا ، ولما انقلبت مشاهد الرجال والأسود مقاصف وحانات ومواخير ، غربت شمس روما العظيمة ولم يستطع إعادتها من عالم الغيب الى عالم الشهود هذا الذى طاب الثأو القديم ، فساعفه العرض وخانه الجوهر ، ساعفته الأجهزة والاجناد ، ولكن خانته النفوس والأخلاق .

لقد سادت العرب في صدر الاسلام بأخلاق الاسلام حين لم يكن لهم مال إلا ماتجود به جزيرة جدبة مجدبة ، وإلا ما تجديه تجارة نزرة تسبح بها الإبل في عباب الصحراء ، ويوم لم يكن لهم علم إلا ماعلمهم الله في كتابه وسنة رسوله . لكنهم ظهروا على أمم أكثر منهم مالا ونفرا ، وأقدم منهم ثقافة وحضارة ، لا بقوة سوى أخلاق القرآن . فلما نسوا المثلات واتبعوا الشهوات وأذهلهم المثل الأدنى عن مثل الرسول ، سقط من أيديهم مصباح الهدى ، فضلت بهم السبل وتقطعت الأسباب .

وهذه فرنسا عبرة اليوم ، تغنينا عن عبر الأمس القريب والبعيد . فرنسا ، تلك الأم الرءوم من أمهات الحضارة ، فرنسا ، التي لم تدع من ميادين العظمة ميدانا الا كان لها فيه سبق وتبريز : بطولة في الحروب مشهورة الأيام مأثورة السير ! عبقرية في الأدب زخارة الفيض وضاءة الغرر ، لو حجبت عن العالم يوما لبات فقيرا إليها العالم ! ألمعية في العلوم سمت بأفذاذها الى سماء الخلود . ولا تنس نصيبها الأجمل من الفن الجميل ، ولاحظها الأوفى من الفقه والتشريع ،

ولا تسطيع الأوفر من ثروة هذه الدنيا ، عيشا رغيدا ، وأزرعا وضرعا ، وصناعة وتجارة ، ومستعمرات تموج الخيرات فى أرجاء المشرق بين قاصية ودانية ، فرنسا هذه ، هذا أعوزها فى سنواتها الأخيرة حتى حرمانها عرش محمد بعثة كانقضاض الصاعقة بين ذهول العدو وذهول الصديق ؟

. يبكى باكيها المارشال بيتان ، ويجيبنا بصوت يتهدج برعشة الشيخ الفانى ورجفة الجزين المتساع ، يجيبنا أعوزتها الأخلاق . تلك هى الثروة التى أضاعتها فرنسا ، فضاع بضياعها مجد الوطن ، وألحقت أرضه التى طالما تقدس ثراها بدم الأبطال — شهداء الحرية والإخاء والمساواة — ألحقت أرض فرنسا بالأراضى المحتلة ، تطأ حرماتها أقدام الأعداء . نعم وألحق الشعب الفرنسى العريق ، عزيز الأمس ذليل اليوم ، بزمرة الشعوب المهيضة المستعبده . وما تحطم من أسلحتنا غير سلاح الأخلاق ، ولا أدك من صروحنا غير صرح الأخلاق ، ولا تنكس من أعلامنا غير علم الأخلاق .

ويمضى الشيخ الباكى فى حزنه وبثه يقول : إنما الذى هزم فرنسا خلقها الجديد لا عدوها القديم . عكفنا على اللهو حين عكف عدونا على الجد . ضاعفنا ساعات البطالة حين ضاعف ساعات العمل . قدسنا صالح الأشخاص حين قدس صالح الوطن . كانت الأسرة عندنا حقيقة وعينا ، فأوشكت أن تكون وهما وأثرا . كان الحب عندنا طائرا ودبعا يأوى الى البيت ، فأمسى طائرا غريبا يأوى الى الحانة . كما نبغض السلطان الغاشم ، فادا بنا نبغض كل سلطان . كما نفدى مبدأ الاخاء ، فاذا الإخاء بيننا عداوة لداء . كما نقدس مبدأ الحرية ، فاذا الحرية عندنا حرية التمرد والفوضى ، وحرية الجمود والعقم ، وحرية الاباحة والفجور ، وحرية الانانية الضارية ، التى تأكل الأخضر واليابس كألسنة السعير . كما نفدى مبدأ المساواه فى الحقوق والواجبات . فاذا الحقوق بيننا تحيا ، واذا الواجبات بيننا تموت .

ليست أزمات المال ، ولا أزمات التعليم ، ولا أزمات السياسة ، شيئا يذكر الى جانب أزمات الأخلاق . فأزمات المال قد تعالج بعض العلاج بضغط النفقات ، واستزادة الموارد ومضاعفة الجهود فى الحقل والمصنع والمتجر . وأزمات التعليم قد تعالج بعض العلاج بتوفير الأموال وتخريج العدد الكافى من المعلمين الأكفاء . وأزمات السياسة قد تعالج شبه علاج بوزارة تذهب ووزارة تجىء ، وبمجلس نيابى يحل ومجلس آخر ينعقد .

لكن أزمات الأخلاق إذا تفاقم أمرها كادت تستعصى على العلاج ، إلا أن يبادر المسئولون عن مصائر الأمة ، بالتفكير الجدى والعمل السريع . بل أذهب الى أبعد من هذا المدى وأقول : انه لاصلاح بالمعنى الصحيح لمصر فى مال ولا صحة ولا علم ولا سياسة إلا إذا قام كل أولئك على أساس وثيق من أخلاق الفرد وأخلاق الجماعة .

تعالوا الى الإصلاح الاجتماعى الذى يدعو اليه دعاته فى صحف مصر وهو منابرها . يقولون : أزيلوا الفقر والجهل تزيلوا الأمراض المتوطنة التى تهلك الكثرة الساحقة من

المصريين — أستغفرالله بل الكثرة المسحوقة — ويقولون إذازال الفقر والجهل والمرض، وحلت محلها دعة المعايش واستنارة العقول وصحة الأبدان، انبعثت عظمة مصر الكمينة كما ينبثق ضياء الفجر بعد حالك الظلام .

لكن هنا العقدة كما يقول شكسبير .

كيف السبيل الى إزالة الفقر ؟ بل كيف السبيل الى إزالة الإدقاع والفاقة اذاتعذر على الإنسانية فى مستواها الحاضر أن تخلو من غنى وفقير ؟

دعك من مئات الألوف الذين يستجدون الأيدى فى الحضر والريف ، دعك منهم فان بينهم أصحاء يؤثرون ذلة السؤال على عزة العمل ، وان كان بينهم عجزة عن الكسب ترعى أمثالهم انجلترا وغيرها من دول الغرب بحكم القانون .

لكن انظروا معى الى ملايين العمال فى مزارع الأواسط والأكابر من الزراع .

هؤلاء يستجدون أيضا ، ولكن بالعمل الشريف المنهك ، لا بالبطالة الوخمة المخزية . يستجدون السادة الملاك ثلاثة قروش، عن كدح يوم يبدأ مع الشروق وينتهى مع الغروب .

لى صديق كان يحيى قطعة من الأرض الموات قريبة من مزرعة رجل عظيم . رجل من أصحاب الأموال الطائلة والألقاب الضخمة والمناصب العليا والعيشة المترفة الناعمة ، وأمسى صديقى ذات ليلة يطلب بعض الأيدى لاستئناف عمله من غده فلم يجد . فما كان منه الا أن أرسلها بشرى مزغردة فى الضياع المجاورة : فلان سيأجر عماله ثلاثة قروش ونصف قرش منذ صباح غد . وما هى إلا هنيهة حتى أقبل اليه عشرات العمال يهرعون كما كان يهرع طلاب الغنى إلى المجاهل فى أمريكا ، اذا طار اليهم نبأ اكتشاف منجم من ذهب . فأعمل صديقى كفايته منهم واعتذر الى الباقين .

لكن هل رضى الجار العظيم عن هذا التبذير ؟ إنه جنون إن دام جر عليه الخراب ! إنها منافسة غير مشروعة فى استهواء العمال ! انه تمزيق لروابط الاتحاد بين الملاك وخيم العواقب !

وإذن يتفضل حضرة المأمور فى ذات النهار بزيارة صديقى ، زيارة ظاهرها الود المألوف ، وباطنها السعى الحثيث لحمله على أن يعدل عن هذا الطريق الوعر ، الذى يوشك أن يفقر الأغنياء ويغنى المساكين .

وضربت على المساكين ثلاثة القروش ، واستقرت أنصاف القروش فى خزائن الأغنياء . وما زال القائلون يقولون أزيلوا الفقر ، وما زلنا نسائلهم كيف السبيل وهذا الطراز من الأخلاق متغلغل فينا مستأصل عميم ؟

يقولون إصلاحو الأراضي البور في شمال الدلتا وفي غيرها ، و يبيعون لصغار الزراع بثمن مقسط زهيد . هـذا شيء جميل إذا تحقق . وجماله أنه يرفع مستوى المعيشة في طبقات لا هي بالغنية ولا بالمعدمة . هذا خير لا ريب فيه .

لكن طبقة المعدمين ستظل في شقائها و بؤسها طبقة المعدمين ، ولن يكون لعبيد القروش الثلاثة بعض العام ، وعبيد العدم المطلق أكثره — لن يكون لهم يد ولا أصبع فيما توزع الحكومة من أرضها ، مهما تضيق المساحة و يقل الثمن ! إذ كيف يدفع الجنيهات من تعييه الملاليم ؟ وكيف يشتري الفدان من يفنى شبابه وكهولته في شراء الرغيف ؟ دع عنك الكساء الذي يشبه العرى ، والحفاء الذي يشبه النعل [1] والمسكن الذي يشبه القبر ، والحياة التي تشبه الموت .

هذا الجيش الكثيف من عمال الزراعة ، هو قبل غيره وفوق غيره عمادة الحياة في هذه الديار.

كلنا يعلم أن النيل المفضال إذا عجز عن فضله عاما هلكت مصر من العطش . وكلنا يعلم أن أرضنا المعطاء إذا عجزت عن عطائها عاما هلكت مصر من المجاعة ولكن يظهر أن أكثرنا يجهل أن عمال الزراعة هؤلاء إذا عجزوا عن العمل عاما فان يغنينا عامئذ نيلنا الفياض ، ولن يغنينا عامئذ وادينا الخصيب . إن فضل النيل وفضل الوادي كليهما رهن بفضل هذا العامل المظلوم . بأيدي أولئك العمال تدار القنوات والجداول على الحقول والرياض ، كما تدار كؤوس الرحيق على الشاربين . و بأيديهم يتعهدون الزرع والضرع ، كما تتعهد الأم طفلها الرضيع .

هم أوساط الله بين أرضه و بين المرزوقين الطاعمين من خيراته . أفليس لحامل الرزق أن يرتزق ؟ أفليس لوسيط الخير الإلهي أن يعيش من خير الله ؟

عمال الزراعة طهاة الطبيعة ، فكيف يجوع الطاهي ؟ هم مفاتيح كنوز مصر ، فكيف تبخل مصر عليهم بسد الرمق !

كأني بالأنعام لو نطقت ، لضجت بالرثاء لهذا الانسان . كأني بالثيران لو أبانت ، لطلبت أن يسوى بهم إخوانهم العمال في نفقات المعيشة . إن علف الثور يكلف أكثر من ضعف أجر العامل . والثور يأكل التبن الوفير ، و يأتدم بالفول المغذي نصف العام ، فإذا أقبل الربيع أقبل جنابه على الحقل المريع فرعى من الكلأ الغض ما لذ وطاب ، وهو ملحوظ بالعناية ، محفوف بالرعاية ، يحميه الحماة ، ويسقيه السقاة ، ولو أكل التضييع لطهى له الطهاة !

---

[1] من أسعد المصادفات أن تهب المكارم الملكية السامية لإنقاذ فقراء مصر من محرة الحفاء وعراه ، وأن يجيء كثير من سراتنا الى اتباع الخطوة الملكية المباركة وأن ينفق هذا كله وقت كتابة هـذا المقال . ونرجو أن يطرد التفكير في توفير وسائل الغذاء والكساء لهذه الطبقة البائسة ولو في المستوى الأدنى الذي يكفل لها الصحة وشيئا من الهناء في جدود حالتنا الاقتصادية .

من هذه الطبقة دون غيرها تجند فى مصر الجنود منذ عشرات وعشرات من السنين ، ففيم العجب ، إذا كان الهرب الرسمى ميسورا لأواسطنا وأكابرنا حتى اليوم ؟

وكيف لا يعذر اللاطمات الناديات وراء بنيهن المجندين ، كيف لا يعذرن إذا برمن بالجندية والتجنيد والجيش والتجييش ، ما دام الأغنياء أشد لها بغضا ، مع فرق واحد ، هو أن الأغنياء يجدون ثمن النجاة من هذا المكروه ، فيدفعون الثمن ويظفرون بالعافية ؟

وعلى هذه الصورة ، كان وما زال السجل الذى يحمل أسماء الجنود فى مصر ، سجلا يحمل فى الواقع أسماء المساكين أبناء المساكين ، الأميين أبناء الأميين .

ولو أن هذه الطبقة كانت ألفا أو مائة ألف لقلنا فان الخطب أقل ، لكنهم ملايين من الأيدى العاملة ، تعيش من كسبها ملايين من الأفواه الآكلة . وكسب الرجل الضايع منهم ثلاثة قروش !

نصف أمتنا جائع وهو الذى يشبع النصف الآخر .

نصف أمتنا الأعلى مصاب بالخدر ، فلا يكاد يشعر بآلام نصفها الأسفل . ونصفها الأسفل هو الذى يعمر الديار ، ويحمى الذمار ، دون أحلاس الحانات ، وسكان البارات ، ومن إليهم من أهل الطراوة والترف .

حمل الفأس فكان خير المجاهدين فى السلم قديما وحديثا ، وحمل السيف فكان قديما وحديثا من خيرة المحاربين .

انقذوا هذا البطل الوقى الصابر المتواضع . انقذوه من براثن الفاقة والذل ، انقذوه بمقاومة الجشع ، انقذوه بقوة القانون إن لم تساعدنا قوة الأخلاق .

محمد توفيق دياب

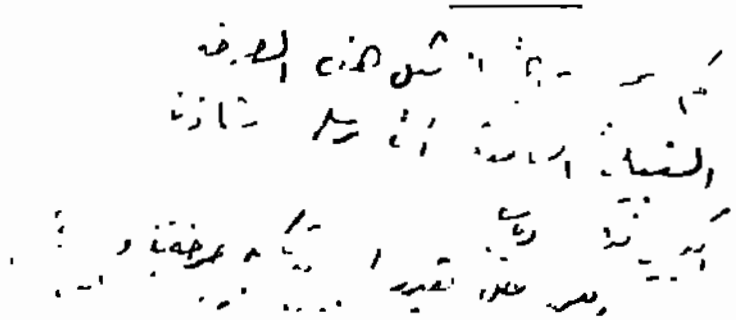

الشاب الأمثل

مصطفى كامل

لحضرة صاحب العزة الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك
المحامي وعضو مجلس الشيوخ

مات مصطفى كامل شاباً غير متجاوز أربعاً وثلاثين سنة. وحياته كلها حياة الشباب وقد بعث الحركة الوطنية من مرقدها وهو في ربيع الحياة. فهو جدير حقاً بأن يكون المثل الأعلى للشباب.

ليس مصطفى كامل مثلاً أعلا للشباب في الوطنية فقط، ولا في السياسة فحسب، بل للشاب المصري أياً كان أمله، وأياً كان عمله. هو مثل أعلى في الوطنية وفي الأخلاق وفي الإيمان لكل شاب وشابة: للتاجر والزارع والصانع، للموظف، للمحامي، للطبيب، للمهندس، للجندي، للضابط الصغير والكبير. هو مثل أعلى لكل اولئك جميعاً.

ما هي العوامل التي جعلت من مصطفى كامل هذا المثل الأعلى؟ إنها أسباب عدة تتركز في ثلاثة عوامل: إيمانه وعقيدته، ثم أخلاقه وصفاته، ثم وطنيته الصادقة.

إيمانه برسالته هو أبرز الجوانب في شخصيته. كان مؤمناً برسالته ومؤمناً بدعوته. فكان إيمانه أساس جهاده على تعاقب السنين. كان هذا الإيمان هو قوام شخصيته ومصدر قوته وولاءه لمبادئه الجهاد رغم العوامل المثبطة ولما نهض بدعوة الاستقلال في وقت تحالفت فيه عوامل اليأس والقنوط. لقد بدأت دعوته حوالي سنة ١٨٩٠ غريبة عن الأذهان بعيدة عن الأفهام حتى لقد تساءل معاصروه كيف تقوم حركة وطنية لاستخلاص الاستقلال من يد أقوى الدول نفوذاً وأوسعها سلطاناً؟ كانت دعوته تقابل بالاستخفاف حيناً وبالريبة حيناً آخر. ولكن إيمانه بالله وبحياة الوطن كان عدته في الكفاح والنضال فمضى في سبيله يذلل العقبات ويضطلع بأعباء الجهاد المضني حتى عمت دعوته وصارت عقيدة المصريين جميعاً.

كان مؤمناً بحياة مصر، مؤمناً بوجودها، مؤمناً بحقوقها، مؤمناً باستقلالها. فكتب سنة ١٨٩٥ وهو بعد في المرحلة الأولى من الجهاد: "يقولون إن وطني لا وجود له، وأنا أقول انه موجود وأشعر بوجوده بما آنس له في نفسي من الحب الشديد الذي سوف يتغلب على كل حب سواه، وسأجود في سبيله بجميع قواي وأفديه بشبابي وأجعل حياتي وقفاً عليه". ولقد أوفى بعهده وبرهن على إيمانه بحياة الوطن إيماناً جعله يجود في سبيلها بحياته وشبابه.

الى جانب هـذا الإيمان كانت صفاته وأخلاقه عوناً له في أداء رسالته. ولا غرو فالأخلاق هي سياج الوطنية وحصنها الحصين ومعينها الذي لا ينضب.

لقد كان مصطفى كامل زعيماً أخلاقياً. وزعيماً وطنياً معاً. فلا جرم أن كانت وطنيته ثابتة كالطود، راسخة كالجبال.

وأبرز أخلاقه وصفاته الشجاعة الأدبيـة ، والصدق ، والصراحة ، والاخلاص ، والصبر ، وقوة العزيمة ، والثبات ، والوفاء ، وعلو النفس ، وعلو الهمة ، والجود والكرم .

هذه الأخلاق كانت قوام وطنيته . وبهـا استطاع أن يسهر على دعوته ويثابر عليها ويناضل عنها طول حياته . ولولا قوة أخلاقه لمـا أمكنه أن يغالب العقبات ويقاوم المؤثرات والمغريات .

كان شديدا فى الحق ، يحب الصدق والصراحة ، ويكره النفاق والرذيلة . يجاهر بمـا فى ضميره بشجاعة أدبية كبيرة . لا يهاب فى الحق كبيرا . وكان مع ذلك وديعا يخفض جناحه للأصاغر وأواسط الناس ويعطف عليهم .

كان شديد الذكاء ، سريع الخاطر ، قوى الذاكرة ، بالغ الحجة ، عظيم النشاط ، محبا للعمل ، لا يكل منه ولا يعرف الملل والهوادة .

وكان وفيا بكل معانى الوفاء : وفيا لوطنه ، وفيا لأصدقائه ، بارا بأهله وذويه ، يعطف عليهم ويعد نفسه أبا لهم جميعا ، على صغر سـنه . انحصر حبه العائلى فى والديه وإخوته وأقاربه وذويه ، وظهر وفاؤه لوالدته حين مرضت فكان مشغول الفؤاد بمرضها شديد العناية بأمرها . كان يرسل أنباءها الى مدام جوليت آدم فى رسائله اليهـا . وقد حزن عليها حزنا شديدا حين توفيت فى ١٧ مايو سنة ١٩٠٧ . وكتب ينعاها الى مدام آدم بقوله :

" قد رزئت أكبر رزء فى الحياة . فإن والدتى العزيزة ، مالكة فؤادى ، قد فارقت الدنيا يوم الأحد المـاضى . إن حزنى لشديد . وحياتى كادت تنقضى ! " .

فهذا التعبير يدلنا على مبلغ وفائه لوالدته وحبه لهـا وتعلقه بها وحزنه عليها . وهذا لعمرى أبلغ مظهر لوفاء الانسان فى هذه الدنيا .

وكان رحمه الله جوادا كريما ، يعطف على الفقراء والمعوزين ويحبهم . فكان لهم نصيب وافر فى مدرسته ، إذ خصص للمجانية فيها قسما كبيرا لتعليم أولادهم . واليه يرجع فضل كبير فى مبدأ الاسعاف فقد عطف على قتيل حادثة الحمامية المشهورة بالاسكندرية فأسعف أهله بماله ومساعيه وعنى بتعليم ابنه بفضل ذلك المبدأ الكريم .

هذه هى صفاته وأخلاقه . أما وطنيته فماذا عسانى أن أقول عنها ؟ إن حياته هى سجل رائع لوطنيته الكبرى . فالوطنية تبدو فى كل ظاهرة من ظواهر حياته وفى كل حركة من حركاته وكل خاطرة من خطرات نفسه . ولا غرو فقد ملكت عليـه لبه ومشاعره ، وتفكيره وخياله وآماله ، فكانت حياته هى الوطنية وقد اقتبست منها الأمة نهضتها الوطنية . وهو الشـعلة التى انبثق نورها فى أرجاء وادى النيـل منذ خمسين سـنة فأضاءت النفوس وأحيت فيها الشعور الوطنى وحفزتها إلى الحياة والكرامة والجهاد القومى بعد سنوات طويلة من الانحلال الوطنى العام .

كانت وطنيته أسبق وأقوى من الجيل الذى ظهر فيه، وأقوى من الحوادث التى اعترضته. فليس يخفى أن هـذه الحوادث كانت فى مجموعها سلسلة هزائم مثبطة للعزائم . على أنه قد تغلب عليها بقوة الإيمان وبقوة الوطنية والأخلاق . وكان يزداد ثباتا فى الكفاح والنضال كلما ازدادت فى طريقه العقبات . وهنا وجه البطولة فى تاريخه .

وتبدو قوة وطنيته فى مثابرته على الكفاح ، وفى هذه الحركة الدائبة التى لم تنقطع. فهذه الحركة التى لم يعترها الكلال فترة ما خلال الثمانى عشرة سنة التى قضاها فى الجهاد — من سنة ١٨٩٠ حتى توفى سنة ١٩٠٨ — هى عنوان وطنيته .

وثمة عنوان آخر لها. وهو أن جهاده كان خالصا لله والوطن ، إذ كانت دعوته لا ترمى الى الحكم والمناصب أو الجاه والمنافع ، بل كانت سلسلة متصلة الحلقات من الجهاد والتضحيات ، ومن هنا تتجلى بطولتها ، ويسطع نورها وروعتها . فهذا الروح ، روح الاخلاص والتضحية ، هو رأس مال الشعوب فى حياتها القومية لأن الأمم انما تتميز فى ميادين الرقى والعظمة بمقدار إخلاص أبنائها لأوطانهم وتفانيهم فى خدمتها وإيثارهم الصالح العام على منافعهم الشخصية .

كان رحمه الله لا يهتم طول حياته الا بالوطنية يبثها فى نفوس النشء والجيل . وكانت سبيله الى غرسها فى النفوس الدعوة والصحافة والخطابة والتأليف والقدوة الصالحة فى الاستمساك بالعروة الوثقى . كان معلما للجيل . أرشد الامة الى المثل العليا فى حب الوطن والإخلاص له ، ولذلك كان يعنى بالتاريخ الوطنى لجميع الشعوب يستخلص منه دروس الوطنية الصادقة ويلقنها لبنى مصر . كتب فى هذا الصدد الى مدام جولييت آدم فى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٩٩ حين اعتزم إصدار اللواء يقول " أشكرك كثيرا اذا تفضلت بإرشادى الى المؤلفات الخاصة بالتاريخ القومى والقصص الوطنية عن كل البلاد لكى ألقن الشعب إياها فإنه يجب أن أنشر المثل العليا فى الوطنية " .

وكان فى دعوته وجهاده ، وفى مقالاته وخطبه وأحاديثه يسمو بالوطنية وينزهها عن الخصومات الشخصية والمطامع الذاتية ، ويربأ بها عن الطعن فى أعراض الناس وشخصياتهم . كان عف القلم ، عف اللسان . وفى ذلك يقول فى خطبته فى الاسكندرية سنة ١٨٩٦ " انى أترفع عن أن أدافع عن بلادى بالطعن والسباب " .

وكان يحث الشباب على العمل الحر والاعتماد على النفس فى الحياة ، ويرغبهم فى استثمار مرافق البلاد الاقتصادية ، ويحبب اليهم الاستقلال الشخصى لكى يمهد الجيل الى الاضطلاع بأعباء الاستقلال القومى .

قال فى خطبته بالاسكندرية سنة ١٨٩٧ " اتركوا الأبناء معشر الآباء فى الحياة الحرة . اتركوهم يخدموا الوطن ويخدموا أنفسهم فى غير دائرة الوظائف . اتركوهم أحرارا غير مقيدين

بقيود الرواتب . ابعثوا بهم الى الخارج ليدرسوا التجارة والصناعة ، ويؤسسوا فى البلاد المعامل والمصانع ، تزدادوا بذلك شرفا وفخرا ، وتزدادوا امام الله وأمام الوطن مثوبة وأجرا"

وقال فى هذه الخطبة أيضا " اذا أهملت تربية الأمة وبقى الكبراء منعكفين على إدارة شؤونهم الخاصة ، واستمر الآباء يعدون أبناءهم للتوظف والوظائف ، وبقيت التجارة والصناعة فى كساد ، ودامت الأمة فى حاجة الى استجلاب لوازمها الضرورية من غير بلادها — دام الانحطاط ، ودام التأخر ، ودام الخطر"

لم يكن مصطفى كامل إذن داعيا الى الاستقلال السياسى فحسب ، بل كان داعيا الى الاستقلال الاقتصادى وهو الركن الأساسى للاستقلال الوطنى وبدونه يصبح هذا الاستقلال صورة وهمية ، بل يصبح أثرا بعد عين . لأن الأمة المستعبدة ماليا واقتصاديا لا يمكن أن تكون حرة ولا مستقلة من الوجهة السياسية .

كان مصطفى مثلا أعلى للشباب فى الوطنية والعمل لإسعاد الوطن وبنيه . قال فى خطبته بالاسكندرية سنة ١٨٩٨ " الحياة جهاد ، والعمر قصير ، وخير الناس من جاهد فى سبيل بلاده ، وعمل لخيرها ، وناضل عن حقوقها" . وقال سنة ١٩٠٠ " إن قيام كل رجل حى الشعور شريف الميول بواجباته نحو هذه البلاد العزيزة يرد اليها حريتها ومجدها وعزها " . وقال سنة ١٩٠٤ " إن روحى تتغذى من حب الوطن ، وبغيره لا أستطيع الحياة ، إذ لا قيمة للحياة بغير هذا الحب الرائع العظيم الذى يفيض على المرء كل سلوى وكل سعادة حتى فى شقائه وبخاصة فى الشقاء حيث لا يجد الانسان القوة والأمل إلا فى هذا الحب" .

وكتب إلى مدام جولييت آدم فى ٣ أغسطس سنة ١٩٠٦ يقول "غدا تذكار ميلادى ، إذ أبلغ الثانية والثلاثين . وما عساى أن أعيش لأخدم مصرنا العزيزة ؟ وعلى كل حال فإنى لا أترك لحظة تمر من حياتى دون أن أغرس حبها فى قلوب مواطنى . وأتمم عملى إلى النهاية" .

كان مصطفى زعيم الوطنية . كان زعيم الأمة على اختلاف طبقاتها . وكان قبل كل شىء زعيم الشباب ، وقدوة الشباب . كان يعلق آماله على تكوين جيل من الشباب يكونون عدة البلاد وجنودها فى نهضتها السياسية والعلمية والأخلاقية والاقتصادية .

فما أجدر الشباب فى كل وقت وفى كل جيل أن يتخذوا من تاريخه مثلا أعلى فى تكوين أنفسهم وإعدادها لأداء واجباتهم القومية . ما أجدرهم أن يعملوا بقول حافظ ابراهيم مخاطبا الشباب سنة ١٩٠٩ لمناسبة ذكراه الأولى :

يا أيها النشء سيروا فى طريقته ... وثابروا رَضِىَ الأعداء أو نقموا
فكلكم "مصطفى" لو سار سيرته ... وكلكم "كامل" لو جازه السأم

عبد الرحمن الرافعى

الثروة القومية

وزيادة عدد السكان

بقلم الكاتب الكبير الأستاذ عبد المجيد نافع
المحامى وعضو مجلس النواب

اليوم تواجه مصر أزمة اجتماعية خطيرة إن لم يتداركها المصلحون ازدادت على الأيام خطورة : تلك هى أزمة زيادة السكان على موارد الثروة بصورة تحمل أشد الناس تفاؤلا على أن يشفق من أن يهدد الفقر كيان هذا الشعب .

فالحق الذى لا مراء فيه أن عدد سكان هذا الوادى يقفز نحو الزيادة و يطفر على حين أن موارد الثروة القومية تحبو وتتعثر ، فإذا كان النيل يوشك أن يضيق اليوم ذرعا بالنازلين على ضفافه ، فأخوف ما يخافه المصلحون أن يختنق الأهلون فى الغد اختناقا ، والأرقام التى لا تنطق عن الهوى تدق ناقوس الخطر وتنادى بصوت عال رهيب ، إن سياسة النعامة لا تنفع هذا الشعب من براثن البؤس الذى يضطرب فيه ، بل هوة الفناء التى يوشك أن يتردى فى أعماقها .

وندع الأرقام تتكلم حتى لا نتهم بانا مسرفون فى التطير ، فلقد بلغ عدد السكان ، وفقا لتعداد عام ١٩٢٧ : ١٤,٢٧٢,٦٠٠ نسمة ، وفى عام ١٩٣٧ زاد الى ١٥,٩٦٥,٠٠٠ أى فى مدى عشرة أعوام بلغت الزيادة ١,٦٩٢,٤٠٠ وكانت مساحة الأراضى المنزرعة ، فى عام ١٩٢٧ : ٥,٥٤٤,٣٦١ فدانا ، ثم هبطت فى عام ١٩٣٦ إلى ٥,٣٦١,٣٨١ فدانا .

ونضع أمام الأنظار صورة أخرى تبين أنا لا ننظر إلى الأشياء من وراء منظار أسود. ففى عام ١٨٩٧ كانت مساحة الأراضى الصالحة للزراعة ٥,٠٤٧,٦٩٨ فدانا و بعد ثلاثين عاما أى فى سنة ١٩٢٧ بلغت تلك المساحة ٥,٥٤٤,٣٦١ فدانا ، وفى سنة ١٩٣٦ لم تكن الأرض الصالحة للزراعة إلا ٥,٣٦١,٣٨١ فدانا . وفى الفترة ما بين عامى ١٨٩٧ و١٩٢٧ زاد عدد السكان بنسبة ٤٦,٣ ٪ فى حين أن المساحة المنزرعة لم تزدد إلا بنسبة ٩,٨ ٪ ، وفى الفترة ما بين ١٩٢٧ و ١٩٣٧ كانت الزيادة بالنسبة لعدد السكان ١١,٩ ٪ و بالنسبة للأراضى المنزرعة ٣,٣ ٪ وعلى الجملة ففى خلال الأربعين عاما الأخيرة أى ما بين ١٨٩٧ و١٩٣٧ زاد عدد السكان بنسبة ٦٣,٧ ٪ على حين أن الأرض الصالحة للزراعة لم تزد مساحتها إلا بنسبة ٦,٢ ٪ ، وفى صورة أوضح أن نسبة زيادة عدد السكان قد بلغت عشرة أضعاف نسبة

زيادة الأراضي المنزرعة ، وأن الأولى فى نمو مطرد فى حين أن نمو الثانية يكاد ألا يكون محسوسا .

من هذا نرى أن زيادة السكان تثب وثب الأرانب ، على حين أن زيادة الثروة الأهلية تزحف كما تزحف السلحفاة . فكيف السبيل إلى إطعام هـذا الشعب الذى يتهدده الجوع فى المستقبل القريب ؟ !

لقد سخر الناس وما زالوا يسخرون من مالتس ، الاقتصادى الانجليزى المعروف ، عندما أخذ بأصبع الإنسانيـة فوضعها على الخطر الجاثم فى ثنايا المستقبل ، إذ نادى بأن عدد السكان فى كل بلاد الدنيا يتضاعف كل خمسة وعشرين عاما مع أن موارد الثروة لا تزداد إلا قليلا ، وعلى هذا الاعتبار تصبح الإنسانية مهددة بالفاقة والبؤس إن لم تبادر إلى وضع حد لقصر نظرها وقلة تبصرها بوضع حد لكثرة تناسلها . بل لقد توغل الرجل فى التشاؤم إلى حد اصطناع الرضا والاغتباط بالحروب والأوبئة والأمراض التى تحصد الناس حصدا فتحقق التناسب بين عدد الناس ومقدار الثروة التى يعيشون منها .

وترى فى الغرب ، بل فى أكثر بلاد العالم ، أشياعا لمـالتس يدينون بمذهبه و يعملون جاهدين على ترويج دعوته ، فيؤذنون فى الناس بضرورة ضبط النسل وتحديد عدد المواليد .

وأمعن كارل ماركس فى السخرية بالمثل العليا ، فملأ فاه بأن البطون ، لا النماس المثل العليا ، هى مصدر الانقلابات التى غيرت وجه التاريخ . ولم تحرك ضمائر دعاة الحرب وأشياع المجازر البشرية أمام الجمهور بأن الخبز لا المبدأ ، هو الذى يدفع إلى سياسة الحديد والنار .

لا نريد أن نثير جدلا حول ما ذهب اليه هؤلاء وأولئك و إنما نجترئ القول بأن الخطر الذى هوّل به مالتس ، إن لم يكن ماثلا بمصر حالا ، فلا أقل من أنه وشيك الوقوع ، ومن لم يمدد بصره إلى خمسين سنة مقبلة فليس خليقا بأن يتصدى للإصلاح ولا حقيقا بأن يتصدر لحكم الشعوب .

لكن ، هل نندفع فى تيار الضلالة الذى اندفع فيه مالتس فننادى بتحديد النسل ، وهل نرى فى هذا التحديد علاجا للمشكلة التى نواجهها اليوم ؟

نحن لا نتردد فى الجواب بلا فى الأولى وفى الثانية .

أجل ، لا ينبغى لنـا أن نتردد لحظة واحدة فى اطراح نظرية تحديد النسل ظهريا ، بفضلا على أنها متعذرة التحقيق ، فهى موهنة لقوى الدولة ، والطبيب لا يعمد إلى عملية البتر والاستئصال وله عنها مندوحة ، اللهم إلا أن يكون قد أضمر أن يوفر على نفسه مشقة علاج المريض .

فإما أنها مستحيلة التنفيذ ، فلأن الفلاحين والعمال وهم سواد الأمة الأعظم ، قد تمكنت العاطفة الدينية من نفوسهم وأخذوا بوصية نبيهم الكريم التى تأمرهم بأن يتناكحوا ليتناسلوا ،

وهم لا يعارضون إرادة الله الذى شاءت قدرته أن ما من دابة فى الأرض إلا عليه رزقها . ثم أضيف إلى هذا العامل الدينى عامل اقتصادى لا يقل عنه قوة وتمكنا ، فالفلاح والعامل كلاهما يوقن بأن كل مولود جديد إنما هو رأس مال يضاف إلى ثروته الضئيلة المتواضعة ، وأمان له من العجز ، وتأمين ضد الشيخوخة حين تقعدبه السن عن كسب العيش .

وأما أن تحديد النسل مضعف لقوة الدولة ، فلأن علماء الاجتماع قد فرغوا من تقرير الروابط الوثيقة بين عدد سكان الأمة وقوتها من الناحيتين الاقتصادية والحربية . فإذا اعتبرنا العمل مقياس ثروة الدولة ، كان كل فرد وحدة تضاف إلى التراث القومى ، وكانت هجرة الأفراد إلى الخارج التماسا للرزق بمثابة فرار رءوس الأموال الوطنية إلى البلاد الأجنبية ، وكان تدفق المهاجرين من الخارج بمثابة موجة تطغى على البلاد فتغمرها وتنتزع الأرزاق من أفواه بنيها .

وحرام فى حق الوطن أن تختمر فى بعض الرءوس فكرة تحديد النسل ، وها نحن أولاء نشهد فى هذا المعترك الدولى الدموى الهائل أن القوى يسحق الضعيف تحت قدميه غير وان ولا مترفق ، بل غير متورع ولا متأثم . فإلى أن يستيقظ الضمير الانسانى من هجعته ، وإلى أن تبرأ الطبيعة البشرية من أدرانها ، ينبغى للأمم أن تعمل على استكمال أسباب القوة بدل أن تتبرع باستجلاب عوامل الضعف .

قد يكون الشعور أهدى من العقل أحيانا . والفلاح والعامل اللذان يهتديان فى الحياة بفطرتهما السليمة من شوائب تلك المدنية المادية الصاخبة ، قد آمنا بأن ليس من الخير فى شىء أن يتحدى نواميس الفطرة ، وبأن الشر كل الشر فى تغلب الأثرة على الإيثار .

وهل تحديد النسل إلا الأنانية فى أبشع مظاهرها والعجز فى أقبح صوره ؟ فأى مصلح اجتماعى هذا الذى يرضى أن يكون مسجلا للعجز والأنانية ؟ ! .

إن الشاب الذى توافرت له أسباب الزواج ثم يحجم عنه لهو جبان لا يقل خزيا وعارا عن الجندى الذى يفر من ميدان القتال وازره متأججة . وإن الزوجين اللذين يعملان على تحديد الخلف فيعاندان قوانين الطبيعة لهما أنانيان فى شر صور الأنانية ، بل هما من الأنانية بحيث يغفلان عن الوطن الخالد وحقوقه ، وينصبان من الذات الفانية صنما يعبدانه ، والمشرع الذى يجعل المصلحة العليا للدولة قبل كل شىء وفوق كل اعتبار لا يحجم عن أن يضرب الجبان فى جبنه والأنانى فى صميم أنانيته .

لنسقط من حسابنا إذن أسطورة تحديد النسل علاجا للأزمة ، وللمستكثر من النسل إن استطعنا إلى ذلك سبيلا .

ولكن ما العلاج ؟ العلاج أن نعمل جاهدين على تنمية موارد الثروة الأهلية، واستخلاص ما يكون منها بأيدى الأجانب، وأن نلق على المصرى نظرة اصلاح فنؤمنه بعد خوف ، ونطعمه بعد جوع ، ونكسوه بعد عرى ، ونبرئه بعد مرض ، ونعلمه بعد جهل ، مخافة أن نكون من الهالكين .

مصر بلد زراعى، والزراعة هى المصدر الرئيسى لثروته، وعندنا أنه لو اتبعت الأساليب العلمية فى الزراعة لأتت أكلها أضعافا مضاعفة . وكيف نعتمد على محصول رئيسى واحد يكون تحت رحمة الظروف ؟ وكيف لا نعمل على تنظيم الأسواق الداخلية وفتح أسواق خارجية والقضاء على الوسطاء فى الداخل والخارج ، تلك الطفيليات الانسانية التى تمتص دماء المنتجين ؟ وما يمنع مصر أن تكون ، وهى البلد الزراعى الذى تضرب بخصبه الأمثال ، مصدرة للفواكه والخضر ؟ أليس عجيبا بل مؤلما أنه فى عام ١٩٣٩ لم تتجاوز صادراتنا من الموالح ٧٦,٠٠٠ جنيه فى حين أن صادرات فلسطين منها قد بلغت ٣,٧٠٠,٠٠٠ جنيه ؟ !

ويا عجبا كل العجب لهذا القطر الزراعى الذى تنقلب فيه الأوضاع وتنعكس الآيات إلى حد أن يستورد اللحوم من السودان وسوريا وفلسطين والعراق ، بدل أن يوردها اليها وإلى غيرها ؟ بلى يا ألما كل الألم لمصرنا التى لا تجد الصناعات الزراعية الناشئة فيها تشجيعا يعينها على النهوض فتستورد من الجبن ما تربى قيمته على ١٦٩,٢٦٤ فى السنة وقد كان خليقا بها ألا تتخلف عن هولندا والدانمارك فتغمر العالم بالألبان ومنتجات الألبان .

واستصلاح الأراضى البور، ولدينا منها أكثر من مليون ونصف مليون فدان ، وهى تكفى لإطعام أكثر من نصف سكان القطر المصرى ، ماذا يعوزنا لاستصلاحها ؟ آلمياه أم المال أم الأيدى العاملة ؟ فأما المياه فيقول الثقات إن ١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعب تذهب فى البحر الأبيض المتوسط هدرا بين شهرى مارس وأغسطس من كل عام . فاذا كان الحجر جزاء من يبدد أمواله ، فما أخلق هذا الشعب الذى يلقى بتلك الجواهر جزافا أن يلقى مثل ذاك الجزاء ! والثروة المائية التى يخلفها لنا النيل فى باطن الأرض لماذا لا نستغلها ؟ أو لم يحدثنا المقريزى أن بحيرة المنزلة كانت أرضا مزروعة حتى نهاية القرن العاشر ؟ أو لم تكن البرارى فى التاريخ القديم سهولا زاهية بالزراعة مزدهرة بالسكان ؟ أو لم تكن منطقة مريوط مخضرة الوجه بالنبات ؟

و إذا كان العمل هو وحدة الثروة فى الأمة ، فما أجدرنا أن نعلن التعبئة العامة ونجند الشبان من مختلف الطبقات للعمل ، بين السادسة عشرة والرابعة والعشرين ، لا فى إصلاح الأراضى البور وحدها ، بل فى جميع المشروعات الحيوية ، فنحيى فيهم الروح القومى ، ونوقظ فى نفوسهم شعور التضامن الاجتماعى ، ونمحو من بين صفوفهم فروق الطبقات وتصرفهم عن احتقار العمل اليدوى .

لا يتوهمن أحد أنا نبعث السخرة من مرقدها فإنما نحن نحقق مبادئ الديمقراطية فى أجل مظاهرها .

ولئن كان يعوزنا الفحم الأسود فليس يعوزنا الفحم الأبيض لإنهاض الصناعة . وهذه مساقط المياه فى خزان اسوان تتيح لنا استنباط القوى الكهربائية الهائلة منه مما يعين على استخراج ماتحتاج اليه مصر من السماد والحصول على كميات وافرة من الحديد الخام تزدهر بها الصناعات المصرية .

وإذا كان ٨٠ ٪ من المصريين يعيشون على الزراعة فلا يجمل بنا أن ننسى أن عدد العمال فى عام ١٩٣٧ قد أربى على المليون ، وما أحسبه الا فى طريق الزيادة المطردة ، مما يدل أصرح الدلالة على أن موارد الزراعة وحدها لاتكفى ، وأن من الضرورى أن تمشى معها الصناعة جنبا الى جنب ، وان على الدولة واجبا مقدسا أن تعمل بكل الوسائل على تنشيط الصناعة .

ومن حق الأمة على الدولة أن تعينها على استخلاص مرافق البلاد من أيدى الأجانب ، وأن تقيد هجرتهم وتحملهم على قبول المصريين فى شركاتهم ، وأن تخفف الاعباء عن الثروة العقاريه ما استطاعت ، وأن تساعد على انشاء الشركات الأهلية لاستغلال الثروة المعدنية والبترول ، وأن تعمد الى اصدار الأوراق المالية لتغطية نفقات المشروعات القومية ، وأن تنظم الهجرة الداخلية ، وتقيد الهجرة الى المدن على حساب الريف ، فكل من يستقرئ الاحصاء يهوله أن يعلم أن فى بعض المناطق المصرية لايوجد الا عشرة أشخاص فى الكيلو متر المربع فى حين أنه يوجد فى بعض المناطق الأخرى الف شخص .

وعلى الدولة أن تلغى الضرائب جميعا وتنشئ محلها ضريبة الدخل التصاعدية ، وبذلك تخفف من آثار سوء توزيع الثروة وتحقق مبادئ العدل الاجتماعى . وعليها أخيرا ، وليس آخرا ، أن تشجع صيد الأسماك فقيمته عظيمة فى التغذية الشعبية .

وما ينبغى للدولة أن تحجم عن فرض ضريبة على العزاب ، وتقديم الإعانات للعائلات الكثيرة العدد ؛ وإعفائها من الضرائب فى مختلف صورها لتكفل لها حدا أدنى للمعيشة بل لرفع مستوى المعيشة ، وإيثار المتزوج على غير المتزوج فى التعيين للوظائف ، وإيثار الزوج ذى الولد على الزوج غير ذى الولد فى الدرجات والترقيات والعلاوات ، وينسحب هذا الإيثار على المساكن الشعبية بين طبقات العمال ، ورعاية الأمومة والطفولة ، والمساعدة فى علاج الأولاد وتعليمهم .

لسنا نكلف الدولة شططا ، ولكنا نطلب أن تنهض بواجبها فى حدود واجبات الدولة العصرية ، فتعمل على استغلال المرافق القومية ، وبذلك تحمى الأمة من التردى فى هاوية الفناء ، ثم تترقى فتكفل لها قسطا من السعادة والرخاء .

عبد المجيد نافع

بين القول والعمل

بقلم الدكتور ابراهيم مدكور
عضو مجلس الشيوخ والأستاذ بكلية الآداب

لقد كثر حديثنا فى السنوات الأخيرة عن الإصلاح فى متعدد نواحيه ، بين اقتصادية وسياسية وأخلاقية وثقافية وصحية واجتماعية ، فنظمت لذلك الحفلات وأقيمت المؤتمرات وألقيت الخطب الطويلة والمحاضرات ، وأفتن القادة والمصلحون فى وضع البرامج والبيانات. وليس غريبا أن يطول حديثنا عن الاصلاح ونحن من أحوج الناس اليه ، وليس إسرافا أن يردد المصلحون دعوات واحدة وينادوا بآراء مشتركة أو متقاربة ، فمظاهر النقص بادية للعيان ونكاد نتفق عليها جميعا ، ولا بد من الضرب على نغمة واحدة أحيانا ليستيقظ النائمون. وما نهضتنا الأخيرة إلا شعور صادق بما نعانى من أعباء الماضى وويلاته ، ورغبة أكيدة فى أن نبدد غياهب هذا الظلام ونخرج منه الى حياة سعيدة كاملة ينعم بها أبناء الشعب على السواء .

ولكن الغريب فى الأمر أنا أحسنا القول ولم نحسن العمل ، وفشلنا فى التطبيق بقدر ما نجحنا فى رسم الخطط والبرامج ، فنحن قوالون لا فعالون ، ونظريون أكثر منا عمليين . ولو شابهت أعمالنا أقوالنا لخطونا فى سبيل النهوض والاصلاح خطوات فسيحة ، ولو اقترب مظهرنا ومسلكنا من آرائنا ونظرياتنا لذللنا الصعاب ووصلنا الى أسمى الغايات . ولكنا مع الأسف نبهر السامعين بما نرسمه من مثل عليا وما نصبو إليه من أغراض نبيلة ، فاذا ما انتقلنا الى التنفيذ — أفرادا أو جماعات ، حاكمين أو محكومين — بلينا بفشل ذريع وخيبة أمل قاتلة .

تلك ظاهرة نلحظها جميعا ونسلم بها تمام التسليم ، و يودى أن أتعرف أسبابها ، وأبين فى اختصار: لم — اتسعت مسافة الخلف بين القول والعمل ؛ واعتقادى أن ذلك راجع الى عوامل كثيرة :

أهمها أنا لا نؤمن بما نقول ولا نصدر فيما ندعو اليه عن إخلاص و يقين ، وكل همنا أن نجتذب الأسماع زمنا ونستلفت الأنظار حينا ، ويكفينا أن يصفق لنا المعجبون بنا الآن . وأما ساعة الحساب والبحث عن النتائج فبعيدة وقد لا تجىء ، ونحن إنما نتشبث باللحظة الحاضرة تاركين ما وراءها من لحظات ، ونطمع دائما فى سعة صدر الجمهور

وصفحه وغفرانه لكثير من السيئات . فلنتحدث إذن عن الاصلاح . حديث خلاب وعبارة طلية ، ولملأ الناس آمالا ووعودا ما داموا يستطيبون ذلك ، وهم بحمد الله لن يسألونا عما قدمنا ، وان يحاسبونا على ما فعلنا .

وأستطيع أن أؤكد أن كثيرين ممن يتظاهرون بالشفقة على الفلاح والعامل ويرثون لحالهما ويألمون لبؤسهما وشقائهما يضنون عليهما بشيء من الرفاهية والنعيم اذا ما وجدوا السبيل الى ذلك. ولست فى حاجة لأن أشير الى تلك البيانات السياسية والحزبية التى توضع وكل القصد منها اجتذاب الطوائف والجماعات . فمشروعاتنا الاصلاحية فى قدر منها وسيلة لا غاية ، تحيا بحياة الغرض الذى خلقت من أجله وتموت بموته ، وهى أقرب الى الدعايات منها الى الدعوات الحارة الصادقة ، ومشروعات هذا شأنها لا يمكن أن توصل الى نتيجة ولا أن يبدو لها أثر عملى واضح .

وهناك سبب آخر يساعد بين أقوالنا وأعمالنا ، ألا وهو أن القول أيسر عادة من العمل ، فسهل على كثيرين أن يتكلموا فى حين أن من يحسن العمل قليل ، لأنه يتطلب قدرا أعظم من المرونة والدربة ويعتمد على الخبرة والتجربة . وليس يكفى أن نعتنق فكرة لننفذها ولا أن نجهر برأى لنسير على مقتضاه ، وما أحوجنا الى المرانة فى كل مظاهر حياتنا ، فزارعنا وصانعنا أو تاجرنا أو صاحب رأس المال فينا ليس لديه من سعة الحيلة وحسن التصرف ما يمكنه من أن يخلق ويجدد ويخترع ويبتكر . والإصلاح فى أبسط صوره تقويم وتجديد ، فكيف يتحقق على أيدى رجال لاسبيل لهم الى الخلق والابتكار ؟

وأنا واثق كل الثقة من أن معظم القائمين بالأمر فينا لا تنقصهم الرغبة فى النهوض والإصلاح ، وإنما تعوزهم الوسائل الناجعة والارادة القوية والهمة العالية والشروع والتنفيذ . وإذا تتبعنا خطب العرش فى العشر السنوات الأخيرة وجدناها تلتقى فى معان كثيرة ، والفارق الجوهرى بين واضعيها هو أن بعضهم طبع على حب العمل وامتاز بمضاء العزيمة وسرعة الانجاز فى حين أن البعض الآخر بطىء السير متثاقل الخطى مصاب بداء الحيرة والتردد والامعان فى البحث والتحرى الزائد عن حده . وإذا كنا نتحدث عن سلطة تنفيذية فما ذاك إلا لأننا نلحظ فيمن يضطلعون بها أولا وقبل كل شيء الجانب العملى ، وكم يصعب التنفيذ على رجال لا عهد لهم به ولا خبرة لهم فيه .

ولا يفوتنى قبل أن أجاوز هذه النقطة أن أشير إلى أن تعليمنا فى جملته يعنى بالأقوال أكثر مما يعنى بالأفعال ، وجانبه النظرى أوضح من جانبه العملى ، وفى هذا ما يقعد بنا عن تحقيق مشروعات كثيرة ، وما يدفعنا إلى التشبث بالالفاظ والعبارات دون البحث عن حقائق الأشياء ، وما يحبب الينا الحوار والمناقشات البيزنطية القليلة الجدوى . وربما كان

مفهوما أن تسود هذه النزعة فى المعاهد التى تعنى بالبحوث النظرية والدراسات العقلية. فأما أن نعدو إلى المعاهد الفنية والمدارس العملية ففى ذلك الخطر كل الخطر . ولقد بدأنا نلمس بأيدينا هـذا العيب ونحاول أن نتلافاه فى تلك المدارس ، وحبذا لو ألقينا نظرة شاملة على تعليمنا فى مختلف مراحله ، وخلصناه ما استطعنا من تلك الروح البالية ، روح الألفاظ والعبارات الخالية من المعنى ، وسلكنا به مسلكا أقرب إلى النشاط والعمل . فإن رمز جيلنا الحاضر سرعة البت ووفرة الانتاج ، وأبناء هذا الجيل — فى السلم أو فى الحرب — أشبه ما يكونون بجماعة فى صراع عنيف دائم لا يفوز فيه إلا من عبأوا جهودهم وحشدوا مواهبهم وكانوا أسبق إلى الغاية والهدف .

وأخيرا يخيل إلىّ أنا نحس بعد المسافة بين أقوالنا وأعمالنا ، لأنا نغالى فى رسم خططنا الإصلاحية ونبعد بها كل البعد عن عالم الواقع ، فنأبى إلا أن نستمسك بالمثل الأعلى والغاية السامية ، ثم يعز علينا الوصول إليها فتوقف عن السير وينقطع بنا الطريق . ولا تكاد تطلب إلى فرد أو جماعة وضع مشروع ما إلا بحث عن أرقى صورة فى البلاد الأوربية ، وزعم أنه يستطيع تطبيقها علينا سواء اتفقت مع ظروفنا وحاجاتنا أو لم تتفق . وما أجدرنا بأن نتدرج فى سيرنا ونجارى أحوالنا الاقتصادية والاجتماعية إن كنا نريد إصلاحا تتقبله النفوس ويسمو على مر الزمن . وطبيعة الأشياء تأبى الطفرة كما يقولون ، إلا أن حب الزهو أحيانا أو الرغبة فى التفوق أحيانا أخرى تدفعنا إلى افتراض فروض لا أساس لها ، وتجعلنا نعلو علوا لا يوصل إلى شىء . وكم من حركات إصلاحية ماتت مع الأسف فى ساعة مولدها ، لأنها لم تلتئم مع البيئة التى نشأت فيها .

ولا أظننى فى حاجة لأن أطيل فى سرد الأمثلة والوقائع للتدليل على ما أقول ، وأكتفى بأن أشير الى مثلين اثنين يتصلان بتعليم أبناء الشعب والعناية بصحتهم . فأما الأول فيرتبط بمشكلة التعليم الأولى المعقدة ، ولا أريد أن أعرض لها هنا فى أطرافها المتشعبة ، وانما أود فقط أن أوجه الأنظار إلى أبنية المدارس الأولية . فقد وصل بنا التفنن فيها أحيانا حدا أصبح معه أبناء القرى يبغضون مساكنهم ومأواهم ، لأنهم يقضون نصف اليوم أو كله فى دار عامرة وبناء فخم لا صلة بينه وبين ذلك الجو الذى يعيشون فيه . ولو اعتدلنا فى الانفاق على هـذه الأبنية لجاءت ملائمة لبيئتنا واقتصد المال الذى يمكننا من أن نفتتح مدارس بدل مدرسة ونعلم قرى لا قرية . وكذلك الشأن فيما يتصل بمشروع المستشفيات القروية ، فإنا كنا نقدر فى سنة ١٩٢٩ أنه لن تمضى عشر سنوات إلا وقد انتشرت فى معظم بلاد القطر . ولكن لم يلبث المشروع أن تضخم علينا وبالغنا فيه بحيث لم نستطع تنفيذ وعودنا القديمة ، وبدل أن كنا ننوى إنشاء أربعين مستشفى كل عام نزلنا الى عشرين ، ثم إلى عشر ، ثم إلى خمس ، ثم إلى لا شىء ، على الرغم من أنا اشترينا الأراضى فى بعض

القرى لهذا الغرض، وفضلنا أخيرا أن نشغل بمستشفيات المدن والعواصم على أن نفكر فى أبناء القرى البؤساء .

ولئن كانت لى ملاحظة بهذه المناسبة فانى أتجه إلى وزارة الشئون الاجتماعية راجيا أن تستفيد من هـذه التجارب فيما يتعلق بالمراكز الاجتماعية التى تنوى إنشاءها ، وان كنت لا أدرى بالدقة متى تتمخض خزانة الدولة عن اعتمادها الذى أقره البرلمان ورحب به كل الترحيب . وخير لنا ألف مرة ومرة أن ننشئ عشرة مراكز اجتماعية متواضعة من أن نقيم مركزا واحدا يكون مثالا فى العظمة والجلال .

هذه هى أقوالنا وتلك هى أفعالنا ، وأعتقد أنا تكلمنا طويلا وعملنا قليلا ، وأن ساعة القول قد انقضت وحانت ساعة العمل . وإذا لم يكن بد من رفع راية الاصلاح فقد رفعناها عالية منذ زمن ، وإذا كنا فى حاجة إلى دق ناقوس العمل فقد دق عدة مرات ، ولم يبق إلا ان نسارع جميعا إلى مصنع النهوض والتجديد ليدلى كل فيه بدلوه ويقوم بواجبه .

حقا إن دعوات الاصلاح والحركات الاجتماعية بوجه عام لابد أن تقوم على أساس من الآراء والنظريات ، إلا أن الفكرة التى لا تعقب عملا عقيمة كل العقم ولا قيمة لها ، والنظرية التى لا تقبل التطبيق خيال فى خيال . ومن حسن الحظ أنا بدأنا نحاسب الناس على أعمالهم أكثر مما نحاسبهم على أقوالهم ، وأخذنا نوازن بينهم فى ضوء ما عملوا لا تأثرا بما قالوا . فهناك شبه إعراض عن الكلام الخلاب ، ونفور من الدعاوى الطويلة العريضة ، وشعور له خطره وخطورته بأن متكلمينا أكثر بكثير من منجزينا .

فنحن فى حاجة ماسة إذن إلى قدوة عملية فى كل شىء : نريد من الرجل فى أهله ، والمعلم بين تلاميذه ، والمدير فى إدارته ، والوزير فى وزارته أن يكون قدوة محسوسة يرسم الخطط ويسلك سبيل التنفيذ . ولرب عمل ضئيل أجدى على الأمة والوطن من حديث طويل لاطائل تحته ، ورب إنتاج متواضع أبلغ فى الدلالة على صاحبه من طنطنة كاذبة لا أساس لها . وإذا كانت أحكامنا وآراؤنا العامة ليست من النضوج والدقة بحيث تقيس الأعمال والأفراد بمقياس صحيح ، فان القيمة الحقيقية للأشياء والأشخاص تظهر دائما ولو بعد حين .

وهاهى ذى وزارة الشئون الاجتماعية قد اضطلعت بعبء الاصلاح وتولت زمامه ، وكل آمالنا معقودة على أن نرى فيها الوزارة الفعالة لا القوالة . وليكن رائدها تلك الكلمة الحكيمة التى تعزى إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه حين صعد المنبر بعد أن تولى الخلافة ثم اوتج عليه ، فلم يكن منه إلا أن قال : " أيها الناس أتم أحوج إلى إمام فعال منكم إلى خطيب قوال " . ولن نتعجل فى الحكم على وزارتنا الناشئة تاركين لها الفرصة ، وراجين أن تذلل امامها الصعاب المالية قدر الطاقة ، ومنتظرين بفارغ الصبر ممارها الطيبة ما

ابراهيم مدكور

البدع الشائعة

فى الجنازات والمآتم

فى الجنازات والمآتم وزيارة المقابر

لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت
مدرس العلوم الدينية والعربية بالأزهر الشريف

« هذا حكم الله ورسوله وأئمة السلف الصالح فى ما ترتكبه عامة الشعب المصرى من المناكر والبدع فى تشييع الجنازات وإقامة المناحات وزيارة المقابر، لم يجئنا به قوم يمكن أن يشك فى بقائه بأصول الدين أو فى أمانته عند النقل أو فى صحة تأويله للنصوص، وإنما جاء به قوم علماء لا يرقى الريب الى فضله وكفايته، وله من مكانته ومنصبه ما يحملنا على الاطمئنان الى رأيه ومشورته.

ولعمرى أى عذر يلتمس بعد ذلك لأولى الأمر إذا أهملوا أو تهاونوا فى تطبيق القوانين القائمة وسن التشريعات اللازمة للقضاء على تلك المناكر التى تؤلم السمع والبصر، وتجرح الذوق وتؤذى الخلق وتصورنا أمام الأجنبى شعبا منحطا فى تدينه ومداركه وعاداته وتقاليده ».

المحرر

اعتاد كثير من الناس فى الجنازات والمآتم أمورا يمقتها الشرع ويأباها الخلق الكريم وقد تمسكوا بها حتى ظن كثير من العامة والأجانب الذين لا يفهمون حقيقة الإسلام أنها من الشؤون التى يطلبها الشرع ويقرها الدين، وبذلك ألصق بالدين ما ليس منه وصور أمام الناقدين بصور تسعفهم بأشد وجوه النقد والتجريح.

وإنه ليسرنا جدا أن تعمل وزارة الشؤون الاجتماعية من جانبها على تطهير البلاد من هذه العادات السيئة فتريح الناس من مساوئها وتغسل عنهم أدرانها، وتزيل فى الوقت نفسه عن الدين وصمة ألصقها به جهل العامة ومسايرة الخاصة لهم فيما يحدثون من بدع وعادات سيئة.

وإلى الناس حكم الشرع فى أشهر ما ألفنا رؤيته فى الجنائز والمآتم من حين الوفاة إلى آخر ما هو معروف بأيام التعزية.

(١) ينبغى أن يعلم أولا أن الغرض من تشييع الجنازة هو الاتعاظ بالموت واستحضار جلاله فيقضى على غطرسة النفوس الجامحة التى يأخذها الغرور فتهتك الحرمات وتعبث بالحقوق وتستهين بالحياة . وقد شرع تشييع الجنازة وحثت عليه الشريعة تحقيقا لهذه الحكمة السامية. ومما جاء فى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم "عودوا المرضى واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة" وفى تذكر الآخرة التى يجد فيها كل امرئ ما قدمت يداه ما يقتلع من النفوس طغيانها ويردها إلى قسطها العادل فى هـــذه الحياة . وتحصيلا لهذه الحكمة على الوجه الأبلغ طلب الشارع الصمت من المشيعين حتى تخلص العظة وتمكن الذكرى من القلوب . وقد صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم "إن الله يحب الصمت عند ثلاث : عند تلاوة القرآن وعند الزحف وعند الجنازة" .

(٢) وبهذا الأصل حرم رفـــع الصوت فى تشييع الجنازة ولو بالذكر وقراءة القرآن وطلب الاستغفار للميت . ومما جاء فى هذا أن أحد المشيعين لجنازة على عهد أصحاب رسول الله رفع صوته بقوله : استغفروا للميت ، فقال له الأصحاب : لاغفر الله لك . واذا كان طلب الاستغفار وهو دعاء من الحاضرين للميت وعبادة فى غير هذا الموطن بهذه المثابة من الإنكار واستحقاق صاحبه المقت والتشنيع والدعاء عليه إذا صدر منه فى تشييع الجنازة فما بالنا بالصياح والندب والنياحة وعزف الموسيقا ذات النغمات المحزنة ؟

إن هذه المظاهر فضلا على أنها تحول دون التذكر والاتعاظ المقصودين من تشييع الجنازة تثير الأحزان وتبعث الأسى وتخلع القلوب وتأخذ بها إلى غير جهة العظة والاعتبار وتصرفها عن جميل الصبر ومظاهر الرضا بقضاء الله .

ومن هنا أجمع الفقهاء على حرمة هذه الظواهر تحريما قاطعا لا شك فيه ، وقد ورد فيها من التحذير والوعيد ما يجدر بالمسلم أن يرتدع به . ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : "النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب" والمراد بهذا التصوير ردع النفوس عن ملابسة هذه الظواهر . وقوله صلى الله عليه وسلم : "ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية" . وقد جاء صريح التبرى من فاعل هذه الظواهر فى حديث أبى موسى الأشعرى . "أنا برىء ممن برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة والحالقة والشاقة" والصالقة هى التى ترفع صوتها بالندب والنياح ، والحالقة هى التى تحلق رأسها عند المصيبة ، والشاقة هى التى تشق ثوبها زيادة فى الجزع .

(٣) وحسنا فعل المشرع المصرى اذ اهتم بالأمر وقدر ما فى العويل والولولة من تكدير راحة السكان ، فنص فى قانون العقوبات على معاقبة من يقع منه فى الجنازات عويل

أو ولولة، فإن تكدير راحة السكان جهة أخرى يأباها الاسلام ويحرص جد الحرص على وقاية المجتمع منها . وقد كان من سياسة عمر بن الخطاب فى مثل هذا أنه سمع ذات مرة بكاء فدخل مكان الصوت بدرته الميمونة ومال على الحاضرين ضربا حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها وقال لمن معه : "اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها إنها لا تبكى لشجوكم . إنها تهريق دموعها على أخذ دراهمكم و إنها تؤذى موتاكم فى قبورهم وأحياءكم فى دورهم . إنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه" .

واذا كنا نلمس من ظواهر المآتم والجنازات الشائعة عندنا هذه الآثار السيئة من الجزع ومضاعفة الحزن وتكدير صفو الحى وإضاعة المال فى غير نافع، وكلها عوامل تفت فى عضد الأمة وتحول بينها وبين الحياة الحازمة الشريفة ، فجدير بالمشرع المصرى وهو أقرب المشرعين صلة بالروح الدينية الخلقية أن يتأسى بعمر بن الخطاب ويرعى هذه النشؤون بتشريع حازم حكيم عملا بمبادئ الإسلام وتحقيقا لمظاهر الخلق الكريم ، وكذلك جدير بسلطة التنفيذ المصرية وهى أقرب سلطات التنفيذ صلة بالروح الدينية الخلقية أن تهيمن هيمنة جادة صادقة على تنفيذ ما يتخذه المشرع وقاية للمجتمع والأفراد من شر هذه الظواهر .

(٤) واذا كانت هـذه الآثار السيئة تلازم خروج النساء فى تشييع الجنازة — فضلا على ما يتحدرن إليه من التوغل فى مظاهر الهلع من شق الثياب واختلاطهن بالرجال مكشوفات الرءوس المنفوشة والوجوه المصبوغة بالأسود والأزرق — فإنه مما لاريب فيه أن خروجهن فى تشييع الجنازة يكون من أشد المحرمات وأسوأ العادات. وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم أرجعهن عن تشييع الجنازة وقال لهن : "ارجعن مأزورات غير مأجورات" وهذا من أبلغ أنواع الزجر الدال على الحرمة والإنكار .

(٥) أما إقامة المآتم ليلة أو أكثر فقد أجمع العلماء على حرمته إذا كان على الهيئة التى نعهدها اليوم من إقامة السرادقات التى تتطلب نفقات باهظة فى غير غرض صحيح ، وتشتد الحرمة إذا كان فى الورثة قاصر يحمل نصيبا من هذه النفقات أو كان أهل الميت فى حاجة إلى ما ينفق فى هذا السبيل، وتتضاعف شدة الحرمة إذا كان الحصول على هذه الأموال من طريق الربا كما يفعله بعض الناس التماسا للشهرة والرياء .

وقد كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصرف الناس بعد دفن الميت إلى مصالحهم وأن يعزى أهل الميت حين المقابلة فى الثلاثة الأيام الأولى؛ ولم يثبت عن مسلمى الصدر الأول أنهم جلسوا فى مكان معين بقصد أن يذهب الناس الى تعزيتهم فى موتاهم . ومن المبادئ التى وضعها الإسلام ولا تختلف مصلحتها بمرور الأيام ولا بمختلف الأمكنة والأشخاص قول الله تعالى "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ

الآخر) وقد انعقد إجماع الفقهاء على كراهة ذلك الاجتماع وفيه قال الإمام الشافعى "وأكره المأتم وهو الجماعة وإن لم يكن لهم بكاء فإن ذلك يجدد الحزن و يكلف المؤنة".

(٦) تأتى بعد هذا وذاك تلك العادة السيئة التى ينفر منها الأدب ويندى لها الجبين عادة الخروج الى المقابر والمبيت فيها. ولسنا بحاجة الى شرح ظواهرها السيئة التى تؤذى الخلق الكريم وتزج بالأعراض الى سوق المهانة والابتذال . وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج . وقد سبق أن محافظة القاهرة أعلنت حظر المبيت فى المقابر تلافيا لهذه المخازى الفاضحة ولكن لا ندرى ماذا وقف أمام التنفيذ والرعاية لهذا الإعلان الكريم ؟ .

نعم إن زيارة المقابر مشروعة، ولكن لها أدبا يجب أن يرعى، وحرمة ينبغى أن يحافظ عليها ، فليس المقصود منها بأكثر من الدعاء للميت والاتعاظ بالموتى ورؤية المصير الأخير .

وهـذا فى زيارة الرجال. أما زيارة النساء فمن الفقهاء من حرمها مطلقا للشابة والعجوز ومنهم من أباحها للعجوز . وقال ابن الحاج من كبار علماء المالكية ومتقدميهم : إن هذا الخلاف فى نساء ذلك الزمان وكن على ما يعلم من عادتهن فى الاتباع . وأما خروجهن فى هذا الزمان فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء أو من له مروءة أو غيرة فى الدين بجواز ذلك . فان وقعت ضرورة للخروج فليكن ذلك على أدب الشرع من الستر لا على ما يعلم من عادتهن الذميمة فى هذا الزمان .

(٧) أما الصدقات فهى من البر بشرط أن تقع فى موضع الحاجة ، وألا تكون على الوجه الذى حظره الشارع. ومن العادات السيئة التى درج الناس عليها فى ذلك ذبح الحيوانات عند خروج الجنازة وعند وصولها الى القبر ففيها الرياء المحبط لثواب الصدقة ، وفيها اشتداد الزحام بين المتسولين وتهافتهم على الأخذ منها الى درجة أن يمزق بعضهم ثياب بعض وأن تنشب بينهم المعارك التى تسيل فيها الدماء . وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الذبح عند القبر بقوله : "لاعقر فى الإسلام". والسنة فى الصدقة الإسرار وتوخى المحتاجين . وذلك أزجى للخير وأدعى الى القبول .

(٨) أما مسافة التشييع فلم يرد فى الشرع ما يحددها ، وهى موكولة الى قدرة المشيع على مواصلة السير الى القبر ومبلغ حدبه على معانى الاتعاظ والعبرة ، فلا تدخل تحت تشريع ولا يتناولها تقنين .

(٩) أما أمثل الطرق التى تكفل إرشاد الجمهور الى أحكام دينهم وتحول بينهم وبين ارتكاب ما يخالف، فهى طريقة الإسلام التى اتخذها أساسا فى تنفيذ الأحكام واعتمد عليها الخلفاء الراشدون فى سياسة الأمة، وهى العمل على تركيز الوازع الدينى فى النفوس أولا، وذلك

بالتحذيرات والتهديدات الأخروية التي تنص على غضب الله ومقته للمخالفين المعرضين عن أحكام الدين . وهذا طبعا من عمل الوعاظ والخطباء والمرشدين، والعمل ثانيا على تركيز وازع السلطان فى القوانين وتنفيذها . وإن فى التعزير الذى شرعه الإسلام عند مخالفة الأوامر وارتكاب المحظورات لمجالا واسعا لمن أراد أن يعمل على وقاية أمته شرور الأخلاق وسوء المظاهر . وأقل درجاته التأنيب وقد يصل الى القتل و بينهما السجن بدرجاته المختلفة والغرامة المالية بمقاديرها المتفاوته .

(١٠) وحبذا لو خطت وزارة الشؤون الاجتماعية فى هذا السبيل خطوة حاسمة تذكر لمعالى وزيرها بالفخر فى سجل الأعمال الصالحة النافعة ، لا فيما يختص بالمقابر والموتى فقط بل فى جميع نواحى الحياة التى أصبحت تعج بمثار الشكوى والفوضى من فساد الأخلاق ورداءة المجتمعات . فتلك حفلات الزار تقام فى القرى والأمصار وتنفق عليها النفقات الطائلة فى غير جدوى ولا منفعة ، وتحدث ما يكدر صفو الهدوء على الجمهور ويختلط فيها الرجال بالنساء على نظام تنفر منه الإنسانية الفاضلة .

وتلك المرأة المصرية المسلمة تخرج بأصباغها المختلفة ونهودها العارية تغرى الشبان بالفتنة وتفتح على نفسها وأسرتها أبواب الريبة التى جعلت الشبان فى منأى عن الزواج والمساكنة الطيبة الشريفة الى المخادنة والمسافحة الوضيعة ، الى غير ذلك مما تنفتح عليه العيون و يتطلب هم المصلحين لتلافيه .

ونسأل الله أن يوفق محب الخير للخير ، وأن يهدينا جميعا الى صراطه المستقيم .

محمود شلتوت

من روائع شوقى

لن تساووا فى بنيكم أبدا ... يا حماة الطفل أنصار اليتيم
وجريتم عن حنان وندًى ... نعمة الدنيا وموعود النعيم
هذّب الطفل فما تدرى غدًا ... ما له فى الناس من شأن عظيم
ربما يُخرج مهدٌ فرقدا ... ينقذ الناس من الجهل البهيم
كم يتيم ملأ الدنيا هدى ... كنبىّ الرحمة الهادى الحكيم
ولقيط قد كساها سؤددا ... كلقيط اليمّ مولانا الكليم

الزواج بالأجنبيات

وأضراره بالأسرة المصرية

أخذت الحكومات فى السنوات الأخيرة تحرم على موظفيها الذين يعملون فى السفارات والقنصليات أو حتى فى مصالح ومكاتب الوزارات الخارجية أن يتزوجوا من أجنبيات. ومن كان منهم قد سبق له التزوج من أجنبية أحيل الى مصالح أخرى لاتتصل بوزارة الخارجية. وقد كان لحكومتنا نصيب فى هذا الاتجاه الجديد.

والسبب الواضح لهذا الاتجاه أن التوتر السياسى الذى فشا بين الدول فى السنوات الأخيرة قد أحدث ألوانا من التوجس والشبهات. ففكرت كل دولة فى النتائج المريبة التى يمكن أن تنتج من موظف قد تزوج بإحدى السيدات التى تنتمى الى دولة أخرى ليست على صداقة متينة مع الدولة التى ينتسب هو اليها. فان الزوجة محور المجتمع وهى التى تختلط بالعائلات اكثر من زوجها فاذا كان الزوج قد تحدث اليها فى بعض الشؤون التى تتصل بأعمال الخارجية او السفارية فإن حديثها الى ضيوفها قد يفشى أسرارا كانت تحرص الدولة على كتمانها. بل ليس هناك ما يمنع من أن يكون ولاء الزوجة لوطنها السابق أوثق وأعمق فى نفسها من ولائها للوطن الذى ينتسب اليه الزوج. وقد تتعمد لذلك إيصال هذه الاسرار الى دولتها.

ومع أن هذه الحوادث قليلة فإنها لخطورتها يجب أن يحسب لها حساب عند كل دولة. ومن هنا هذه القوانين الجديدة التى فرضت على كثير من موظفى وزارة الخارجية ألا يتزوجوا بأجنبيات فى المستقبل وأن يحال المتزوجون منهم باجنبيات الى أعمال أخرى فى الوزارات الأخرى.

وهذا بعض ماينجم من الزواج باجنبيات. ولكن هناك اضرارا أخرى تتصل بالبيت والمجتمع والسعادة الزوجية ونشأة الأبناء وتربيتهم ووطنيتهم وعقائدهم. وكل هذه الأمور يجب اعتبارها عند التفكير فى الزواج باجنبية. وفيها بل فى بعضها ما يكف عن الاقدام على هذه المغامرة.

والغالب أن هذا الزواج يتم فى بعض العواصم الأوربية حيث يجد الطالب المصرى مايغريه به. ومعظم العقود الزوجية التى ربطت بين مصرى وأجنبية انما تمت فى مثل هذه الظروف أى حين يقصد شبابنا الى عاصمة أوربية أو امريكية للتحصيل. ثم تلق بهم المصادفات فى أسرة حيث يستأجرون إحدى الغرف بمنزلها. ثم تحدث ألفة مابين الشاب واحدى فتيات هذه الأسرة

تنتهى بالزواج . وبدهى أنه كما أننا نحن فى مصر نكره الزواج بالأجنبيات أو الأجانب ولا نحب أن نترك ابنتنا وطنها لكى تعيش فى أرجنتينا أو الصين كذلك تحس الأسرة الاجنبيـة كراهة لمثل هذا الزواج لابنتها . وهى تعارض فيه كل المعارضة ولكنها تسلم فى النهاية لميزات قد تراها فى الزوج إما لحرفته وإما لمـاله .

والغالب لذلك أيضا أن الشاب المصرى الذى يتزوج بأجنبية قلما يوفق الى فتاة من طبقته لأن مثل هذه الفتاة تجد من أبناء وطنها من يتزوجها من هذه الطبقة . وهى لا ترضى بأن تترك وطنها وتتحمل مساوئ الغربة فى وطن ناء الا إذا كان الزوج يعلو عليها فى الطبقة ويمتاز كما قلنا بالمـال أو الحرفة . ومن هنـا ينشأ التفاوت الاقتصادى والاجتماعى بين الزوجين . فإن الشاب المصرى على الدوام تقريبا يختار فتاة دونه . ويتحمل ما ينشأ من هذا التفاوت من صعوبات .

ثم هو عند عودته الى مصر يجد صعوبات أخرى قد لايكون أقلها أن يشعر أنه لايسعد زوجته بالاقامة فى بيئة مصرية لم تتعود عاداتها ولم تألف عرفها . فإن هذه الزوجة التى نشأت على أسلوب معين فى المعيشة عند أهلها تجد اختلافا كبيرا بين ما ألفت من قديم وبين ما تجد من جديد . ومن البعيد جدا أن تتبدل شخصيتها وأن تنزل على الأقيسة الجـديدة . ولذلك يشق عليها أن تعيش بين أهل زوجها الذين تجد افرادهم يحتقرونها لأنها تأكل على طريقة معينـة أو تتحدث الى الرجال فى جرأة شاذة أو تكثر من الخروج من المنزل أو تعامل زوجها بغير ما يعامل به الأزواج فى مصر . وهى تجد من حماتها العجوز نفورا يشبه المقاطعة لأن أم الزوج التى لايسهل عليها أن تتسامح تحس أن ابنها قد انفصل عن مجتمعه المصرى بزواجه بهذه "الإفرنجية" وهى تعتقد أن فى هذا الزواج من العار ما يجلب عليها نقد الأقارب ويجعلها هى وابنها فى وحشة اجتماعية ترد أسبابها الى هذه الزوجة .

والعادة أن الزوج فى مثل هـذه الحالات ينتهى إلى الانفصال عن أهله لكى يعيش مع زوجته بعيدا عن قوارص الكلمات التى تسمعها زوجته كل يوم تقريبا . ولكنه حين ينفصل من أسرته يجد نفسه أيضا قد انفصل عن مجتمعه . لأن شعور الكراهة أو النفور الذى وجده نحو زوجته من أفراد أسرته سيجد مثله من السيدات فى الأسر الأخرى . وعندئذ يرى بيته مهجورا إلا من الأجانب والأجنبيات الذين ينتمون إلى وطن زوجته . وليست هذه الحال ممـا يسر لها أى زوج أو ينتظر منها خيرا لنفسه أو لأبنائه . لأن الزوجة عنـد ما تجد أنها هى وأولادها مبعدة عن الوسط المصرى وحين تجد أن وسطها فى القاهرة قد استحال إلى وسط أجنبى لايلبث أن يؤثر عليها هذا التغير تأثيرا نفسيا . وعندئذ هى التى تنقل زوجها إلى الوسط الأجنبى بدلا ممـا كان يأمله زوجها من نقلها إلى الوسط المصرى . ثم تتلو ذلك

جميع النتائج التى تترتب على هذا الانفصال الروحى والمادى من الوسط المصرى . فان الأطفال ينشأون — فى مصر — نشأة أجنبية لغة وعاطفة وثقافة . وليس لنا أن نستغرب هذه الحال. لأن هؤلاء قد نشأوا وهم يرون بيتا أوربيا قد لايكون فيه من المصريين غير الخادم ويرون أن الزائرين جميعهم من الأجانب فهم يتنفسون جوا أجنبيا يباعد بينهم وبين البيئة المصرية .

وتتفاقم هذه الحال إذا مات الأب . فإن الأم عندئذ لا تجد ما يربطها بمصر . فهى تعيش فى حى أجنبى ولا تبالى أية رقابة. فإذا كان زوجها قد أورثها مالًا تعيش منه فالأغلب أنها تترك مصر وتعود بأولادها إلى المدينة التى قدمت منها . وهناك ينسى الأطفال بيئتهم المصرية السابقة وينشأون نشأة أوربية محضة. ويندثر ذكر الأب، بل لا يكاد أبناؤه أنفسهم يذكرونه .

وبعض الشبان يتحلون أعذارا لتبرير هذا الزواج بالأجنبيات، كأن يقول الشاب إنه قد عاش فى أوربا واختلط بالمجتمع الأوربى وأخذ بأساليبه، وهو لذلك يشق عليه أن يتزوج فتاة مصرية لا تبلغ درجته فى الحضارة أو الثقافة ولا تستطيع أن تزامله. وهذا القول من التعللات السخيفة ، لأن كل هذه الميزات قد أصبحت تتوافر فى المرأة المصرية بعد أن انتشرت المدارس وأقبلت الأسر على تعليم أبنائها من الجنسين. وحتى عندما نفرض أن الفتاة الأوربية تمتاز بهذه الميزات المذكورة فإن اختلاف المجتمع المصرى من المجتمع الأوربى يجعل هذه الميزات جميعها عقيمة . ويجعلها هى شقية بهذا المجتمع كما يضع زوجها فى مأزق متوالية يكره من أجلها حياته .

وبعد كل هذا لا يمكن الشاب المصرى أن يتخلص من عواطفه القومية والوطنية . وهى تحتم عليه أن يؤثر الفتاة المصرية على الفتاة الأجنبية حتى عند تخلفها عنها فى الرقى . فانه لايستطيع أن يقف من هذه المسألة موقف المحايد أو غير المبالى يختار كما يملى عليه هواه أو عاطفته الوقتية. لأن الزواج واجب اجتماعى. أى واجب وطنى. والوطنية تملى علينا هنا إيثار المصرى أو المصرية على غيرهما . واذا كان مجتمعنا متخلفا فان الواجب المحتوم على كل منا أن يرقيه ويصلحه . ولا يكون هذا الاصلاح بالهروب منه الى مجتمع آخر واتخاذ زوجة أجنبية تنشئ بها عائلة أجنبية وإنما يكون ببذل المجهود الدائب فى ترقية الفتاة المصرية حتى تصير زوجة صالحة فى عائلة سعيدة .

الشبان المصريون

ووظائف الشركات الأجنبية

لحضرة الأستاذ راضى أبو سيف راضى بك

مراقب مصلحة العمل بوزارة الشؤون الاجتماعية

لهذا الموضوع أهمية خاصة فى نظرى ، لأنه يتناول حالة شبان الأمة ومستقبلهم بقدر ما يتناول حالة الثقافة العامة فى البلاد . لذلك أريد أن أعالجه فى شىء من الصراحة التى إن آلمت بعض أبنائنا وخيبت آمال آخرين ، فهى الصراحة التى لابد منها عند تشخيص المرض بغية الوصول إلى الدواء الناجع والشفاء الأكيد . وأظن أنه خير لنا أن نعرف عيوبنا فنعالجها ونبرأ منها ، من أن نتعامى عنها بدافع من الغرور أو الكبرياء فندعها تستفحل وتستشرى على العلاج .

إن مصلحة العمل التى أتشرف بإدارتها تحمل جانبا كبيرا من عبء توظيف الشبان المتعلمين ، وهى فى هذا أشبه ما تكون بالتاجر الذى تعرض عليه أنواع كثيرة من السلع ، فيرى من واجبه أن يكون دقيقا فى انتقاء أحسنها وأجودها وأقربها إلى رغبات عملائه وحاجاتهم وأهوائهم . ومن واجبه فى الوقت عينه أن ينقل ملاحظات هؤلاء العملاء ورغباتهم إلى أصحاب المصانع والمنتجين ليضعوها موضع العناية ويصوغوا منتجاتهم على هواها . وما دامت بضاعة مصلحة العمل هى الشبان المتعلمون وكفاياتهم ، فمن واجبنا أن ننقل إلى القائمين بإعداد الشباب ، وإلى الشباب نفسه ، آراء من يقتنونهم ويطلبونهم من أصحاب الأعمال ومديرى المتاجر والشركات

إن البطالة بين الشبان هى مشكلة اليوم ، وقد كان الواجب أن تكون مشكلة الأمس ، وأن نكون فى يومنا هذا قد فرغنا منها لنتهيأ لغد صالح نافع ، بدلا من أن نبدد حاضرنا فى مداواة علة عجيبة ذات وجهين متناقضين : هما ضآلة عدد المتعلمين بالنسبة إلى عدد السكان ، وكثرة العاطلين بين هذا العدد الضئيل

وأرجو ألا نغلو فى تفسير كلمة البطالة إلى حد أن نتوهم أن البطالة قد تفشت وتفاقمت حتى أضحت خطرا على حالة البلاد الاجتماعية أو نذيرا بانقلابات تهدم كيان المجتمع المصرى . وكذلك لا يحسبن أحد أن البطالة قاصرة على مصر وحدها ، إذ الواقع أنها العلة التى تشكو منها أمم كثيرة

ومع ذلك كله فإن علينا أن نتدبر الأمر قبل ستفحاله . وبخاصة إذا كانت بلادنا غير محرومة من الموارد السحية التي لو أحسنا استدارها واستثمارها لكفلت عيشا رغدا لشبابنا جميعا ، متعلمين أو غير متعلمين .

وإذا ذكرت الموارد فلست أعني الزراعة وحدها . فان بلادنا ميدان خصب للتجارة والصناعة بدليل ما نراه من نجاح الأجانب في استثمارها وتكوين ثروات عظيمة فيها .

نحن إذن في حاجة الى خلق جيل جديد نحسن توجيهه و بعث روح النشاط فيه ، ونروضه على الانتفاع بكنوز بلاده التي لا تزال مغلقة أو غير مستغلة ، ليمكن لمواردنا الاقتصادية أن تساير الزيادة المطردة في عدد السكان .

قلت إني سأعرض ماهدتني اليه تجارب العمل وما كشفته لي مكابدتي الطويلة لهذه المشكلة ، على القائمين باعداد الشباب وعلى أرباب الأعمال ، فلا تكلم أولا عن التعليم وأثره في صلاحية الشبان للأعمال .

إن من أهم العوامل في انتشار التعطل بين المتعلمين عدم تمشي نظم التعليم مع حاجة البلاد من الوجهتين الصناعية والتجارية ، أو بالأحرى عدم التوازن بين العرض والطلب . فنحن نرى الإقبال شديدا على كليتي الحقوق والآداب ، ونجد وفرة في خريجيهما تزيد على ما تحتاج اليه المحاكم والمدارس . لكنا لا نجد الكفاية من الخبراء في الكيمياء وأعمال التعدين والميكانيكا والغزل والنسيج والصباغة وما يمت اليها بصلة ، فلا يملك أصحاب الأعمال بل الحكومة نفسها إلا استخدام أولئك من الخارج بنفقات باهظة ومرتبات عالية . و إن كثيرين من أصحاب الأعمال ليترددون على مصلحة العمل كل يوم طالبين الترخيص باستقدام فنيين أجانب والسماح لهم بالإقامة في مصر لخدمة أعمالهم ، ونحن نجد أنفسنا مضطرين الى تحقيق رجائهم لأن الفنيين المصريين لا وجود لهم ، أو هم — على أحسن وجوه الظن — قلة ضئيلة لا تسد حاجة أرباب الأعمال ، ولا تتوفر فيهم الخبرة ولا المرانة . ولا يقل عدد الأجانب الذين سمح لهم بالعمل في مصر في خلال السنة الماضية عن الألف ، وهم من الخبراء الاكفاء في النسيج وفي الصباغة وفي التعدين وفي شتى الشئون الكيميائية والهندسية ، بل في حياكة الملابس وتزيين الشعر وخدمة الفنادق ، وما الى ذلك كله من أعمال لو التفت اليها المصريون لسهلت عليهم دراستها وتسنى لهم اتقانها .

لسنا نكره أن تنمو ثقافة بلادنا بتزايد عدد خريجي الجامعات ، لكنا لا نريد أن يكون هذا التزايد على حساب النهضة الصناعية والتجارية . إنما نريد أن تكون تنمية الناحية الثقافية متمشية كما قلنا مع حاجة البلاد في الميدانين الصناعي والاقتصادي ومع مقدرتها على الاستفادة من أولئك الخريجين ، حتى يكون الى جانب التعليم والثقافة عمل وإنتاج و إثمار ، لا أن يحصل

الشاب على الشهادة ثم لايجد لها فائدة عمليـة ولا يستطيع أن يفتح بها بابا من أبواب العمل والارتزاق. وليس الضرر قاصرا على تعطله وانسداد باب الرزق فى وجهه، بل هناك ضرر أبلغ وأفدح، هو تلك الحالة النفسية المؤلمة التى تعتريه وتلازمه بسبب التعطل، والتى تجعله ناقما على المجتمع متربصا به متبرما بكل شىء فيه .

ليس معنى مطالبتنا بتوجيه التعليم الى الناحية العملية الانتاجية أننا نريد وقف حركة التعليم فى البلاد أو الحد منها ، بل نحن نريد اتجاها جديدا يمكّن المتعلم من العمل ، ويسمح بنمو الصناعات وازدهارها واستخدام أكبر عدد من الأيدى العاملة فيها . ولهذا فضله فى رفع مستوى حياة الشعب كله ، ولا يرتفع هذا المستوى ما دام الآباء يزجون بأبنائهم فى كليات الجامعة دون أن يبالوا ضعف استعدادهم للدراسة أو لنوع معين من الدراسات ، وكل هم الآباء والأبناء هو الحصول على الوظيفة الحكومية عقب التخرج ، وهيهات أن تتسع دواوين الحكومة لكل راغب وكل خريج .

أليس عجيبا أن نسبة من تعدهم مصر لدراسة الحقوق والتجارة أكبر من نظيرتها فى بريطانيا العظمى ذات الثروات الهائلة والتجارات العظيمة التى تغشى العالم كله؟ ! ونحن مع هذه الوفرة فى الحقوقيين ودارسى التجارة لا نزال نستورد من الخارج مهندسين وخبراء فى مختلف الشئون.

كم وددت أن يتطور نظام التعليم عندنا بحيث يسد الحاجة ويغنينا عن هذا الاستيراد ويكفى متعلمينا شر التعطل ، وكم أزداد سرورا كلما ازداد ما أراه من التفات بعض القائمين على أمر التعليم الى هذه الناحية وفى طليعتهم حضرة صاحب السعادة وكيل وزارة المعارف .

وإنى لأرى من الخير أن أنبههم بجانب ذلك ، الى وجوب تمرين الشبان على بعض الدراسات العملية — مع دراساتهم النظرية — لأننا نسمع بين حين وآخر أن خريجى المعاهد الصناعية تنقصهم المرانة العملية وأنهم تعودوا العمل فى مصانع ومعامل تختلف فى جوها وفى إدارتها عن المصانع العادية ، وبذلك يعسر عليهم بعد التخرج أن يسايروا حياة العمل فى المصنع فلا يجدون بدا من الوقوف كغيرهم على أبواب المكاتب الحكومية يطلبون الوظيفة.

أتيح لى فى خلال الشهر الماضى أن أرى عددا من الشبان المتخرجين فى المدارس الصناعية بين يدى أحد رؤساء الشركات الكبرى وقد عرضوا عليه ليختار بعضهم للعمل فى مصانع الشركة ، فآلمنى وأدهشنى أنا ومن كانوا معى أن رأينا منهم من يأنف أن يؤدى عملا يدويا فى المصنع ! ومن يعتذر عن ضعفه وعجزه بأن مدة تمرينه فى المدرسة لم تكن كافية . وقد أيد الاختبار هـذا الاعتذار ، ففشل أكثرهم فى تنفيذ " تصميم " وضعته الشركة وقام بتنفيذه عمال عاديون لم ينالوا حظا من التعليم المدرسى .

إن البلاد اهتمت فيما مضى بالتعليم النظرى وحده ، وأرسلت بعثات كثيرة كان نصيب التعليم العملى منها ضئيلا .

وأقل ما يمكن أن تصنعه الحكومة فى سبيل تدريب خريجى المعاهد الصناعية وحسن إعدادهم — إذا صعب عليها إرسال بعثات للتمرن فى الخارج — أن تتفق مع المصانع الكبرى على تدريب طلاب هذه المعاهد فى خلال سنوات الدراسة أو قبيل تخرجهم، حتى إذا حصلوا على الشهادات لم يكونوا غرباء على المصانع وأعمالها، ولا عاجزين عن المساهمة فى تلك الأعمال مساهمة ناجحة مفيدة لهم ولأصحاب الاعمال .

لقد حضر الى مصر منذ سنوات أحد كبار أعضاء البرلمان البريطانى فهاله ما رأى من حالتنا الشاذة، حالة بلاد عدد القارئين والكاتبين فيها قليل، وعدد متعلميها العاطلين كثير ! وأدهشه ما عرف عن خريجى مدارسنا ومعاهدنا الصناعية فوصف التعليم فى مصر بأنه هرم معكوس، لأن العرف جرى على أن تمشى نسبة خريجى الجامعات مع نسبة عدد المتعلمين ومع حاجات البلاد الصناعية والتجارية والزراعية وغيرها .

ولنتكلم عن السبب الثانى للبطالة وهو قلة دراية شبابنا باللغات الأجنبية :

إن أهم الأعمال الحرة فى بلادنا من صناعية وتجارية، لا تزال فى أيدى الأجانب، وأعمال البنوك والشركات وغيرها ، لا تزال تؤدى باللغات الأجنبية .

ولسنا نريد أن نظل نطالب شبابنا بأن يصلوا فى العلم باللغات الأجنبية الى حد مساواة أصحابها أو سبقهم ، إلا أننا لا نستطيع أن نصبر الى الأبد على إهمال لغة البلاد فى دفاتر وحسابات ومراسلات هذه الشركات والبنوك ، وعلى ما نراه من اضطرار الحكومة حين تريد فحص أعمال ومراجعة حساباتها الى البحث عن موظفين يتقنون اللغات الأجنبية .

هذه حالة تستوجب البحث والعلاج ، واذا كان يهم البلاد ألا تضع عراقيل فى سبيل الاستثمار الأجنبى بل هى ترى فى تشجيعه خيرا لها وجلبا لرخائها ورفعا لمستوى المعيشة فيها، فإن مما يحقق لها وللأجانب من أصحاب الأعمال هذه الأغراض جميعا أن تجد لغة البلاد سبيلها الى شركاتهم وبنوكهم ، وأن تسود هذه اللغة فى مخاطباتها وحساباتها، لأن هذا يفتح مجال العمل لعدد عظيم من الشبان المصريين المتعطلين ؛ ويكون له أثره المحمود فى تقوية التعاون والنفع المتبادل بيننا وبين نزلائنا الأجانب .

فإذا وصلنا الى هذا ، بل إلى إعفاء طلاب وظائف الشركات والبنوك من شرط الدراية باللغات لأجنبية ، فهذا لا يمنعنا من أن نلح على الشباب وعلى القائمين بالتعليم أن يعنوا كل العناية باللغات الأجنبية، لأن تقدم ثقافتنا يتوقف الى حد كبير على تتبع حركات التقدم الفكرى فى البلاد الاخرى وعند أصحاب اللغات الأخرى .

وهنا لا بد لى من كلمة أوجهها الى "عملائى" فى حركة توظيف الشبان المتعطلين ، وهم حضرات أصحاب الأعمال الذين أسمع منهم الشكوى المتكررة من قصور شبابنا ؛ فأقول لحضراتهم إن هذا القصور لا يجوز أن يمنعهم من فسح المجال أمامهم للتمرن على الأعمال

الفنية ، واست أنكر أنى رأيت من كثير من حضراتهم استعدادا كريما فى هذا الباب ، وإنما أرجو أن يكون لدى الجميع مثل هذا الاستعداد ومثل هذه الرغبة فى التعاون ، حتى لا يضطرنا تفاقم العطل بين الشبان الى مثل ما لجأت اليه حكومة تركيا من تدخل فى حرية الاستخدام والعمل إذ سنت فى سنة ١٩٣٢ قانونا يقصر عددا من المهن على الأتراك دون أن شاركهم أجنبى فيها ، كمهنة السمسرة ، وصناعات الحديد والخشب ، والمبانى ، والأعمال الكيميائية ، والتصوير الشمسى ، وصنع الملابس والقبعات وغيرها .

بقى السبب الثالث من أسباب البطالة ، وهو عندى أهمها ، إذ أن مرجعه الى الشبان أنفسهم. ذلك هو قلة اعتمادهم على أنفسهم وضعف روح المغامرة والإقدام فيهم . وتفضيلهم الوظيفة الحكومية ذات المرتب الثابت المضمون على العمل فى الميادين الأخرى التى تقتضى منهم جهدا أوفر واحتمالا للمسئوليات أكبر ، وإيثارهم ما فى الوظيفة من استقرار فى القاهرة أو غيرها من المدن ، ينالونه عن طريق الرجاء والاستشفاع ، وما حول الوظيفة من مظاهر مغرية وأبهة جذابة .

وإنى لأذكر فى هذا الصدد شابا نجحت فى إقناع إحدى الشركات الأميركية الكبرى بقبوله فى خدمتها بمرتب هو ضعف ما تعطيه الحكومة لأمثاله ، ولم تتأخر الشركة عن أن تكون سخية فى دفع نفقات انتقاله الى مركزه بالريف . فما كان أشد ألمى حينما علمت أنه تخلى عن قبول هذه الوظيفة لا لشىء سوى أن الشركة رفضت أن تنص فى تعاقدها معه على منحه إجازات واسعة كإجازات موظفى الحكومة ولم تقبل أن تتعهد له بمعاش ضخم كمعاش الحكومة ، مع أنه كان قادرا لو أرضى الشركة بحسن عمله على أن ينال منها الإجازات المعقولة ، وكان فى وسعه أن يحل مشكلة المعاش بأن يؤمن على حياته لدى إحدى شركات التأمين . وكأنما ظن هذا الشاب أن الشركة هى المحتاجة اليه أشد الحاجة ، فله أن يشط فى الطلب ويغلو فى الاشتراط قبل أن يؤدى لها أية خدمة وقبل أن تعرف عن كفايته وأخلاقه شيئا . ونسى هذا الفتى كما نسى أمثاله أن الحكومة وإن كانت سخية فى منح الإجازات فإن الموظف فيها قد يقضى السنين الطوال ويؤدى زهرة الشباب قبل أن يصل إلى المرتب الذى عرضته الشركة .

هذه فيما رأيت وجربت أهم أسباب البطالة بين الشبان ، وهذه أساليب الاصلاح ، ألخصها مرة أخرى فى العناية بنظام التعليم وتعديله بحيث يوجه الشبان توجيها عمليا مفيدا ، ثم بث روح الاعتماد على النفس واحتمال المسئوليات بين شبابنا ، ثم الحد من الامتيازات والمنح الكثيرة التى تمنح للموظفين الحكوميين فتكون سببا فى تهافت الجميع على وظائف الدواوين .

يوم يتم لنا هذا كله يتناقص هذا الجيش الكبير من المتعطلين ، ونأخذ بأسباب حياة جديدة قائمة على التنافس فى العمل ، والتسابق الى النجاح ، والخير يومئذ مكفول لهذا الوطن بإذن الله.

راضى أبو سيف راضى

إلى المجد

من نظم الشاعر المجيد فؤاد بليبل

قم حيّ مصر وحيّ في ذاك الحمى ... زُمَراً على وِرْدِ المكارم حوّما
عصب من الشبان قد أمنت بهم ... نوب الزمان إذا الزمان تجهما
متحفزون لكل كارثة إذا ... عن التخاطب والحديد تكلما
ملأ الرجاء قلوبهم في موقف ... فرغ الرجاء به فصار تبرما
وتوثبوا قدما إلى غاياتهم ... نعم الشباب توثبا وتقدما
صهر الطموح قلوبهم بلهيبه ... وأقام مائل عودهم فتقوما
هم عدة الوادي وخير حماته ... أما الألى ألفوا الخنوع فهم دمى
وإذا الخطوب تفاقمت كانت بمن ... صهرت نفوسهم أبر وأرحما
والرزء مدرسة الجهاد وناره ... نور اذا ليل المصائب أظلما
وارزء جامعة إذا ماخرجت ... شعبا أعدته كريم المنتمى
يا أيها الشبان هذا يومكم ... أنتم حمى الوادي وأشبال الحمى
كونوا لهذا الجيل أسمى قدوة ... ولذلك النشء الكريم معلما
وتذرعوا بالمكرمات وحققوا ... بكم الظنون وكذبوا المتهجما
لاتخلعوا ثوب الشجاعة واسكبوا ... دمكم على جرح الكنانة بلسما
لبوا نداء بلادكم وتقدموا ... لا عاش فيكم من دعته فأحجما
وتذكروا شهداءكم وتقيضوا ... آثار من بالروح جاد تكرما
أيام هبوا للجهاد وكلهم ... أمل وأيمن سما فاستحكما
متضامنين على الضلال فما ترى ... إلا مسيحيا يؤازر مسلما
هش المقدس للمؤذن داعيا ... وحنا الهلال على الصليب مسلما

ومضى الجميع إلى الجهاد تخالهم ... أسدا على تلك العرينة قوما
زعموا الحديد على الوعيد يعيدهم ... عن عزمهم ، ياساء ذلك مزعما
وتعجبوا يوم الجهاد وقد رأوا ... أن الحديد على الشباب تحطما
مدوا إلى العلياء من أجسادهم ... سببا ، ومن جثث الضحايا سلما
وبنوا على الاشلاء من شهدائهم ... مجدا رفيعا قد أظل الأنجما
وسقوه مسفوك النجيع على الصدى ... والمجد ينبت حيث تروبه الدما
والدهر هدام الصروح وصرحهم ... هدم الزمان وقد أناف على السما
شفع الحديد بعزمهم من بعد ما ... كانت شفاعتهم : لعل وربما
ونزوا فلم يهزم لهم جلد ومن ... كان الحديد نصيره لن يهزما
ولرب رام لو رأى من خصمه ... بأسا لما راش السهام ولا رمى
ما المجد كل المجد إلا لامرئ ... ندب أهاب به الإباء فأقدما

فؤاد بليبل

إعلان من المجلة

نظرا إلى أزمة الورق المستحكمة فى هذه الأيام بسبب صعوبات النقل البحرى، رأت إدارة مجلة الشؤون الاجتماعية أن تقصر كمية ما يطبع منها على القدر الذى يكفى حضرات المشتركين فيها وحدهم . والادارة تعتذر إلى جميع أعضاء الهيئات والى الموظفين والأفراد الذين كانت المجلة ترسل اليهم هدية إذا هى اضطرت الى الكف عن إرسالها اليهم ، وترجو من الراغبين فى الاشتراك أو فى تجديد الاشتراك أن يبادروا الى تسديد قيمته قبل نهاية شهر مارس سنة ١٩٤١ حتى تستطيع الإدارة أن تحدد الكمية التى يجب طبعها . أما قيمة الاشتراك السنوى خمسة عشر قرشا ترسل باسم مدير المجلة فى إذن بريد وتبتدئ من الشهر الذى يختاره حضرة المشترك وتنتهى فى مثله من العام الذى يلى . والإدارة لا تقبل قيمة الاشتراك طوابع بريد .

الطالب المصرى

يدرس للشهادة لا للعلم

كان يعاب على مدارسنا إلى وقت قريب أنها تعنى بتخريج الموظفين وأن البرامج التعليمية ليست من الإحاطة أو العمق بحيث تجعل خريج المدرسة العليا شغوفا بدراسته يحمى قلبه بشهوة الثقافة ويثابر مدى حياته على التحصيل والبحث واستقصاء الجديد فى الفروع التى عرف مبادئها وأصولها بالمدرسة .

وكان العائبون على حق فى هذا الذى كانوا يقولون . ولكن هذه البرامج قد تغيرت إلى حد ما . ثم إن المدارس العالية قد استحالت الى كليات جامعية وأصبحت الثقافة الخالصة قصداً والدراسة النزيهة غاية . ولا يمكن أن يقال إن كليات الجامعة تهيئ طلبتها للوظائف الحكومية ، لأن هذا الزعم تنقصه أسماء الدراسات التى يدرسها الطالب إن لم نقل موادها . بل إن الحكومة هى التى تشكو الآن وتدعى أنها لا تجد الموظفين الأكفاء من خريجى الجامعة . وهى أحيانا لا تبالى أن تعين حامل شهادة الحقوق كاتبا فى الحسابات أو نحو ذلك . وظننا أن حكومتنا سوف تنتهى إلى إيجاد دراسة معينة للخدمة المدنية — أى وظائف الحكومة — كما هو الشأن فى انجلترا وغيرها من الأقطار المتمدنة التى وجدت أن الدراسات الجامعية لا تزودها بحاجتها من المعلومات التى يتهيأ بها المرشح للوظيفة المدنية حتى يؤدى واجباته على الوجه الكامل .

ولكن الذى يعاب على الطالب المصرى فى الوقت الحاضر أن يدرس للشهادة وليس للعلم . وهو لا يكاد يحصل على شهادته حتى يطلق الكتاب أو العمل فلا يكاد يقرأ شيئا إلا لقصد التسلية ولا يكاد يقف مرة أخرى أمام أنابيب الاختبار . فكأنه كان يدرس بالجامعة لكى لا يدرس بعدها . أو كأن للعلوم حدودا نهايتها الشهادة . مع أن العكس هو الذى كان يجب أن يفرض . وهو أن الشهادة بداية لا نهاية . وأن الطالب عندما تخرج من الجامعة قد حصل على مقدار معين من العلم الذى درس يتيح له الاعتماد على نفسه فى التوسع والتعمق والاختبار والتجربة . فإن أعظم ما يمتاز به التعليم الجامعى أنه يعلم الطالب كيف يعلم نفسه . فاذا لم ينتفع خريج الجامعة بهذه الميزة فإنه لا يكون قد استغل الجامعة إلى الحد الذى ينبغى له ،

ويجب أن تكون الثقافة هواية كل متعلم التى ينفق فيها ما فاض من ماله وفراغه . والطالب الذى تمرس بالطريقة العلمية وعرف طرق الاختبار العلمى يجب الا ينقطع عند ما يخرج فيركن الى الخمول الذهنى ولذة التسلية السطحية من قراءة السخيف من المجلات أو منح الجرائد أكثر مما تستحق من العناية . بل يجب أن يشرع فى تأسيس مكتبة فى منزله تنمو كلما تقدم فى السن وتجعله على إلمام بكل ما يجد فى المادة التى درس . بل هو يحسن أيضا اذا تابع أبحاثه التى بدأها بالجامعة وجعل جزءا من مكتبته خاصا بالاختبارات والتجارب. فإن العلم لا يتقدم كما لا تزكو الاكتشافات الا فى هذا الوسط ، وسط الكبار المتعلمين يدأبون فى البحث مدى حياتهم لاستكناه أسرار الطبيعة والحياة .

وأعظم ما ينبه النشاط الى الابحاث العلمية هو الاتصال المستمر بالأوساط العلمية. لأن هذا الاتصال يحدث جوا نفسيا يحمل صاحبه على الاهتمام الدائم بمواصلة الدرس . ولا يكون هذا إلا بأن يستبقى خريج الجامعة، علاقته بالجامعة وعندئذ يجب على الجامعة نفسها أن تزيد هذه العلاقة روابط بالاجتماع والمراسلة والألقاب مع تيسير الدراسة حتى على غير القادرين على الحضور للمحاضرات لإقامتهم فى بلدة نائية عن القاهرة والاسكندرية .

وبدهى أن لغتنا فى حالها الحاضرة لا تغذو الذهن الذى يطلب الثقافة العلمية . ولذلك يجب على كل خريج من الجامعة أن يشترك فى إحدى المجلات الأجنبية بل فى بضع مجلات أجنبية تعالج المادة العلمية التى درسها فى الجامعة . فإن مهمة هذه المجلات تنحصر فى نشر الأخبار الخاصة بالمكتشفات أو المخترعات التى تتصل بالمادة أو فى نقد وعرض الكتب التى تعالجها . ولما كانت العلوم تمتاز من الآداب بوفرة ما يجد فيها فإن هذا الاتصال كبير القيمة . كما يتضح لنا ذلك مثلا من مكتشفات الطب الحديث . فقبل سنة ١٩١٥ لم يكن أحد يتحدث عن الفيتامينات التى لها أعظم الشأن الآن فى المعالجة لأمراض النقص. وقبل سنة ١٩٠٨ لم يكن طبيب يعرف قيمة العقار الخاص بمعالجة السفلس المرض الزهرى المعروف. وحديثا جدا اتضحت القيمة الكبرى للغدد الصماء . ولا نذكر العقاقير الكيماوية مثل السولفانيلاميد التى لا يرجع اكتشافها الى أكثر من ثلاث سنوات . وقل مثل ذلك فى كثير من الأدوية . فإن الطبيب الذى تخرج مثلا سنة ١٩١٠ أو ١٩١٥ ثم انقطع عن مواصلة الدراسة يجد نفسه متخلفا أعظم التخلف ومقصرا أعظم التقصير فى مهنته .

وهذا أيضا هو الشان فى جميع العلوم، فيجب على الطالب لهذا السبب أن يجعل حصوله على الشهادة بداية الدراسة المستقلة، بل بداية التجارب العلمية التى تجعل منه عضوا مفيدا لا لوطنه فقط بل للبشرية جميعها .

جيل حائر

ينقصه التوازن والانسجام

بقلم الأديب الأستاذ سيد قطب

ليس بين الفتاة التى تدفع حياتها ثمنا لنظرة تلقيها من النافذة على الطريق العام فى القرية. والفتاة التى تخاصر شابا وترافصه وهما مخمورات على مرأى من الوالد والزوج فى المدينة ... ليس بين هاتين الفتاتين إلا بضعة أميال من المكان ، وبضع ساعات من الزمان ! !

وليست كل فتاة فى القرية تدفع هذا الثمن الباهظ لنظرة عابرة ؛ ولا كل فتاة فى المدينة تترك لها هـذه الحرية العاثرة ، ولكن هذين النوعين من الفتيات موجودان فى مصر اليوم يعيش كل منهما على مقربة من الآخر، فلا تفصل بينهما أجيال كثيرة — كما توجب الطبيعة — ولا آفاق بعيدة — كما يحتم المعقول — ووجودهمـا فى جيل واحد دليل لا يخطئ على أنه "جيل حائر" بين الأجيال .

ومصر شقية بالأولى كما هى شقية بالثانية ، وكلتاهما تجذب هذا الجيل جذبا لا هوادة فيه ولا راحة، حتى ليكاد يتمزق بينهما ، بل هو يتمزق فعلا كل يوم وتتقطع أوصاله كل لحظة ونحس نحن هذا التقطع وذلك التمزق فى المجتمع المصرى الحائر بين الشرق والغرب ، وبين القديم والجديد ، وينشأ من هذا كله اختلال فى هذا المجتمع مرهوب الأثر ، وخير العاقبة أشبه شىء بتحطم الزجاجة حين تسرى فيها الحرارة بدرجات متفاوتة فتفقد التماسك والاتساق.

هذه واحدة ...

وليس بين البيت الذى تدار مطابخه وحماماته ومكاويه وسائر مرافقه بالكهرباء ، ويتلقى سكانه "مودات" أزيائهم من أوروبا وأمريكا ، وتدور أحاديثهم بلغة أجنبية لا تختلها اللغة القومية إلا تطرفا أو تنازلا ؛ وبين البيت الساذج المبنى من القصب والطين والصفيح القديم والأوانى المحطمة، والذى لا تزيد محتوياته على عدد من القدور وشىء من الأسمال وزهيد المتاع . . . ثم بين الحى الذى يقع فيه البيت الأول والمباءة التى يقع فيها الثانى. ليس بين هذين الحيين وذانك البيتين إلا بضعة أمتار من المكان وبضع دقائق من الزمان ، تضمهما مدينة واحدة أو قسم واحد من مدينة ، فالمسافة بينهما أضيق من المسافة بين فتاة القرية وفتاة المدينة اللتين تجتمعان فى حدود جيل واحد من الزمان !

والمسافة بين المدينة والقرية قد لا تعدو أميالا محدودة وساعات معدودة، ولكن فوارق المظهر والمنظر ووسائل الحياة وأنواع التفكير هى المسافة بين أمريكا ومصر ، لا بل هى المسافة بين عوالم الانسان وعوالم الحيوان !

وهذه أخرى ...

والدستور المصرى المستق من أحدث دساتير العالم ، والذى لم يقنع بالدستور البريطانى ولا بالدستور الفرنسى فتطلع إلى الدساتير الأحدث عهدا واقتبس من الدستور البلجيكى وكذلك نظام الانتخاب ذى الدرجة الواحدة والحقوق البرلمانية الواسعة ، كل أولئك كان يعيش إلى ما قبل ثلاث سنوات فقط مع " قانون السخرة " وكل أولئك لا يزال يعيش مع " نظام العمد " القديم الذى يضع العمدة فى مركز حاكم الاقطاعية ، ومع القانون المالى الذى عاصر " لجنة التصفية " ... وأخيرا مع الأمية التى تبلغ نسبتها ثمانين فى المائة على أقل تقدير .

وهذه ثالثة ...

والجامعة المصرية ، ذات الأبنية الفخمة والأبهاء الرائعة ، وذات الاستقلال الجامعى والحرية الفكرية ، والتى تستقدم عظماء الأساتذة من جامعات أوربا ، وتحاول الأخذ بأحدث الأساليب فى التفكير والتدريس .. هذه الجامعة تعاصر " كتاب سيدنا " ، والمسافة بينهما تبلغ مئات السنين وعشرات الأجيال ، ولكنهما يعيشان معا فى جيل واحد فى مصر فى بلد الأعاجيب !

وهذه رابعة ..

وهناك خامسة وسادسة وسابعة من هذه المفارقات التى لا تنتهى ، والتى تجعل من هذا الجيل أعجوبة بين الأجيال ، وتجعل مهمة المصلح الاجتماعى أشق ما عرف فى التاريخ .

وفى هذه الفترة تولد " وزارة الشئون الاجتماعية " فتضطلع بأعباء القرون ، وكان من حقها على الدولة أن تمنح من السلطات وأن تمنح من المال ما يكافئ هذه الأعباء كلها ولكنها لا تزال تجاهد لإنشاء " المراكز الاجتماعية " فتحول الظروف ، وتعترض الميزانية وتصدمها عقبات الحروب !

هذه الحالة العجيبة ثمرة أخطاء الماضى الطويل ، وثمرة عوامل كثيرة من المتعب استقصاؤها ، ولكن عاملين أساسيين فى نظرى هما المسئولان أولا عن هذا المصير الذى انتهينا اليه ، هذان العاملان هما :

أولا — أن الحكومة فى الأحقاب الطويلة الغائبة لم تكن تحكم للشعب بل للطبقة الحاكمة .

ثانيا — أننا فى الخمسين سنة الأخيرة لم نختر طريق التطور الطبيعى بل اخترنا طريق الطفرة المنفرجة الخطوات على غير أساس موضوع أو نظام مقصود .

ولقد كان من أثر العامل الأول أن اتجه الاهتمام لإرضاء مطالب الحكام ومن يلوذون بهم ؛ ولما كان هؤلاء وهؤلاء يعيشون فى المدينة ولا يعيشون فى القرية وفى أحياء خاصة من المدينة، فقد توجه الاهتمام كله للمدن أو لهذه الأحياء الخاصة فى المدن، ومن هنا نشأت هذه الفوارق السحيقة بين الريف والحضر، وبين بعض الأحياء وبعضها فى المدينة الواحدة. هذه الفوارق التى لا نظير لها فى البلاد المتمدينة .

فالريف الانجليزى مثلا أو الريف الفرنسى — ولا نذكر الريف الاسوجى ولا النرويجى ولا الدانماركى — لا ينقص عن المدن والعواصم هناك إلا ما هو فى غنية عنه من ضجيج المصانع وعجيج الحركة، وملاهى البذخ والترف. أما المرافق الأصلية للحياة كالماء النقى والنور الكهربائى والسينما والمسرح المحليين والصحيفة الإقليمية والمكتبة القروية والمتنزه البلدى وقاعة لاجتماعات الريفية ... فكل أولئك متوافر ... ذلك أن الريف هناك منتجع الاستجمام ومقصد طلاب الهدوء من المفكرين والساسة المتعبين . وذلك أن الريف هناك هو الوطن الذى بعث بحكامه إلى المدينة فلم ينسوه ولم يغبنوه .

وقد كان الأثر الثانى لحكومة الحاكمين، أن هؤلاء ومن يلوذون بهم من الأتباع، قوم مترفون لا تنقصهم الضروريات، ولا تشغل أذهانهم المطالب الأولية للحياة، فانصرف همهم إلى استكمال وسائل الترف ومظاهر المتعة ، ومن عادة الأذهان المترفة أن تعنى بالمظاهر والأشكال وأن تؤثرها على القواعد والأصول . ومن هنا اتجهت أذهانهم إلى تجميل العواصم وإكسابها مظاهر التأنق والزينة ، وعنتهم من العواصم أحياء خاصة ومرافق خاصة . قبل أن تتجه أذهانهم إلى توفير وسائل الرقى الأساسيه لهذه المدن ولجميع البلاد ، وإلى توفير التناسق والانسجام بين وسائل التعمير ووسائل التجميل .

وفى الوقت الذى كانت دار الأوبرا تشيد وتزين . ويؤتى لها بكبار الموسيقيين والممثلين كان الشعب يجلد لتجمع منه الضرائب، ويفتقر لأنه يحتمل فوق طاقته، وكانت نسبة التعليم فى البلاد اقل من واحد فى المائة .

وأخشى أن أقول : إن هذه العقلية قد عشت بيننا طويلا وعمرت أكثر مما ينبغى فلازلت أذكر أن عدة مئات الألوف من الجنيهات كانت مطلوبة منذ خمس عشرة سنة لتأجير " بيوت هاوس " فى انجلترا وترميمها وزخرفتها وتأثيثها لتكون مقرا للفوضية المصرية فى الوقت الذى كانت بعض أحياء القاهرة مأوى للأوبئة وأوكارا لمناسر اللصوص ، وهى فى حاجة إلى قسط ضئيل من تكاليف هذه البيوت لإصلاحها ، بل أخشى أن أقول: إننا إلى هذه الساعة لم نتخلص بعد من هذه العقلية العجيبة فى كثير من الشؤون .

ولقد كان من أثر العامل الثانى، أننا لم نفكر فى خطة مرسومة لتطور المجتمع المصرى، فتركنا أنفسنا نهبا للمفاجآت، وفريسة للتقليد فى اتجاهات متعددة، ولم نشفق على أنفسنا فنؤدى ضريبة التطور دفعات صغيرة متدرجة بطيئة، ولم نطع فى هذا سنة الحياة التى تجعل المجتمع جسما حيا يحتاج فى تطوره إلى الزمن.

رأينا المرأة الأوربية تسفر وتتزين وتجالس الرجال وتراقص وتخاصر وتدخن وتشرب الخمور وتنظم الحفلات..... فلم نقل لأنفسنا: فى كم جيل تطورت المرأة لأوربية حتى وصلت إلى هذه المرحلة الأخيرة؟ وكم من التجارب اجتازت فى رحلتها الطويلة حتى غدت إلى ما هى فيه؟ لم نقل لأنفسنا هذا. بل اندفعت المرأة عندنا تسفر وتتزين وتحضر الدروس مع الفتى، ثم اندفعت تدخن وتنظم الحفلات وتراقص وتخاصر، وتقطع — وهى تلهث من الركض — ألف سنة فى خمسين سنة، فكان لا بد لها إذن أن تعثر فى ركضها عثرات قاتلة. وألا تنسجم ظواهر حياتها مع بواطن وراثاتها النفسية، وأن يسفر وجهها وتبقى روحها فى خدور "الحريم" لأن الزمن الذى ينضج المشاعر، ويسوى الأحاسيس لم يشترك فى انتقال المرأة المصرية من حال إلى حال.

ومن هنا كانت الفتاة التى تدفع حياتها ثمنا لنظرة على الطريق، والفتاة التى تراقص شابا وهما مخمورات أمام الوالد والزوج، يظلهما جيل واحد، وتفرقهما بضعة أميال من المكان وبضع ساعات من الزمان!

ولم تكن المرأة المصرية هى التى اندفعت وحدها هذا الاندفاع، فقد اندفع معها المجتمع المصرى كله فى كل مظاهر الحياة، وفى كل مرافق التمدين، وفى كل مكونات الحضارة ولو كان هذا الاندفاع متناسقا منسجما فى كل ناحية من هذه النواحى لا تقينا بعض هذا الدوار الذى نستشعره لشدة ما ركضنا وفرط ما طفرنا، ولكننا كنا نندفع بقوى غير منظمة وطاقات غير متناسبة فلا يصيبنا ضرر الطفرة وحده، بل نجمع إليه ضرر الفوضى فى هذه الطفرة وعدم الانسجام.

فقد طفرنا مثلا طفرة واسعة جدا فى مواد الدستور وقوانين الانتخاب والحقوق البرلمانية وربما كانت هذه الطفرة مطلوبة نافعة كالجرعة القوية المنبهة لجسم طال به الخمول؛ ولكنا لم نعدل جميع النظم والقوانين لتأخذ هى الأخرى بأحدث النظريات كما أخذ الدستور، ولم ننتبه إلا أخيرا لهذه المفارقات حينما ألفنا اللجان لوضع القوانين الجنائية والمدنية. ثم أخيرا جدا لوضع القانون المالى فى هذا العام.

وقد تكون هذه أقل المفارقات، فهناك أمثلة كثيرة فى كل ناحية من نواحى الحياة، علتها أننا لم نضع لأنفسنا منهاجا فى تطورنا ولم نشرع لنهضتنا خطة مرسومة.

وبعد فقد آن لنا أن نتدارك هذه الحال، وأن ننقذ الأجيال القادمة إذا عجزنا عن إنقاذ هذا الجيل ، وليكن قربانا على مذبح التطور الرهيب !

والآن وقد انقضى عهد حكومة الحكام ، وأصبحت الحكومة للشعب ومن الشعب فقدزال أهم العاملين الأساسيين، ولم يبق إلا أن نقوى معنى هذا التبدل فى نفوس الحاكمين والمحكومين على السواء ، وأن نقلل من امتيازات الموظفين على أصحاب المصالح ، وأن نلغى من قاموس الدواوين اصطلاح "هيبة الوظيفة" .

ويجب أن نأخذ من المدينة للقرية ، فقد شبعت المدينة وسمنت وجاعت القرية وهزلت ،وسكان القرية آدميون والله . . . ! فيجب أن يشربوا الماء النقى على أقل تقدير وأن يجدوا مرافق الحياة الأولية اللائقة بالإنسان ، قبل أن تستزيد المدينة من وسائل الزينة ومطالب الرفاهية .

ويجب أن نأخذ من الأحياء الأفرنجية للأحياء الوطنية ، فقد عاشت الأولى أعواما فى لندن وباريس ، بينما عاشت الثانية وما زالت تعيش فى كهوف الحبشة ومغاور الزنوج وسكان هذه الأحياء أستطيع التأكيد بأنهم آدميون لهم حق استنشاق الهواء الطلق النقى فى شارع متسع ومتنزه بسيط وطرقات نظيفة وبيوت فيها الماء والنور .

ويجب أن نأخذ من الكماليات للضروريات ، فالجوع والعرى والمرض والجهل أولى بالقرش من التماثيل وحفلات الشاى ومآدب العشاء ومواكب الزينة وزخرفة الدور .

فأما العامل الثانى فذلك ميدان العمل الفسيح لوزارة الشؤون الاجتماعية ولكنها لن تنهض به وحدها ،ولن تنهض به حتى تؤازرها الدولة كلها ، والمفكرون الاجتماعيون جميعا .

فيجب أن نقف لحظة من هذا الركض السريع الذى طوينا به عشرات الأجيال فى جيل واحد ، يجب أن نقف لحظة ترى آثار العثرات التى أعثرنا إياها القفز والوثب على غير هدى ، وأن نضع لأنفسنا برنامجا اجتماعيا للتطور ، وغرضا مقصودا للتقدم ، وأن ننسق خطواتنا فى كل اتجاه ، فلا نكون كالجهاز المختل يتحرك كل جزء فيه على هواه .

ويجب أن نلحظ فى هذا البرنامج أن للزمن قيمته ، وأن الشعور الإنسانى وحدة متصلة الحلقات ، وأننا لا نستطيع التخلص من كل مارسخ فى أعماقنا من أثر التقاليد القديمة والحياة الطويلة بمثل هذه السرعة والسهولة ولو غيرنا مظاهرنا جميعا .

أجل يجب أن يأخذ الحاضر من الماضى ، وأن يعتمد المستقبل على الحاضر ، وأن نخطو بحذر ، ونتقدم برفق "فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى" كما يقول نبى الإسلام الكريم .

مصر في عهدها الجديد

أخطاء الماضي

بقلم الآنسة الأديبة ابنة الشاطئ

تستقبل مصر في العهد الحاضر حياة جديدة ؛ وترقب غدها المرجو في كثير من الثقة والأمل والاطمئنان .

ومن حق حاضرنا أن نتعرف إلى ماضيه لنصحح أخطاءه ، لأن الإنسان لا يستطيع أن ينكر أمسه ويجحد ماضيه ، ولأن الشعوب لا تستطيع أن تقتطع حاضرها من قصة حياتها لتعيش له وحده ، وتبدأ به حياة جديدة لا تشوهها أخطاء الماضي .

وليت النسيان يفلح في محو هذه الأخطاء ، ليت تجاهلنا إياها يذهب بها ويمحو آثارها ، إذن لاستطعنا أن نبدأ اليوم حياتنا الجديدة وفي نفوسنا الثقة والأمل والإيمان ، لكنها أخطاء لا تمحى بالنسيان ، ويجب أن تصحح لنعفي العهد الجديد من تلك الوراثة المثقلة بالمتاعب والأخطاء .

لقد تجاهلناها نحن كما تجاهلها آباء وأجداد لنا من قبل ، فتثقلت . . . ثم ما زالت الأيام تزيد في ثقلها بما تضيف إليها من أخطاء جديدة ، حتى لنخشى اليوم أن ينوء الركب بما يحمل فيدركه الإعياء .

ولقد تحررت في عهدها الجديد من المحتل الأجنبي ؛ ولكنها لم تحرر بعد مما يثقلها من أخطاء العصور والأجيال .

مرت عليها آلاف السنين والأعوام ، عرفت فيها ألوانا من الكفاح ، وكان كفاحها يتميز بلون واحد هو الذود عن الطابع المصري ؛ والاحتفاظ بشخصيتها في المحن التي مرت بها . وفي هذا العهد الطويل ، اختلفت على مصر أشكال من الحكم ، أساغت قليلا منها وعافت الكثير ، وكانت هذه الخطوب والمحن كافية لأن تشغلها عن الالتفات إلى داخلها والاهتمام بأبنائها : كانت تنظر دائما إلى خارج الحدود نظرة الخائف المترقب ، وكانت هذه النظرة تتفاوت في البعد ، فهي تتجاوز الحدود الجغرافية للوادي حين يتم لها لون من ألوان الاستقلال أو ما يشبه الاستقلال ، تذود عنه الجياع الطامعين في الوادي الخصب العجيب

وتقصر نظرتها أحيانا حين يقتحم العدو أسوارها ويقم تحت سمائها ، فيعلق بصرها به أنى أقام ، تذوده عنها وتكافح فى وقاية بنيها مما ينفثه الاحتلال فيهم من ذلة وجمود .

وبين هذا وذاك ، شغلت مصر عما فى داخل حدودها ... شغلت عن بنيها فلم تلتفت إليهم وهم يمارسون حياة شقية مريضة ويحدرون إلى هاوية الذل والمرض والجهل والفقر.

شغلت مصر عن بنيها فلم تفكر فى الحياة الاجتماعية التى فرضت على الكثرة الغالبة من أبنائها والتى رسبت فيها الأخطاء والأكاذيب ، ومضت ترتجل الحياة وتصطنع بعض الأساليب للنهضة وتفكر تفكيرا مضطربا فى بعض اصطلاحات متناثرة متفرقة لا تعرف قاعدة ولا ينتظمها منهج واضح المعالم بين الحدود . . .

شغلت مصر عن شعبها ، ومضت السنون والأعوام ، ثم صحت بالأمس القريب تفتتح عهدها الجديد ، فإذا بقطع الظلام تتراكم فى أفقها وتحول بينها وبين النور الجديد .

هذه قافلتها قد همت بالسير إلى الغد الموعود ، وبين أفرادها ألوف من المتعطلين خرجوا من معامل التوظيف يصيحون فى طلب الوظيفة ثم يضجرهم الصياح فيتسكعون فى المقاهى والطرقات ، لأن مدارسنا لم تهيئهم للكفاح ، وإنما أعدتهم للوظائف .

وفيهم عشرات الألوف من الأطفال الشرد الضالين ، قد نبذهم المجتمع وتركتهم مصر هملا ، فاحتضنهم الظلام وآوتهم أوكار اللصوص ، ورحبت بهم مدارس الإجرام لتردهم إلى مصر فى الغد لصوصا مجرمين .

وفيهم مليون طفل من أبناء المدارس الأولية والإلزامية ، يساقون إلى المدارس ليكتبوا بأيديهم التحيلة الجائعة ، أعجب المذكرات عن قيصر والاسكندر وأوجه القمر ، ويتعلمون سبك المعادن وتوريق الجدران ، وأمعاؤهم تتلوى من ألم الجوع والحرمان .

وفيهم ثلاثة عشر مليونا من الأميين الجاهلين يخبطون فى ظلام جهلهم ، وتطمع مصر أن تنال بهم مكانا فى عصر العلم والنور .

وفيهم بعد ذلك ، بضعة ملايين من الفلاحين الأشقياء المجاهدين ، عملوا فى مزرعة الذهب منذ عهد لا يعرفه التاريخ ، ولم ينالوا أبسط حق من حقوق الانسان .

تسير مصر إلى غدها بهذه القافلة المتعبة المريضة وهى مع ذلك تطمح إلى مجد مرتقب ، وتتحدث عن النهضة والقوة والاستقلال ، فهل تذكر أن مثل هذا الحديث لا يجوز إلا لدول طهرت شعوبها من عناصر الضعف والمرض وأشاعت فيها معنى القوة والكرامة والحياة ؟

إن العبء ثقيل ، ولكن يجب أن نواجهه ، فهو قد ثقل لأن آباءنا تجاهلوه وانصرفوا عنه إلى الذود عن البلاد ، وما يجوز لنا أن نتجاهله فى حاضرنا ، هذا الحاضر الذى عهد إليه فى تسليم التاريخ المصرى إلى الاجيال المقبلة .

ابنة الشاطئ

السمات العامة لنظام الديمقراطية

بقلم الأستاذ سلامه موسى

فى العام الماضى رأى العالم ثلاثة شعوب يقتل بعضها بعضا هى شعوب ألمانيا وفرنسا وإيطاليا . ولكن فى وسط هذا القتال نجد أمة صغيرة مؤلفة من الألمان والفرنسيين والإيطاليين هى الأمة السويسرية تعيش فى وفاق كأنها الدولة المثلى لهذه الشعوب المتقاتلة أو كأنها واحة السلام فى عالم توشك الحرب أن تحيله بالدمار صحراء قاحلة خالية من مؤسسات الحضارة. وإنما وصلت سويسرا إلى هذه الحال التى تغبط عليها لأن شعبها أو شعوبها أرادت أن تعيش فى سلام . وهى لم ترغب فى السلام فقط بل أرادته . وهنا يجب التمييز . لأن الرغبة عاطفية أما الإرادة فذهنيـة . ونحن حين نريد ينشط ذهننا ونفكر وندبر ونضع الترسيمات . ولذلك عنيت الأمة السويسرية بالترسيم والتخطيط . فوضعت الأنظمة التى تكفل السلام العام بين الألمان والفرنسيين والإيطاليين من سكانها الذين يبلغون أكثر قليلا من أربعة ملايين .

لا . بل أكثر من ذلك . فان الألمان يبلغون فى سويسرا ٣,٠٠٠,٠٠٠ والفرنسيين ٨٥٠,٠٠٠ والإيطاليين ٢٥٠,٠٠٠ . وكانت اللغات الرسمية للدولة إلى سنة ١٩٣٧ ثلاث لغات هى الألمانية والفرنسية والإيطالية . ولكنها زادت لغة فى هذه السنة ، لأن السويسريين وجدوا أن هناك أقلية تبلغ ٤٤ ألفا فقط تتكلم لغة تنزع إلى الرومانية القديمة فجعلوا لغات الدولة الرسمية أربع لغات . وهذا حرصا على هذا الاتحاد الديمقراطى أن تطفو على سطحه أية مشكلة صغيرة .

وفى الوقت الذى كانت تستعد فيه الدول الكبرى للحرب ونسمع الصيحات بل الصرخات المبحوحة عن الامبراطورية والاستعمار والأسواق والمواد الخامة والمنافـذ إلى البحر كانت سويسرا تعيش وتسعد برفاهية لا يبلغها حتى سكان الولايات المتحدة الأمريكية ، فإن متوسط ما يملكه الفرد من الثروة فى سويسرا يزيد — أجل يزيد — على متوسط ما يملكه الفرد فى الولايات المتحدة . وحسبك أن تعرف أن الكناس فى شوارع المدن فى سويسرا يبلغ دخله السنوى ٢٢٣ جنيها . وإذا عرفت دخل الكناس استطعت أن تقيس دخل من فوقه . وهذا على الرغم من أن سويسرا لا تملك امبراطورية ولا مستعمرات ولا أسواقا ولا منافذ على البحر بل ولا مواد خامة مما تحتاج اليه الصناعات كالحديد والفحم والبترول . فكيف تم للسويسريين كل ذلك أو كيف اتفق لهم هذا التفوق ؟

اتفق لهم كل ذلك لأنهم عمموا النظام الديمقراطى على أقصى ما يسمح به روح العصر فى السياسة والاقتصاد والاجتماع وليست سويسرا فذة فى هذا التفوق . فإنها تشترك فيه مع الأمم الديمقراطية الصغيرة فى اسكندناوة وهى دنمركا وأسوج ونروج. ولنعد إلى مرتب الكناس فقد قلنا إنه يبلغ ٢٢٣ جنيها فى سويسرا . وهو فى أسوج ٢١٠ جنيهات. وفى دنماركا ١٥٠ جنيها ولا نعرف مقداره فى نروج ولكن الأغلب أنه لا يقل عن ذلك كثيرا .

وهذا التفوق يحملنا على أن نبحث السمات العامة للأمم الديمقراطية . هـذه السمات التى أدت إلى هـذا الرخاء المـادى وأدت أيضا إلى ما لا نستطيع إحصـاءه بالأرقام من الرخاء النفسى والذهنى والاجتماعى .

ففى جميع الأمم الديمقراطيـة برلمـانات . والبرلمـان يؤلف عادة من مجلسين . ولكنه يؤلف أحيانا من مجلس واحد بالاستغناء عن مجلس الشيوخ . وحق التصويت وكذلك حق الانتخاب عامان يشترك فيهما الرجل والمرأة . وأحيانا يمكن للوزارة أن تترك البرلمـان وتلجأ إلى الشعب بالاستفتاء أى أنها تستفتيه فى مشروع معين. وفتوى الشعب فوق فتوى البرلمـان.

وأعظم ما يقوم به البرلمـان فى جميع الأمم الديمقراطية هو النقـد للحكومة . وصحيح إن الأعضاء يمكنهم أن يقدموا المشروعات لكى تناقش وتصير قوانين . ولكن المهمـة الأولى للأعضاء هى النقد . والحكومة الديمقراطية تمتاز بهذه الميزة وهى أنها لا تجيز النقد فقط بل ترحب به فى الصحف والمجالس البلدية (البرلمـانات المحلية) والبرلمـان .

وتمتاز الأمة الديمقراطية بالبرلمـانات الصغيرة أى المجالس البلدية . فان المـدينة تحكم نفسها وتعين شرطتها وتتولى التعليم أو بعضه وتبنى المنازل وتخطط الشوارع وتؤسس المستشفيات وتتوسع ما شاءت فى نشاطها المدنى . وهذه المجالس تدرب الجمهور على الحكم الذاتى وتشعره بتبعاته فى إصلاح مدنه وتوزيع العدالة بين السكان . والانتخابات للمجالس البلدية فى جميع الأمم الديمقراطية تحدث تنبها عاما وحركة ناشطة وتقسم الناخبين أحزابا لكل منها برنامجه فى الإصلاح المدنى . وهى تحدث وطنية محلية وكبرياء مدنية وشعورا بأن هـذه المكتبة العامة أو هذا الحمام أو ذلك التمثال أو تلك القاعة أو الكلية أو الحديقة قد اشترك الناخب فى تأسيسها وبذل جهدا فى الدعوة لهـا قبل ذلك . والمجلس البـلدى او المحلى نراه فى كل مدينة أو قرية . وقد تبلغ ميزانيته نحو أربعين مليون جنيه فى السنة كما نرى فى لندن أو نيويورك ، وقد لا يزيد على بضعة آلاف أو مئات من الجنيهات فى بعض القرى . ولكنه لازمة من لوازم الديمقراطية وهو يجسم الرأى القائل بضرورة الشورى وحرية النقد والحكم الذاتى والتبعة العامة بين السكان وأن الحكم للجماعة المتشاورة وليس للفرد المستبد .

على أن فكرة الشورى ورأى الجماعة لا ينحصران فى البرلمانات الكبرى أو الصغرى للأمة الديمقراطية . وإنما هما فكرة قد تشبعت بها الأمة فهى تمارسها فى جميع ألوان نشاطها متطوعة غير مضطرة. وأعظم برهان على ذلك انتشار الجمعيات التعاونية فيها . وجمعية التعاون هى شركة ديمقراطية بين جماعة من الناس المتوسطين أو الفقراء ، وهى تضع شروطا تمنع بها حيازة الأسهم الكثيرة التى تجعل أحد المساهمين فى مركز المستبد بسائر الأعضاء . وهذه الجمعيات نراها على طرازها الأمثل فى دنمركا حيث يحق لنا أن نقول إن حضارة الدنمركيين هى حضارة التعاون أى حضارة الفلاحين والفلاحات الذين يربون الطيور والخنازير والعجول والفراخ وينتجون البيض واللبن والجبن والزبدة ويبيعونها فى جماعات صغيرة منظمة بحيث يخرج الفلاح آخر العام وعنده من الدخل الذى ترده اليه جمعية التعاون التى ينتسب اليها ما يبلغ مقداره عشرين ضعفا لدخل فلاحنا .

وهذا الروح الاجتماعى نجد له مثالا آخر فى النقابة أى نقابة العمال الذين يشتركون معا ويؤدون أجرا صغيرا كل شهر لإيجاد هيئة تدافع عن شئونهم من حيث ساعات العمل والأجور ونحو ذلك . وبكلمة أخرى نستطيع أن نقول إن النظام الديمقراطى فى الأمة والحكومة يقتضى العمل بالجماعة لا بالفرد كلما أمكن ذلك .

ولكن العمل بالجماعة يقتضى حرية الاجتماع بل احترام الاجتماع . وهذا هو السائد فى جميع الأمم الديمقراطية . لأن الثقة متبادلة بين الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة . ونحن نعرف من اختباراتنا واختبارات غيرنا أن مدة الخطر وما يبعثه من توجس ووساوس تحد حرية الاجتماع أو تحظره على الأفراد . بل يبلغ المنع ألا يسير معا أكثر من ثلاثة أو خمسة فى الطريق. وفى الأمم التى تسير على الأنظمة الاستبدادية المنطفة أو الصارمة ينظر إلى الاجتماع بعين القلق إن لم نقل بعين الكرهة. وهو لذلك يحتاج الى إجراءات. ولكن الأمم الديمقراطية ، للاطمئنان الذى يسودها ولأن مبدأ الحكم بالشورى والترحيب بالنقد من المجتمعين سائدان ، ترضى بحرية الاجتماع. وليس هذا الاجتماع مقصورا على جمعية التعاون أو النقابة للعمال ولكنه يتجاوز ذلك الى إيجاد أية جمعية ثقافية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية .

وسمة أخرى تنتج عن كل هذا الذى ذكرنا هى احترام الرأى والعقيدة فى جميع الأمم الديمقراطية . فلكل انسان الحق فى أن يرتئى ويعتقد ما شاء . وليس معنى هذا أنه يمكنه أن يمارس ما يعتقد أو يرتئى . فقد يرتئى أحدنا أن الناس لو ساروا فى الشارع عراة لكان أجمل لقوامهم وأنفع لصحتهم . فهو حر فى الدعوة الى هذا الرأى . ولكنه ليس حرا فى أن يسير فى الشارع عريان إلا بعد أن تستفيض دعوته ويقبلها الجمهور ويسن لها قانون . فحرية الدعوة لنظام معين من الحياة هى غير حرية الممارسة لهذا النظام . وهنا نجد فوارق دقيقة للتمييز بين الدعوة والممارسة .

وهـذا الاحترام للرأى أو العقيدة ينتهى باحترام الجماعات أو الأقليات الصغيرة . كهذا الذى رأينا حين عمدت حكومة الاتحاد السويسرى سنة ١٩٣٧ إلى احترام الأقلية التى يتكلم أفرادها بلغة تنزع إلى الرومانية فاعتبرت لغتهم من اللغات الرسمية للدولة مع أنهم لا يزيدون على ٤٤,٠٠٠ والاضطهاد الذى نراه فى بعض الأقطار الاستبدادية للأقليات نجد إزاءه تسامحا تاما للاقليات فى الأمم الديمقراطية .

وجميع الأمم الديمقراطية تعيش من حيث الاقتصاديات فى نظام المباراة فى الكسب — اذا استثنينا ماعندها من جمعيات التعاون ، ولكن هذا النظام على ماينتجه من تعطل وفاقة قد أنتج أيضا الرغبة فى معالجة المساوئ التى تنشأ عنه . فوجدنا العناية فى جميع الأمم الديموقراطية بالتأمين من الفقر والتعطل والمرض . كما وجدنا العناية بزيادة الكسب للطبقات الدنيا . ومثال الكناسين الذى أوردناه فى أول هذا المقال يدل على ذلك .

وهذه العناية الديمقراطية بالطبقات الفقيرة تختلف أغراضها وألوانها . فقـد أوجدت فى بريطانيا فى العشرين من السنين المـاضية ثلاثة ملايين ونصف مليون منزل جديد بنتها الحكومة أو المجالس المحلية أو الشركات والجمعيات بمعاونة الحكومة . وهذه العناية أوجدت شركات التعاون فى دنمركا والتعليم الجامعى العالى بالمجان أو مايقرب من المجان للعمال والفقراء . وأوجدت المعونات السخية التى تزيد على ستة أو سبعة آلاف مليون جنيه فى الولايات المتحدة لمعالجة التعطل .

وقـد نجد فى الأمم الديمقراطية الكبيرة مثل الولايات المتحدة أو بريطانيا تفاوتا عظيما فى الثروة الفردية بين الطبقات الثرية والطبقات الفقيرة . لأن وفرة الانتاج فى الأولى واتساع الأمبراطورية فى الثانية يسمح بهذا التفاوت . ولكن الأمم الديمقراطية الصغيرة مثل سويسرا أو أسوج ودنمركا وهولندا تجعل هذا التفاوت صغيرا كما نرى مثلا فى بعض المرتبات فى دنمركا :

مرتب الكناس ١٥٠ جنيها فى السنة .

« معلم المدارس الابتدائية ٢٤٠ جنيها فى السنة .

« الأستاذ فى الجامعة ٥٠٠ جنيه فى السنة .

« المستشار فى محكمة عليا ٦٠٠ جنيه فى السنة .

هذه هى بعض السمات الديمقراطية . وهى سمات اذا تعمقنا فى أسبابها ونتائجها وجدنا أنها ترجع الى الإرادة الحازمة فى تعميم العدالة التى انبعثت بأن صانت هذه الأمم من الانقلابات الخطيرة والثورات الدموية . وعممت الرفاهية الاقتصادية وقربت بين الأغنياء والفقراء فزال التفاوت الكبير بينهما .

سلامه موسى

الجندية

وسيلة من وسائل التربية العامة

بقلم الأستاذ إبراهيم عبد المجيد اللبان
المفتش بوزارة المعارف العمومية

على كثرة ما يسمع المرء من أقوال وأمثال ، تنفرد بعض الكلمات بقوة وقعها وطول بقائه فى النفس و بعد أثرها فى توجيه التفكير والتقدير .

فى عهد دراستى سمعت مرة أستاذنا الكبير المغفور له اسماعيل بك رأفت يتحدث فى لحظة من لحظات إلهامه عن طرق التربية العامة ، ولعله لم يأت بجديد فى حديثه ولكنه — كما يعرف جميع عارفيه — كان يستطيع بسحر بيانه وقوة وجدانه أن يريك الجدة فيما أخلقه تكرار الألسن ، حتى ليخيل إليك وأنت تسمعه يتحدث عن المألوف المأنوس أنك تستكشف للمرة الأولى فى حياتك آفاقا علمية لا عهد لك بها من قبل . سمعته يقول يجب عليكم كمربين أن تدركوا قيمة الجندية كوسيلة من وسائل التربية العامة .

كنت الى ذلك الحين كغيرى من الناس إذا فكرت فى الجندية يبدو لى الكثير من جوانبها ويخفى علىّ هذا الجانب . كنت أرى فيها ما يرى الناس من أنها تدريب بدنى محض على أعمال آلية بحتة ولا أذكر أنى فكرت إطلاقا فى أنها قد تكون مصدر ثقافة أو تهذيب .

ومهما يكن فقد كانت تلك الكلمة مصدر شعور جديد عميق تولد فى نفسى فى تلك اللحظة ، وفاتحة تفكير طويل استمر منذ ذلك الحين .

" الجندية وسيلة من وسائل التربية العامة " وهذه حقيقة من أصدق الحقائق الاجتماعية وأبعدها أثرا . وما هو إلا ان يتحرر المرء من النظرة التقليدية الضيقة حتى يشعر بصدق هذه النظرية وخطورتها وروعتها وما تنطوى عليها من خير اجتماعى كبير .

ومن شاء أن يختبر صحة هذه النظرية فلن يتقاضاه ذلك أكثر من موازنة بسيطة بين حياة المصرى بعد عودته من الجندية وحياة أقرانه الذين لم يتح لهم الا نخراط فى سلكها . فليس من العسير اذ ذاك أن يرى المرء أن تغيرا كبيرا قد حدث للكثيرين ممن عادوا من الجندية وأن الجندية قد تركت أثرا ظاهرا لا فى أجسامهم وقوامهم فحسب ، ولكن فى نفوسهم وتفكيرهم وآدابهم الاجتماعية وأسلوب حياتهم المنزلية ومسلكهم إزاء زوجاتهم وأولادهم ونظرتهم الى المستقبل والواجب . وأن هذا التغير قد كان تطورا نحو المثل الأعلى للشخصية والحياة الاجتماعية الحقة التى تسعى التربية العصرية الى تحقيقها وتثبيت دعائمها .

لا تقتصر الجندية فى بلد من بلاد العالم على التدريب العسكرى وحده و إنما تحاول أن تطبع فى نفوس الجند كثيرا من العادات الصالحة كالنظافة والنظام والاتصال الرشيد المهذب بين الرئيس والمرءوس والتفكير فى الشؤون العسكرية والمادية .

والجند إزاء ذلك فريقان : فريق يمثل تلك المعانى النفسية والاجتماعية العالية فتصبح بعد ذلك من مقوماته النفسية . فإذا عاد إلى بيئته الأولى حملها معه فأصبحت هناك ، كما كانت هنا ، الأسلوب الذى يجرى عليه فى حياته والنهج الذى ينهجه فى صلاته الاجتماعية وأحواله العادية لا سيما إذا كانت البيئة ملائمة لهذه الآداب الجديدة ومساعدة على الاحتفاظ بها .

و إلى جانب هؤلاء فريق لا يرى فيها إلا رسوما وتقاليد ثقيلة فهى تستقر منه فى الجوارح لا فى الجوانح وتبقى أجنبيـــة عن نفسه وعقله حتى إذا ما انقضت أيام الجندية طرحها كما يطرح السجين أغلالا ثقيلة كانت تعوقه عن الحركة الحرة الطليقة وارتد إلى عاداته القديمة مطمئنا إليها فرحا بها .

نخلص من هذا التمهيد بنتيجة وهى أن كل هذه الحقائق تتلاقى عند نقطة واحدة : هى أن الجندية تدريب وأن هذا التدريب يحدث تطورا نفسيا خطيرا وتحولا بينا فى شخصية ذوى الاستعداد العالى ، وأن هذا التطور النفسى يحقق قدرا كبيرا من مقاصد التربية الحديثة .

والواقع أن الجنـدية والتربية المدرسـية تتفقان فى الجوهر واللب والصميم ، وإذا استعرنا لغة علماء التربية ونظرنا إلى الجندية على ما هى عليه اليوم نظرة وزن وتقدير جاز لنا أن نقول إن الجندية ليست إلا نوعا خاصا من التربية البدنية ممتزجا بقدر محدود من التربية الاجتماعية ، وأن التربية المدرسية لا تختلف عنها اختلاف النوع عن النوع و إنما تمتاز عنها بسعة أغراضها واتساع مراميها وتعدد وسائلها التى تتذرع بها لإدراك تلك المقاصد الكثيرة.

ويجب أن أبادر الآن إلى تقرير حقيقـة لا بد منها ، تلك أن الجندية لا تشعر بنفسها كعملية ثقافية أو تهذيبية، ولا تحاول أن تتجه هذا الاتجاه، و إنما تشعر بنفسها كإعداد عملى لمهنة خاصة وهى مهنة الحرب .

ولست أحاول أن أسلبها هذا الشعور أو أدعوها إلى الإقلال منه ، فلا بد من وجود جيش قوى مستعد للدفاع عن البلاد ، ولا بد من أن يقضى أفراد هذا الجيش زمنا طويلا أو قصيرا فى تدريب غايته الأساسية إعدادهم للقيام بمهمتهم الحربية على خير الوجوه وأفضلها و إنما أردت الإشارة إلى أن الجندية ، سواء أقصدت أم لم تقصد ، كانت مصدر ثقافة وتهذيب لعدد ليس بالقليل ممن انتموا إليها .

قد يقف كثير من الباحثين عند هـذه الملاحظة العارضة فينتهى البحث إلى غير نتيجة عملية ، و إنما يبدأ الإصلاح والتجديد حينما يشعر الباحث الاجتماعى إزاء مثل تلك الحقائق الهامة بمثل ما يشعر به المنقبون فى أغوار الأرض إذا اصطدمت معاولهم بعرق من عروق

المعادن الكامنة فى جوفها، يبدأ الإصلاح حينما يدرك المفكرون قيمة هذه الحقائق وما تنطوى عليه من بذور الخير والإصلاح ، وحين يفكرون فى طرق استثمارها والاستفادة منها ، يبدأ حينما يشعرون بأنهم قد وضعوا أيديهم على مصدر من مصادر الخير الاجتماعى التى قد تفيض بالخير الكثير إذا أحسن القيام عليها وابتكرت الطرق لإنمائها واستثمارها .

شهدت فى أثناء مقامى بانجلترا عددا من الجند يتدربون على أعمال جديدة لم تكن الجندية تعنى بالتدريب عليها : كانوا يتدربون على أنواع مختلفة من الصناعات والمهن ، وقد تولى أحد المسئولين شرح ذلك للحضور ، فقال : إن الباعث على ذلك هو أن جمهرة كبيرة من الجند الذين يقضون عددا من السنين فى الجندية ، كثيرا ما يجدون أنفسهم بعد انقضاء مدتها فى حالة بطالة وفراغ بسبب عجزهم عن مزاولة الحرف والصناعات الشائعة فى المجتمع ، فرأينا أن نعدهم وهم لا يزالون فى الجندية للحياة العملية التى يستقبلونها والتى لا مفر لهم من خوض غمارها .

ليس من شك فى أن هذا الحادث على بساطته قد افتتح عهدا جديدا فى حياة الجندية ، فهو أول محاولة عملية للخروج بالجندية من الدائرة الضيقة التى كانت إلى ذلك الحين محصورة فيها ، وهو أول محاولة جدية للاتجاه بالجندية نحو غايات التربية العليا ، ولكنه لا يزيد على أن يكون محاولة ضيقة المدى .

تحت تأثير هذه الظروف مجتمعة كان من الطبيعى أن يتجه بى التفكير إلى الجندية المصرية .

وهنا أسائل نفسى : ما دامت الجندية وسيلة من وسائل التربية العامة سواء أقصدت ذلك أم لم تقصد ، وما دامت الأنظار قد اتجهت إلى توسيع نطاق هذه التربية حتى أصبحت تشمل التدريب الصناعى ، أفليس من الممكن الآن وقد تقلصت ظلال الفكرة القديمة أن تتقدم بالجندية المصرية خطوة بل خطوات إلى الأمام فتتخذ منها إلى جانب ما تقوم به من الإعداد العسكرى وسيلة إلى ثقافة أوسع وتربية أتم وأوفى ؟ .

تمتد الخدمة العسكرية المصرية فى الجيش العامل خمسة أعوام طوال ، وإذا نظرنا إلى نوع التدريب الذى يقوم به الجند فى هذا الزمن الطويل وجدناه تدريبا محدودا يتم عادة فى أشهر معدودة يعيش الجند بعدها حياة هى أشبه شىء بحياة التعطل والفراغ التى تشجع الكثير من الرذائل الخلقية .

زمن الجندية فى مصر إذاً طويل ، يمر أقله فى تدريب ضئيل ويمضى أكثره فى عطلة لا لسبب إلا أن التفكير لم يتجه بعد إلى إنفاقه فى طرق أجدى وأعود بالنفع . وإذا نظرنا إلى ما يسبق الجندية وما يتلوها وجدنا أن هناك أسبابا قوية تجعل من العدل التفكير فى تغيير أوضاع الجندية المصرية الحالية وجعلها أكثر ملاءمة لحاجة البلاد والجند معا .

قد لا يكون للجندية الفرنسية مثلا وظائف ثقافية . ولكن الأمر لدينا مختلف . فان الفرنسى بحكم قانون البلاد وتقاليدها يتلقى ثقافة وافية قبل أن يصل إلى سن الجندية . أما

الطبقات المصرية التي تنخرط عادة فى سلك الجندية بجمهرتها غير متعلمة على الإطلاق . وقد تكون الجندية فرصة لتلافى هذا النقص التهذيبى ومحو أثر الظلم الاجتماعى الذى حاق بهم .

فى البلاد الأوربية ، وفى انجلترا نفسها ، نوع من التربية يسمى تربية البالغين . وغرض هذه التربية تدارك ما قد حاق بأبناء الطبقات الفقيرة الذين لا يصلون عادة إلى المدارس العليا أو الجامعات بسبب نقص فى التعليم وقصور فى التثقيف . فاذا كانت تلك الممالك ترى من الحق عليها أن توفر لأبناء الطبقات الفقيرة أسباب النهوض إلى مستوى التعليم العالى ، أفلا يكون من واجب مصر أن تفكر فى إيصال القواعد الأولية للثقافة إلى جميع أبناء البلاد بكل ما تملكه من وسائل ؟ فاذا كان الأمر كذلك وكانت الجندية إحدى الفرص النفيسة التى تعيننا على تحقيق هذه الغاية السامية ، ألا يكون من الحكمة وسداد الرأى استخدامها لهذه الغاية ؟

ليس الجندى المصرى بعد خروجه من الجندية بأقل حاجة إلى صناعة أو مهنة يستعين بها على استدرار أخلاف الرزق لنفسه وذويه ، بل هو أحوج إلى ذلك من غيره .

فطبيعى إذاً أن نفكر فى تغيير الوضع الحالى للجندية المصرية وأن نتخذ من سنيها الخمس ذريعة لتوسيع نطاق ثقافة الجند وإعدادهم للحياة التى تنتظرهم بعد انقضاء أيام الجندية ، ووسيلة لرفع ما لحق بهم فى أيامهم الأولى من حيف اجتماعى كبير .

إن سنى الجندية تقتطع عادة من ريعان الشباب وزهرة العمر ، وهى السنون التى يقضيها الطالب عادة فى الجامعة . وفيها تكون القوى العقلية والبدنية فى عنفوانها وشدة وقدتها واضطرامها . فهى لذلك أنفس وأثمن من أن تحتكرها الأعمال العسكرية الآلية والبطالة التى تتلوها أو ترافقها . وهى فى الواقع جزء من عهد التكوين البدنى والعقلى فلا يحق لنا أن نعطلها هذا التعطيل ونتركها خلوا من كل إعداد عملى وثقافة فكرية .

ولا نحب أن نتوسع فيما نقترحه من تغيير فكل الذى نريده هو تعليم القراءة والكتابة ومبادئ الرياضة والرسم ثم بعض الصناعات السهلة .

ومن البين أن هذه الدرجة من الثقافة لن تمس الاستعداد الحربى بنقص ، بل الواقع أنها من عوامل زيادته وتهذيبه ورفع مستواه . فان القراءة والكتابة والرياضة ستعينهم على فهم الأصول الحربية فهما مستنيرا . أما الصناعات فلن يقتصر نفعها على الجند أنفسهم بل من الميسور أن تسخر هذه الصناعات لخدمة الجيش وسد حاجاته .

ولا ينبغى أن تخيفنا النفقات فمن السهل اختيار صفوة الجند والمتعلمين منهم ليقوموا تحت إرشاد الضباط بتعليم سواهم وتدريبهم .

فلنقدم إذاً على التغيير ، ولنوسع وظيفة الجندية الثقافية فنرفع بذلك مستوى الجندية ونصون مستقبل الجنود ونقضى بذلك حقا اجتماعيا واجب القضاء .

إبراهيم عبد المجيد اللبان
B.A., M.A., T.D., London.

إلغاء البغاء وإلغاء البغايا

بقلم الأستاذ الأديب س . ق

فى مكاتب "وزارة الشؤون الاجتماعية" مشروع قانون لإلغاء البغاء ، تلبى بسنه الرغبات الكبيرة التى جاشت فى ضمير الأمة منذ أن أصبح البغاء مهنة فى حماية الدولة ، والأصوات الكثيرة التى ارتفعت تطالب بهذا الإلغاء فى فترات داخل البرلمان وخارجه ؛ وتنفذ به الانسجام الواجب بين ما يقرره الدستور من أن " دين الدولة الرسمى هو الإسلام " و بين مظاهر الحياة فى هذه الدولة ، وتجيب به صوت الإنسانية كلها فى حماية المرأة من " تجارة الرقيق الأبيض " بعد ما حرم الرق فى جميع القوانين ، و تصون به الفضائل البشرية التى تتأذى جميعا بهذا النظام ، ولتكفكف من حدة الجرائم التى ترتكب فى أحياء البغاء وتقترف حول هذه الأحياء وحول النظام كله ، وهى جرائم متعددة مختلفة الألوان ... وأخيرا لتقاوم انتشار الأمراض السرية التى يملأ هذا النظام قلوب رواد المواخير بالاطمئنان الكاذب من ناحيتها وهو اطمئنان لا محل له ، وله عواقبه فى الأجيال القادمة الملوثة .

و يطول بنا تعداد الأسباب التى تجزم بإلغاء هذا المظهر البشع من حياة شعب متمدين ولكن قبل أن نندفع فى تعدادها يجب أن نقف هنيهة لنقول " إن إلغاء البغاء شىء أكبر من إلغاء البغايا "شىء مختلف جدا ، وهذا ما ينبغى أن نلتفت إليه قبل أن نغرق فى الامال العذبة من وراء هذا الإلغاء .

فسن قانون بتحريم البغاء العلنى والسرى ، و إقفال هذه البيوت الدنسة ، وكفالة أولئك النسوة البائسات فى ملجأ أو مشغل ، وكفهن عن المجتمع ، وتشديد العقوبة على من يضبطون فى المنازل السرية من مخالفة إلى جنحة بل جناية ...

كل أولئك إنما هو " إلغاء للبغايا " محدود الأثر ، ولكنه لا يجتث الداء من أساسه وستعود العوامل التى بعثت بهؤلاء البغايا إلى هذه الأوكار ، فتبعث بسواهن من جديد ولكن هؤلاء الجديدات لن يكون مقرهن تلك البيوت العلنية ، ولا تلك البيوت السرية ذات الطابع الخاص المعروف لرجال الشرطة ، بل سيكون فى المنازل الشريفة ، وفى جهات "فوق مستوى الشبهات" ، ولا تستطيع عين الشرطة ولا يد القانون أن تلاحقهن متفرقات فى كل مكان ، بعد أن كن مجتمعات أو شبه مجتمعات !

ويجب أن نلفت بالنا إلى أمرين هامين : أولهما أن البغاء لا يتم بوجود المرأة البغى بل لا بد لها من شريك هو " الرجل البغى " . وثانيهما أن هذه الأحياء والبيوت ليست منابع للبغاء ولكنها مصاب له ، فهو يقع فى بيئات وأوساط وأحوال كثيرة ثم يتحدر إلى هذه المصاب بعد ذلك ، والإلتفات إلى هذين الأمرين خليق أن يوسع نظرتنا إلى الموضوع كله ، فيشمل العلاج الشريكين فى البغاء ، كما يشمل منابعه الأولى بالتطهير ، ويقوم هذا العلاج بجانب القانون الذى تهتم " وزارة الشؤون الاجتماعية " به ، وبهما معا نستطيع محو هذه الوصمة من جبين الإنسانية المصرية . فلنستعرض بعض هذه المنابع الوبيلة .

الطفولة المشردة منبع من منابع البغاء الأساسية ، فيجب أن نحمى هذه الطفولة مما تتعرض له فى الأزقة والطرقات والمباءات ، تحت تأثير عوامل الفقر وسوء التربية ، وفساد القدوة ، وقوة الإغراء ، من الهوى الى درك البغاء فى النهاية ، ونظرة واحدة يلقيها الباحث الى الصبيات والفتيات بائعات اليانصيب ، وجامعات أعقاب السجاير والمتسولات وأمثالهن وإلى الأماكن التى يرتدنها لمزاولة هذه " المهن ! " والصبية والغلمان والشبان الذين يختلطون بهن فى هذه الاماكن .. نظرة واحدة تشير الى المصير المحتوم لهؤلاء وهؤلاء .

فهذا المنبع يجب تطهيره بإيجاد الملاجئ والمشاغل والتشديد فى عقوبة أولياء أمور هؤلاء المشردين والمشردات ، ولنذكر دائما أن هذه البذور هى نبات المستقبل ، وأن فى هذه الطفولة كنوزا لا يصح إغفالها ، فاذا لم يكن لنا من وراء العناية التامة بها إلا تطهير منبع من منابع البغاء لكان كل جهد فى هذه الناحية له ما يبرره .

والمنبع الثانى هو الخدمة فى المنازل ومكاتب التخديم ، ويجب أن نذكر أن كثيرا من الخادمات يبدأ سقوطهن فى مكتب التخديم أو فى البيوت التى يخدمن فيها . مع الخدم أو مع الأسياد وأبناء الأسياد ! وحقيقة أن الكثيرات منهن يردن الى مكتب التخديم أو منزل الخدمة ساقطات ، ولكن كثيرات كذلك يردن طاهرات بريئات .

وعلاج هذه المشكلة يكون بفرض رقابة شديدة على مكاتب التخديم ، واستخراج شهادات بالكشف الطبى على كل فتاة تريد احتراف الخدمة فى المنازل فوق شهادة تحقيق الشخصية ، تثبت حالتها ، ولا يسمح بوجودها فى المكتب ولا فى المنزل إلا بعد استخراج هاتين الشهادتين ... ثم جعل هؤلاء الفتيات بعد ذلك فى رعاية مدير المكتب أو صاحب المنزل الذى تخدم فيه ، بحيث يعتبر كل اعتداء عليها من أحدهما جناية ولو كانت بالغا ولو لم يصحبه إكراه ، ثم يعاد توقيع الكشف الطبى عليهن فى نهاية كل عام .

وهذا العلاج لا يضمن المحافظة على الخادمات محافظة تامة ، شأنه شأن كل علاج يتولاه القانون وحده ، ولكنه مع الوسائل الأخرى يقلل الى حد كبير من حوادث السقوط . ويجب

أن ننتبه الى أن الخادمة التي تسقط سيتهى بها المطاف غالبا الى دور البغاء، أو تكون هى دارا متنقلة من هذه الدور .

وبهذه المناسبة أشير إشارة خاصة إلى الخادمات فى "البنسيونات" وبعض الفنادق فهن خادمات فى الظاهر ولكن وظيفتهن الأولى فى كثير من الأحيان هى البغاء أو التمهيد للبغاء .

والفقر أكبر مدرسة من مدارس البغاء ، وأوسع منبع من منابعه ، وعلاج مشكلة الفقر موضوع قائم بذاته تكتب فيه المقالات والكتب ، فلا ينتظر منى القراء أن أبحثها فى هذه الكلمة المحدودة ، وكل ما أشير به أن يكون من همنا ونحن نحاول إلغاء البغاء أن نجتهد فى إلغاء الفقر ، وكل خطوة نخطوها فى هذا الطريق بأية وسيلة من الوسائل مضمونة الأثر فى تطهير منبع أساسى من منابع الداء .

والفراغ والعمل الآلى وتناول الخمور والمخدرات والشذوذ الجنسى والأمراض العصبية وقسوة التقاليد وفسادها حوافز دافعة إلى البغاء ، وسنفرد لكل منها كلمة قصيرة خاطفة فيما يلى ، وكل منها صالح لبحث مستقل طويل :

فالفراغ الذى يملأ حياة شبابنا ، والنشاط الحيوى المدخر الذى لا ينفق فى عمل أو هواية ، يدفع الشاب إلى التماس تصريفه فى النشاط الغريزى ، ومن هنا يستخدم — كل على طريقته وفى مستواه — وسائل الإغراء الجنسى للبريئات من كل طبقة ، وحين تسقط الفتاة ثم تسقط ، ترشح نفسها للبغاء على شكل من الأشكال .

فيجب أن ينصرف همنا إلى ملء فراغ شبابنا بالعمل والألعاب الرياضية والهوايات المنوعة التى تعصمهم من التفكير فى الغريزة ، وتمدهم فى الوقت ذاته بموارد قوة أو ثقافة أو ثروة وترفع مستواهم النفسى والعقلى والجسمى. ومكان هذا فى المدرسة وفى النادى وليكن ذلك بين برامج دراستنا ومجتمعنا .

والعمل الآلى الذى لا يحمل على التفكير اتضح أخيرا أنه عامل من عوامل البغاء ، فقد لاحظ الباحثون انتشاره بين فتيات المصانع الآلية ، وهو كذلك فى الفتيان ، وهذه المشكلة لم تشتد عندنا بعد ، ولكننا أخذنا فى الطريق الصناعى الآلى فينبغى أن نضع الأسس لعلاج الأزمة قبل استفحالها فنعنى بهؤلاء العمال والعاملات ، ونكفل لهم النهوض عن هذه الآلية بالنشاط الرياضى والذهنى فى مجتمعات خارجية تتلقاهم بعد مواعيد العمل فتروح عن نفوسهم ، وتحميها من الاتجاه إلى الانحلال والجمود .

وهنا يتجه الذهن إلى "جيش الخلاص" وإلى الجمعيات النسوية ، ولكنا نرجئ الحديث عنهما إلى موضعه فى آخر المقال .

وتناول الخمور والمخدرات حافز من حوافز البغاء كذلك بما يضعف من الأجسام والعقول ، وبما يهيج من الغرائز الكامنة ، فكل محاربة لها محاربة للبغاء فى صورة من الصور ، ولا سيما فى أوساط الفتيان ، وفى الطبقات الفقيرة المنهوكة بالعمل وسوء الغذاء .

والشذوذ الجنسي والأمراض العصبية ، قد تكون وحدها دافعا إلى الهوة، فقد لايكون الرجل أو المرأة فقيرا ولا سيئ التربية ولا خاضعا لإغراء ، فيكون الشذوذ الجنسي أو المرض العصبي وحده حافزا لهما على تجنب السبيل السوى ، وقد يكون كلاهما متزوجا فى أحوال كثيرة ، بل إن بعض العلماء يقرر أن جميع العوامل لا تكفى وحدها لخلق المرأة البغى ما لم تعتمد على أساس الشذوذ الجنسى أو الجسمى بشكل عام ، بدليل أن كثيرات من النساء السويات يتعرضن لما يتعرض له الفسوة الشواذ من عوامل ولكنهن لا يسقطن ، وإذا سقطن فإنهن لا يملن إلى البغاء (والمسافة كبيرة بين السقوط والبغاء) .

وعلاج هذه الحالة يكون بإنشاء معاهد الشواذ ومستشفياتهم من الجنسين ، وملاحظة هذا الشذوذ وتتبعه بالدواء قبل أن يستفحل فيقود إلى البغاء .

كما يجب التفكير العاجل فى منع هؤلاء الشواذ الميئوس من شفائهم أن يتناسلوا ويتكاثروا فإن نسلهم سيكون مثلهم منبعا غزيرا من منابع الداء .

أما قسوة التقاليد وفسادها فتشمل جهات متنوعة للحديث نمر بها سراعا ، فاحتجاب المرأة الفاضلة عن المجتمع المصرى أحقابا متطاولة ، ثم اندفاع المرأة عامة إلى الاختلاط بغاة ، سبب من أسباب الفساد الخلق فى الحالتين . ذلك أن احتجاب المرأة عن المجتمع يلهب الغرائز ويحرمها العلاج اليومى البطىء بالنظر والسماع والاختلاط البرىء، ويدعو إلى إروائها بطرق ملتوية هابطة فى معزل من الرقباء . وذلك أن اندفاع المرأة إلى اختلاط لم يشترك الزمن فى تهيئة وسائله وإعداد النفوس والأخلاق له جر فى أثره كارثة أخرى من كوارث الأخلاق .

ومن التقاليد الفاسدة كذلك المغالاة فى المهور وتكاليف الزواج وبذخ الحياة الزوجية التى تجعل الزواج مسألة صعبة متعذرة على كثير من الشبان وتعطل بذلك كثيرات من الشواب مع تعرضهم جميعا لقسوة الإغراء ودفعة الحوافز التى تحيط بهما من كل ناحية بسبب المدنية الحديثة ، مما يزل أقدامهم فى منحدر زلق مرهوب .

ومن التقاليد القاسية قسوة المجتمع فى بعض جهات المملكة المصرية على المرأة التى تسقط ولو مرة واحدة، والملحوظ أن غالبية البغايا يجئن من الوجه القبلى . وقد يبدو ذلك عجيبا ولكنه منطقى ، فالمعروف أن أهالى الصعيد لا يتسامحون غالبا فى جرائم العرض، فالفتاة العاثرة التى تسقط مرة لاتجد لها ملجأ يعصمها من القتل أو من الازدراء الذى لا تطاق معه الحياة إلا حين تحتمى بالقانون وتسلم نفسها للماخور ، بينما يتسع صدر أهالى الريف لمثل هذه الفتاة قليلا ويتسع صدر المدينة لها كثيرا ، فتجد الفرصة لتلافى غلطتها والعودة إلى الحياة الشريفة ، أو تختار لها مصيرا غير مصير البغاء الشنيع .

وهنا يتسع الحديث عن "جيش الخلاص" ومجال عمله غير محدود فى كل حالة من الحالات التى مر ذكرها ، فهو يستطيع المعاونة على الفقر وتوفير معاهد التهذيب والنوادى ووسائل التسلية البريئة وتلقف الساقطين وإرشادهم إلى حياة شريفة وتعهدهم بالمعونة وتطهيرهم وضمانتهم أمام المجتمع الذى لا يثق بهم بعد سقوطهم ، وترقية مستواهم النفسى والجسمى .

و" الجمعيات النسوية " تستطيع احتضان الفتيات المشردات وتهذيبهن كما تتولى انقاذ الساقطات التائبات أو المستعدات للعودة إلى طريق التوبة وإعادتهن الى المجتمع فاضلات شريفات ، وتستطيع أن تكون مجتمعا ونواديا لعاملات المصنع وأمثالهن ، ومعينا على تزويج الفقيرات . وكل عمل من هذه الأعمال أجدى على الوطن وعلى النهضة النسوية من ألف خطبة فى مؤتمر وألف حفلة للسمر ، وألف نداء بمنح المرأة حقوق الانتخاب .

ولست فى حاجة أن أقول فى النهاية : إن التربية الصالحة . والتقاليد القويمة والتعاليم الدينية . والرقابة على الصحف والسينما والمسرح والأغانى بحيث لا تكون معاهد للإغراء المبتذل وكافة وسائل الرقابة الأدبية من الحواجز والزواجر فوق كل قانون وأعظم من كل تشريع .

* * *

هذه نظرة سريعة إلى أسباب البغاء الأصيلة ووسائل علاجها ، وكل تشريع بإلغاء البغاء لن يؤتى ثمرته كاملة حتى يتناول المشكلة من أساسها .

ولعل هذا العرض الخاطف يعطينا فكرة صحيحة عن عظم التبعة التى تضطلع بها وزارة "الشؤون الاجتماعية" ويؤكد لنا أن سلطان الدولة كلها يجب أن يؤازرها ، بل يجب أن تؤازرها قبل ذلك جهود الهيئات والجماعات ، فالبيت والمدرسة والنادى والمجتمع والقانون ، كل أولئك وسائل متفاوتة لعلاج مشكلة البغاء ، وخطوات الجميع يجب أن تسير متناسقة متساوقة حتى تثمر الأثر العميق المضمون .

س . ق

جولات ومشاهدات :

فى ملاجئ المجزة والمعوزين

بقلم الأستاذ م . محمد عبد الكريم

وحضرتك عاوز تروح ملجأ المتسولين ؟

ونظر الىّ صبى مقهى الناصرية نظرة فاحصة ، وجعل يتأملنى من رأسى الى أخمص قدمى كأنما يستطلع من حالى اذا كان سؤالى عن الملجأ للزيارة أو للإقامة ، ثم رفع يده مشيرا الى الطريق .

وسرت فى شارع الناصرية واوحات الحارات والضروب تطالع علىّ الواحدة بعد الأخرى . فهذه حارة أبو لحاف وذلك درب القرودى ودرب المعازى وغير ذلك من الأسماء التاريخية العظمى... التى تعتز مصلحة التنظيم بها وتحرص على تخليدها ، وتأبى لأمر يعلمه الله ولا نعلمه نحن ولا هى أن تمحوها من لوحاتها .

وأخيرا ... وأخيرا بلغت درب الحجر حيث يقوم الملجأ المقصود .

وملجأ درب الحجر أحد الملاجئ الثلاثة التى أعدتها الحكومة للعجزة والمعوزين بعاصمة البلاد . أولها ملجأ السيوفية الذى أنشئ فى الدار التى كان يسكنها المرحوم طلعت بك ، وبما وقف هذا الثرى المحسن من مال فى عام ١٩٣٢ ، وكان هذا الملجأ معدّا للرجال والنساء ، فلما صدر قانون التسول فى عام ١٩٣٣ خصص للنساء ونقل الرجال الى درب الحجر ، ولم يمض على إنشاء الملجأ الثانى عام حتى ضاق بمن فيه ، فأعدّ لهم ثالث بحى الهايتم .

طرقت باب الملجأ الكبير فتكشف عن جندى شاكى السلاح . سألته عن الناظر فقادنى الى حجرة فيها شابان تبدو عليهما أمارات النجابة والنشاط ، أحدهما كاتب يقوم بعمل الناظر والآخر أمين للخزن . وتسابق الشابان الى إمدادى بالبيانات التى طلبتها ، ومضى أكبرهما يحدثنى عن الملجأ وما فيه ، فذكر أن لديه مائتين وتسعة وعشرين لاجئا منهم ستة عشر دخلوا الملجأ مختارين ، أما الباقون فمن المتسوّلين الذين حجزوا فيه بحكم القضاء .

ذلك بأن قانون التسوّل ينص على الحكم بحبس كل متسوّل صحيح البنية ضبط وهو يستجدى فى شوارع إحدى المدن التى بها ملاجئ ويحجزه فى واحد منها ، على ألا تقل مدة هذا الحجز عن سنة . أما من دخل الملجأ مختارا فيظل به أربعة شهور على الأقل .

وانتقلت الى فناء الملجأ ، فاذا بى بين عدد كبير من العجزة والزمنى . تأملت فيهم فكأنى بهم ضحايا غارة جوية أو حرحى جيش غلب على أمره : خليط من العميان والمقعدين والبلهاء والمفلوجين والصم والمسنين ، ما إن رآنى بعضهم وعلموا غايتى حتى تهامسوا فى شأنى مع الباقين ، وسرعان ما بدأت كمائنهم تزحف على مكانى ، كل يشكو وكل له ظلامة... وما كان فى مقدورى أن أقوم بواجبى لولا أن تطوع رئيس الملجأ باقصائهم وتنظيمهم فى جماعات تضم ذوى الحالات المتشابهة .

مع سكان الملجأ :

أقبل العميان ، وكان رائدهم بارعا فى التمهيد لعرض ظلامتهم حين استهلها بآيات من الذكر الحكيم ، حتى اذا فرغ منها بدأ يحدثنى فى طلاقة و بلاغة ، وبناقشنى فى قانونية الكسب باحتراف تلاوة القرآن حتى فى الشوارع والطرقات ، ويعرض حال العميان الذين احترفوا الترتيل منذ نعومة أظفارهم وما ترتب على وجود المذياع فى كل بيت من قطع رواتبهم مما اضطرهم الى تلاوة القرآن فى الطريق . ثم أخذ يحنى باللائمة على ولاة الأمور الذين لم يخصصوا من إيراد محطة الاذاعة اللاسلكية إعانة لرابطة القراء التى ينتسبون اليها ، و يستطرد من ذلك الى عدم دستورية الحجر على الحرية الشخصية لرجل يرتزق من مهنة تحتاج الى دراية خاصة وفيها من تهذيب النفس ما يستحق الأجر ، ويخلص من دفاعه بطلب اخراجهم من الملجأ والافراج عنهم «فورا وفى الحال» .

و يقفز ضرير آخر فيقول فى حماسة إنه منضم الى دفاع زميله و يزيد عليه أنه وبعض زملائه يعرفون علاوة على القراءة صناعة حشو الكراسى و يتساءل : ما يضرّ ولاة الأمور اذا هم أضافوا هذه الصناعة الى صناعات الملجأ ؟

وانصرف العميان وجاء المفلوجون . وكان مشهدهم وحديثهم يحملان على الاشفاق . تكلم أحدهم باسان عقده المرض ، فهمت منه أنه يعبر عن رغبة إخوانه فى الخروج من الملجأ . قلت وما يكون مصيركم وأنتم عاجزون عن الكسب وليس لكم من يعولكم ؟ فقام المسكين يشمر بيده المعيوبة عن ساعده السليم وهو يقول " بهذا أعمل وافتات " .

ويتوارى هذا المفلوج الذى يريد أن يعمل ليقتات من كده و يتقدم بعض الشبان الذين استردوا شيئا من صحتهم بالملجأ وغدوا قادرين على نوع من العمل ، فيقولون إنهم مرتاحون الى البقاء فى الملجأ وإنهم لا يريدون مبارحته أبد الآبدين . فيأخذنى العجب لهؤلاء الأشداء الذين استمرأوا حياة الكسل ، يطعمون ولا يعملون ، فى وقت تتوق فيه نفوس العميان والمفلوجين الى الكد والعمل . ولقد افضيت بعجبى إلى ادارة الملجأ فعلمت أنها ستخرج هؤلاء الأصحاء لتفسح المكان لمن هم أحق به منهم .

وأقبل بعد هؤلاء شيخ شكا الىّ حاله فى وقار ورزانة، فذكر أنه ثرى وأنه يملك ضيعة أوضح لى زمامها ومركزها وأن له رصيدا كبيرا فى مصرف معروف، وأخذت أصغى الى الرجل بانتباه وبدأت أدون ما يقول لأتحقق من أمره، غير أنه لم يلبث أن تغير ووثب هائجا ثائرا وجعل يرفع ذراعيه ويمد قبضتيه متوعدا ومهددا ولم أكد أعود من دهشتى حتى همس رئيس الملجأ فى أذنى أن الرجل مخبول .

مخبول ؟ الله أكبر ! وكيف الخلاص منه ؟ حاولت أن أتراجع بمقعدى فى أناة وروية وأجيل حدقتى بين المخبول الثائر والباب المفتوح وأبحث عما يصلح لأن يحول بينه وبينى اذا هو انقض علىّ . ولكن الله سلم اذ افترت شفتا صاحبى عن ابتسامة ساذجة وقال فى لهجة الآسف الندمان : لا تؤاخذنا يا سيدنا الأفندى .

ولفت نظرى شاب اعتزل الجميع وقبع فى ركن من فناء الدار . دعوته فتبينت فى وجهه أنه أجنبى، وسألته عن اسمه فقال "انستيرو خريستو" قلت وما أتى بك الى هنا ياخريستو؟ قال : إنه كان يبيع أوراق "اليانصيب" وأنه سيق الى المحكمة فالسجن فالملجأ ، وقد أبدى عدم ارتياحه الى البقاء فى هذا المكان الذى لا يجد له مواطنا فيه، وطلب اخراجه ليعيش من بيع الورق ومن الإعانة التى خصصتها له الجمعية الخيرية اليونانية . فلما ذكرته بأن عليه حكما يجب أن يوفيه أعرض عنى فيما يشبه الازورار أو الاحتقار وهو يتمتم بين شفتيه : "حكم إيه وزفت إيه ؟" .

وقد استرعى انتباهى كثرة الصناع من اللاجئين . فقد رأيت النساج ، والكواء، وصانع الأحذية ، ومصلح الكراسى ، والميكانيكى ، ورأيت خياطا شهد له رئيس الملجأ بالبراعة فى حياكة الملابس الفرنجية ، كما استلفت نظرى عامل من عمال الطلاء اسمه اسماعيل رجب أخبرنى أنه كان يعمل مع المقاول ديفارو، وأنه قام بطلاء الحجرة الملكية بسراى رأس التين.

هؤلاء العمال وغيرهم يمكن استغلالهم كل حسب حالته فيفيدون ويستفيدون بشىء من المكافأة ينفعهم فى مواصلة الكسب متى خرجوا من الملجأ .

فى ملجأ الهيائم :

والآن أنتقل بالقارئ الى ملجأ الهيائم ثم أعرض لنظم هذا الملجأ وما أراه من أبواب الإصلاح التى يجب أن تعمل فيه .

ليس ثمة أدعى الى الرثاء والاشفاق من أولئك الذين كتب عليهم الشقاء فدفعتهم الحاجة الى السؤال حتى اذا حاسبهم القضاء وأبرم فيهم حكمه خرجوا من السجن الى هذه الدور يقضون حياة لا أمل فيها ولا رجاء بعدها .

بين حشد يبلغ الثلاثمائة رجل جلهم من المرضى والعجزة والمسنين ، أخذت مكانى وأصغيت لأستمع شكاية الشاكين، وأملأ من أحاديثهم صحائف فيها عبر وفيها عظات .

هذا شاب فى مقتبل العمر تبدو عليه آثار النعمة الذاهبة والأصل الكريم ، يحدثك فى ذلة ومسكنة عن حاله ، فيروى لك كيف أهمله أهله و بينهم الطبيب المعروف والمهندس الكبير. وذاك شيخ تنم هيئته على عز دائل ، فاذا سألته عن ذويه أفضى اليك بأسماء تعرفها فأخوه موظف كبير وابن شقيقته ضابط برتبة صاغ فى البوليس .

ولعل أشد ما آلمنى مشهد شيخ لم ينقطع عن البكاء مذ دخلت الدار حتى برحتها . كان الرجل الى تسعة شهور خلت عاملا من العمال الممتازين بالسكة الحديدية ، فلما بلغ سن التقاعد وتسلم مكافأته فقدها بأكملها و بات لا يلوى على شىء ، ومن العجيب أن يقاسى هذا الشيخ ما يقاسى وله ابن رباه وعلمه ثم سعى لدى رؤسائه حتى ألحق بوظيفة بذات المصلحة، وهذا الابن أعزب ينفق راتبه على لذاته متغافلا عن حالة أبيه .

ولم أكد أنتهى من أمر هذا الشيخ حتى سمعت زفرة حارة من جاره ... قلت وما خطبك أنت أيضا يا شيخ ؟ قال أراك تعجب لحال محدثك وابنه موظف صغير، فما بالك بى وولدى مفتش بالسكة الحديدية، ثم ذكر اسمه وعنوانه و رجا منى أن أسعى لإخراجه من الملجأ وأن أتفق مع ابنه على مرتب معين يتقاضاه .

وتقدم نحوى شاب ينم حديثه عن ذكاء ومعرفة ، فذكر أنه كان كاتبا معينا على اعتماد بتفتيش تحويل الحياض ، فلما نفد الاعتماد المقرر استغنى عنه رؤساؤه فانطلق يبحث عن عمل حتى اذا عجز مد يده فامتدت اليه يد القضاء .

وتبعه آخر كنت أحسبه من موظفى الملجأ لاختلاف هيئته عن هيئة اللاجئين. أخبرنى هذا الرجل فى طلاقة أنه كان مسبحيا وناظرا لمحطة من محطات السكة الحديدية، وأنه استقال من عمله وفتح بما ناله من مكافأة محلا تجاريا ، وحدث أن راقه الاسلام فاعتنقه فقلب له أهله ظهر المجن وهددوه بالقتل، ولم ير الرجل سبيلا للخلاص غير الاحتماء بولاة الأمور الذين أودعوه الملجأ ، وهو يرجو إخراجه و يرى ورى معه أنه بمكان لا يناسب أمثاله، وأن من الانصاف حل مسألته بتيسير عمل له وبخاصة لأنه يتمتع بصحة جيدة وسنه تسمح باستخدامه فى أى عمل يناسب مواهبه .

وثالث يملك محلا صناعيا لإصلاح ماكينات الخياطة وعنده كاتب وعمال .

ورابع مزارع يملك عددا من الفدادين الجيدة التربة بإقليم المنوفية .

وقد ذكرنى حال هؤلاء وغيرهم بما رواه لنا تاريخ بريطانيا فى عهد الملك جيمس الأول حين انخرط فى سلك المتسولين عدد كبير من ذوى المهن الراقية كالعلماء والاطباء والتجار

مما اضطر الملك الى إصدار تشريع يحرم التسول إلا لمن يحمل ترخيصا خاصا من لدنه، وكان من كبار المسئولين فى ذلك الحين جون ستاد أكبر مؤرخى بريطانيا فى القرن السادس عشر الذى فاز بإجازة التسول "نظرا للخدمات الكبيرة التى أداها لتاريخ بلاده" وكان ستاد يقوم بجولاته فى المدن والقرى ولوحة الاستجداء معلقة فى عنقه وبين يديه سجله التاريخى الشهير "فى ساحة انجلترا" يدون فيه ما يراه ، ولكن المؤرخ الكبير كان لا يتقن فنه الجديد ولذلك قضى بائسا معدما .

وصاحب هذه الجولات يدعو الله ضارعا أن يغنيه عن مثل هذه الإجازة وألا يختم له بما ختم به لستاد ... والعياذ بالله من علم يؤدى بصاحبه الى مثل هذه الحال !

عمدت حين وجودى بملجأ الهيائم الى إحصاء المهن التى كان يتهنها مائة لاجئ فوجدتها هكذا :

سبعة وعشرون منهم من العمال الذين كانت قواهم البدنية قوام عملهم كالحوذية والحمالين والفعلة والحجارة ، فلما نضبت هذه القوى نضب معها معين رزقهم فمدوا أيديهم للسؤال . وأربعة وعشرون من الفلاحين الذين لم يعد إنتاجهم كافيا لإطعامهم أو ممن أتوا الى العاصمة للعلاج أو لقضاء مصلحة حتى اذا نفد ما معهم ركنوا الى التسول . وتسعة عشر من الباعة الجائلين وباعة الصحف وعمال المقاهى وكلهم ممن كسدت أعمالهم فاكلوا رءوس أموالهم . وسبعة عشر من الصناع الذين تحتاج حرفهم الى استعداد خاص كعمال الاحذية والمطابع والنساجين . والباقون وعددهم ثلاثة عشر من أرباب المهن الاخرى كالمقرئين والتجار والموظفين .

أثبت بيانى هذا وأسائل نفسى : أليس ما أرى هو صورة مصغرة لما يقوم عليه الشعب؟ وإذا كنا بهذه الدور قد كفلنا العيش لثلاثة أو أربعة آلاف نفس فهل حللنا بهذا مشكلة العاجزين والمعوزين بالبلاد ؟

إن الأمم التى قضت بتحريم التسول قد سنت قبل ذلك نظما وشرائع كفلت للناس العيش ومكنتهم من التمتع بحقهم فى الحياة ، فهناك يلزم أصحاب الاعمال بتأمين عمالهم من الإصابة و"شيخوخة" ، هناك يجد العاطل إعانة ، والمسن معاشا ، ويقوم الاحسان على نظم تهيئ للمعوزين الاقوات والارزاق ، هناك يعرف مالك الارض واجبه نحو فلاحيه فليست الصلة بينه وبينهم صلة حساب وتحصيل إيراد كما يفعل ملاكنا . ولكنها صلة الرأس المسئول والراعى الساهر على مصالح رعيته .

لست أنقد بهذا تحريم التسول فهو تشريع لا مشاحة فى أهميته وفائدته ، ولكن تطبيقه قبل تهيئة العيش للعاجز واحتاج أمر يأباه العقل ولا يقره المنطق السليم . ولو عرف كل منا

واجبه نحو المعوز من أهله ونحو العاجز والمسن من فلاحى أرضه وخدم بيته وعمال مصنعه ومتجره ما رأينا البلاد تزخر بجيوش العجزة والمعوزين ، ولكنا اهملنا واجبنا ثم عدنا نشكو التسول والمتسولين وعمدنا الى التشريع فسلطنا سيف العذاب على رءوس الجياع بعد أن أقمنا بضعة ملاجئ لا تتسع لعشر معشار المعوزين وهكذا عالجنا الجوع بالعقاب فغدونا كمن يقول فيه الشاعر :

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له إياك اياك أن تبتل بالماء

نظم الملاجئ القائمة وما نراه فيها :

وقبل أن أعرض لهذه النظم أرى من الانصاف أن ملاجئ العجزة والمعوزين لازالت فى عهد بدايتها ، وأن شأنها شأن كل جديد تنشأ قاصرة ثم تدرج وترقى بمقدار ما يبذل فيها من جهد وينفق فيها من مال .

فقد صدر قانون التسول منذ ثمانية أعوام قبل أن تعد الحكومة للملاجئ عدتها ، أو تعين لها هيئة أو مصلحة تختص بادارتها ، وقد اكتفت لائحة الملاجئ التى صدرت بعد ظهور القانون ببضعة شهور بإسناد أمر الملاجئ إلى وزارة الداخلية ، وناطت بالمحافظات والمديريات إعدادها و إدارتها . وقد ظلت الملاجئ خاضعة لهذا الوضع حتى تسلمتها منذ شهور وزارة الشؤون الاجتماعية . وملاجئ العجزة إذ انتقلت الى هذه الوزارة انما تستقبل عهدا جديدا تجد فيه من جهود ذوى الاختصاص ما تستكمل به نقصها وتصلح شأنها لتنهض بواجبها وتحقق الغاية التى أنشئت من أجلها .

ونواحى النقص فى الملاجئ — كما لمسناها عديدة بعضها يرجع الى قصور التشريع القائم ، والبعض الى عدم تطبيق هذا التشريع فى جانب من نصوصه ، أو الى عيوب فى إعداد الملاجئ ذاتها .

ففى التشريع يبيح قانون التسول الإفراج عن اللاجئ المحجوز اذا أتيحت له فرصة الكسب الشريف أو اذا تقدم أحد من ذويه أو غيرهم ممن تثبت كفاءته وتعهد بالانفاق عليه .

أما أن تتاح سبل الكسب الشريف لشخص محجوز بين جدران الملجأ فهذا أمر غير ميسور ، ولعله أيضا غير معقول الا اذا عهد القانون الى ادارة الملاجئ البحث عن بعض الأعمال سواء فى الحكومة أو لدى الهيئات والأفراد ليلحق اللاجئ بها . وقد علمت مع السرور أن وزارة الشؤون الاجتماعية قد تنبهت الى هذ وأخذت بأسباب تحقيقه .

وأما تسليم اللاجئ إلى من يتعهد بالانفاق عليه دون أن يكون هناك شرط جزائى لمن يخل بتعهده فهذا ما يبعد القانون عن تحقيق غايته . فقد شهدنا كثيرا من اللاجئين يتسلمهم

البعض لمجرد إخلاء سبيلهم ، فاذا أخرجوا من باب الملجأ عادوا الى الاستجداء . وقد علمت أيضا مع السرور أن هناك مشروع قانون معروضا على الهيئات المختصة لسد هذه الثغرة . ثم إن القانون قد خوّل القاضي حق الحكم بإدخال كل متسوّل أحد الملاجئ دون النظر الى قدرة أهل المحكوم عليه على إعالته، فقد رأينا فى هذه الجولة لاجئين هم آباء وأشقاء وأقرباء لطائفة من ذوى اليسار أو متوسطى الحال . وكان الأصلح أن ينص على تسليم اللاجئ ذى القريب القادر الى قريبه ، وأخذ تعهد ذى شرط جزائى عليه بالانفاق على هذا المعوز أو تسليمه إلى الملجأ ثانية اذا أعسر الولى ونرى علاوة على ما تقدم أنه يحسن إصدار قرار بقصر اعطاء رخص بيع أوراق اليانصيب ومسح الاحذية على ذوى العاهات وحدهم فهم أحق من الأصحاء بمزاولة هاتين المهنتين .

وقد نصت لائحة ملاجئ الأحداث على تشغيل اللاجئين فى صناعات تتفق وقدرتهم كما قضت بصرف مكافأة يومية قدرها مليم واحد لكل لاجئ ويضاف مثله فى اليوم عن كل درجة ينالها اللاجئ اذا حسن سلوكه. وقد قضت اللائحة بأن يخرج اللاجئون فى نزهات خلوية مرة كل أسبوعين ، وبأن ينقل المرضى إلى المستشفيات ويمنح اللاجئون إجازات يقضونها بين ذويهم أو غيرهم . وقد لاحظنا فى زيارتنا للاجئ الثلاثة أن هذه النصوص لم تدخل فى دور التنفيذ اذا استثنينا ما رأيناه من قيام لاجئين اثنين بعمل المقاطف فى ملجأ درب الحجر ، وما علمناه من وجود صناعة الحصير بملجأ الهياتم ووقفها بسبب نفاد الخامات.

وتطبيق لائحة الملاجئ كما وضعت أمر تعنى به اليوم ادارة الملاجئ وهى — كما علمنا — تعد عدتها لإدخال تحسينات مختلفة من شأنها ترقية حال هذه المؤسسات .

سبل الإصلاح :

نلخص ما تقدم فى النتائج الآتية :

(الأولى) أن قانون التسول يجب أن يقرر بشرائع ونظم تعالج مستقبل الطبقه العاملة وتكفل لأفرادها القوت اذا ما أدركهم العجز أو الكبر

(الثانية) أن هذا القانون ينقصه نص يلزم متسلم اللاجئ بالانفاق عليه ، وآخر يقضى بتسليم المتسول بعد نفاذ العقوبة فيه الى ذويه إن كانوا قادرين على إعالته .

(الثالثة) وجوب تنفيذ لائحة الملاجئ وخاصة فيما يتعلق منها بتشغيل اللاجئين فى الصناعات ومنحهم المكافآت والإجارات وإخراجهم للنزهات ونقل مرضاهم الى المستشفيات .

(الرابعة) قصر التصريح بمزاولة مهنتى بيع ورق اليانصيب ومسح الأحذية على ذوى العاهات .

ويمكننا أن نضيف الى ذلك :

(أولا) وجوب العناية بالفروض الدينية فى الملاجئ وتوسيع المصليات وتكليف بعض اللاجئين إمامة زملائهم ، كما يجب الاعتناء بالوعظ الدينى والارشاد الاجتماعى .

(ثانيا) إقامة حفلات سنوية يدعى اليها الكبراء والأعيان ويحضرها المحافظون أو مديرو الأقاليم يتناولون فيها الطعام مع اللاجئين ويرون معروضاتهم ويخصص الايراد للترفيه عنهم وأن تقام حفلات سمر شهرية بالملاجئ .

(ثالثا) تكليف اخصائيين اجتماعيين بزيارة الملاجئ وتقديم تقرير شهرى عن حالة كل لاجىء وتحقيق شكوى الشاكين منهم .

(رابعا) تمكين اللاجئين من الاتصال بذويهم وذلك بصرف خطابات وطوابع بريد مرة كل شهر اذ شاهدت الكثيرين وخاصة من الفلاحين يتوقون لمعرفة حال أهليهم . ومنهم من حوكم ثم حجز بالملجأ دون علم ذويه ويهمه اخبارهم بمكانه .

(خامسا) صرف مراتب ولو من القش لنوم اللاجئين ، اذ أن افتراش العاجز المسن لبطانية واحدة فوق الخشب يؤلم جسمه الواهن ويؤذيه .

(سادسا) نقل ملاجئ العاصمة من دورها الحالية الى دور أخرى تتوافر فيها شروط الصحة وخاصة أن ما يدفع من الايجار لدارى الحياتم ودرب الحجر يكفى لإسكان اللاجئين قصورا صحية فى الضواحى .

وأخيرا تحسين حالة رؤساء الملاجئ ، وليس من العدل اسناد ادارة ملجأ كبير لمستخدم لا يزيد راتبه على ستة جنيهات . ويسرنى فى النهاية أن أقرر أنى رجعت الى ادارة الملاجئ فى وزارة الشؤون الاجتماعية فألفيتها ملمة كل الالمام بملاحظاتى هذه وبغيرها وقد وضعتها موضع التقدير والاعتبار ، وانها عاملة جاهدة على تدارك جميع وجوه النقص لترفع الملاجئ التابعة لها الى المرتبة التى تكفل تحقيق الأغراض الانسانية الكبرى المرجوة منها . فاذا تذكرنا أن هذه الوزارة لم تتسلم تلك الملاجئ الا منذ بضعة شهور وان التحسن الذى طرأ على حالتها رغم قصر المدة وقلة المال تحسن ملموس ، أدركنا أننا حقا فى بداية عهد إصلاحى يبشر بخير كثير .

م . محمد عبد الكريم

الجمهور المتسامح

تهاون فى الحقوق والواجبات

يمكن للإنسان أن يتسامح فى حقوقه الشخصية إيثارا لرحمة أو صداقة، أو اصطناعا لمعروف. فقد ينزل عن دين لأنه يجد عند غريمه ضيقا وقد يسكت عن إساءة لأنه يستصلح بسكوته هذا خصما أو يستبق صديقا . ولكنا نصادف فى حياتنا من المخالفات والاعتداءات ما يعد تهاونا فيه اعتداء على حقوق الجمهور . وليس من حق أحد منا عندئذ أن يسكت . لأننا بسكوتنا هذا نسيء الى وطننا بالاساءة إلى الجمهور، ونخالف قوانين بلادنا أو نعقم الوسائل التنفيذية لها .

ولا يمكن الحكومة وحدها مهما كثرت شرطتها أن تسهر على تنفيذ القوانين إن لم تجد معونة من الجمهور . ومهما يكن القانون قاسيا محكما فإنه يظل ضعيف الفائدة ما دام الجمهور يتغاضى عن تنفيذه و يتسامح مع مخالفيه .

يأتى الينا أحيانا الخبز من المخبز ، فيشق أحدنا الرغيف فيجد فيه ديدانا أو صراصير . و بعد أن نتغلب على الاشمئزاز الذى استولى على نفوسنا نحتفظ بالرغيف الى أن يأتينا رسول المخبز فى اليوم التالى فنرده اليه مع كلمات قاسية . ويتقبل الرجل هذا الرغيف شاكرا و يعطينا بدلا منه آخر . وكأن المسألة قد انتهت من ناحيتنا وناحيته عند هذا الحد . ونحن فى هذا السلوك وفى هذا التسامح قد اضررنا بأنفسنا و بالمخبز و بالجمهور . فأما الضرر بأنفسنا فنستطيع أن نتركه موقتا . ولكن هذا المخبز نفسه لم يتعظ لأن كل ما كلفناه أنه غير رغيفا برغيف ، وأن الصراصير والذباب والديدان ستتوافر فى خبزه فتفسد صحة الأجسام وصحة النفوس .

ولو أن صاحب هذا المخبز لقى عقوبة رادعة ولو مرة واحدة وأحس يد القانون الثقيلة تقبض على عنقه لتعلم واعتبر وصار تاجرا أو صانعا بارا يعنى بدقيقه ونظافة مخبزه. ولكنا بتسامحنا هذا قد أفسدناه .

ثم هناك صحة الجمهور التى ليس من حقنا أن نتهاون فيها . فان سكوتنا عن هذا الفساد هو بمثابة الاشتراك فى الجريمة ، ولعلنا بعد كل هذا نقعد ونتحدث مع اخواننا عن نظافة الطابون الأجنبية والثقة بالتاجر الأجنبى وكثرة مايغشو من فساد فى تجاراتنا وصناعاتنا ... وننسى أننا شركاء فى هذا الفساد بتسامحنا . فان قوانيننا قد نصت على العقوبات الرادعة

لمثل هذا الفساد. ولكن لا يمكن للحكومة أن تقيم شرطيا لكى يفتح كل رغيف أو يفتش فى آنية العجين لكى يبحث عن الديدان والصراصير . وصحيح إن لها مفتشين يقومون ببعض هذا الواجب . ولكن قدرة هؤلاء المفتشين محدودة بالوقت والجهد .

وكذلك الشأن فى اللحم . نقصد الى الجزار ونحن نعرف أن الحكومة قد حددت اثمانا لايجوز له أن يتجاوزها فإذا شئنا أن نؤدى الثمن المعين رفض وتمادانا . وهو إنما يرفض لأنه يعرف أننا سنتراخى ونتسامح ونؤثر أداء القرش الزائد على الثمن المعين على ان نقصد الى دار البوليس ونشكو ونقضى الوقت الثمين فى كتابة المحضر وتأديه الشهادة يوم الجلسة . ولكننا بهذا العمل أو هذا التسامح قد أضررنا أيضا بالجمهور بل بالجمهور الفقير . فإن زيادة قرش قد لاترهقنا ولكنها ترهق الفقير . ولو أننا كلفنا أنفسنا مشقة الشكوى الرسمية لخدمنا بذلك سلطة القانون ومصلحة الفقير فضلا عن خدمة أنفسنا وخدمة الجمهور العام بل خدمة هذا الجزار نفسه الذى يجب عليه أن يطيع القوانين ولا يجرؤ على مخالفتها فى الصغائر فيتهيأ بذلك الى مخالفتها فى الكبائر .

وأحيانا يصادفنا البائع الجائل وبعد أن يرهقنا بعرض مبيعاته الصغيرة نتناول منها مشطا أو فرشاة ونسأل عن الثمن فيجابهنا فى جراءة أو وقاحة قائلا : "عشرة قروش" فنشرع فى المساومة وننتهى بعد حديث طويل الى قرش أو قرشين . وكلنا يحس فى هذه المساومات أن البائع ينوى نية أكيدة أن يغشنا ويسرق نقودنا ولكنا مع ذلك نتفاضى ونساوم ، وهذا مع العلم بأن هناك قانونا يحتم وضع الأثمان على السلع . ولكنا — نحن أفراد الجمهور — لانطالب بتنفيذه بل نرضى بهذه المساومات تجرى أمام أعيننا وتتكرر كل يوم ونحن شركاء فيها لانقل جريمتنا فيها عن جريمة البائع ولعلنا بعد ذلك نتحدث عن " أمانة " أو ذمة التاجر لأجنبى الذى يعين أثمان سلعه ولا يغيرها ولا يقبل المساومات إزاء تاجرنا سواء أكان جائلا أم ثابتا مع أنه كان يمكننا أن نرقى بالتجارة المصرية ونستصلح التاجر المصرى اذا نحن — فقط — نفذنا القانون وحتمنا وضع الأثمان .

وقد يقال هنا إن وضع الأثمان لايعنى الذمة أو الأمانة ، وأن التاجر يستطيع أن يغير الثمن حتى بعد تعيينه بالخط ، وأن هناك كثيرين ممن يشترون ولا يقرأون ، وأن الثمن قد يكون أكبر مما يجب . وكل هذا جائز ، ولكن فى طورنا الحاضر يجب أن نقنع من الإصلاح بالجل الى أن نصل يوما ما الى الكل والى أن نعيد الثقة بين الجمهور و بين التاجر المصرى ونثبتها .

ثم هناك التاجر — وهو فى الأغلب البائع الجائل — الذى يطفف فى الميزان . والتطفيف جريمة معينة فى قوانيننا . ومع ذلك نرضى ونسكت ونتسامح . وربات البيوت هن ضحايا هذا التطفيف . ولا يمكن أن نتنظر من ربة البيت أن تترك منزلها وتقصد مع البائع الى مركز البوليس

للتحقيق و كتابة المحضر . ولكن نحن الرجال كان يجب أن نرضى بأداء هذا الواجب الوطنى الاجتماعى لمنع الغش من الحياة التجارية و إيجاد الثقة بين الباعة وبين ربات البيوت. والتسامح هنا جريمة واضحة من جميع الذين يشتركون فيها باعة ومشترين. وكثيرا مانرى أحد افراد الجمهور يشترى الموز أو الخوخ من أحد الباعة فيزن هذا له مقدار مااشترى ، ولكن الشارى يعمد الى دكان مجاور فيعيد الوزن فاذا وجد نقصا قنع بأخذ الزيادة من البائع كأن كل شيء قد انتهى مع أن المشترى يعرف أن هـذا التطفيف الذى وقع معه سيقع مع غيره . وان الواجب الوطنى يقضى عليه بضبط الصنجات الزائفة وتسليمها للبوليس كما تسلم اليه أدوات التزييف للنقد سواء .

وهـذا الذى تحدثنا عنه يتصل كله بالتجارة وتسامحنا فى الغش فيها . ولكن هناك أحوالا أخرى لا تتصل بالتجارة . منها هذه الأوساخ التى تمتلئ بها شوارعنا من زبالة المنزل التى يجب أن توضع فى صندوقها المعين لهـا . ولكن الخادمة آثرت الاقتصاد فى المسافة وألقتها فى مكان قريب من منزلها . وهى زبالة مخلوطة مكونة من ورق الجرائد الى أمعاء الدجاج المذبوح فى المساء السابق إلى قشر البطاطس وورق الكرنب . وهذه كلها عند الريح الخفيفة تتناثر فى أنحاء الشارع أو تتكأكأ عليها القطط وقـد ينشب شجار بينهن ثم يعكف عليها الذباب . والشارع هو بعد كل هذا ملك للجمهور . ويجب أن يبقى نظيفا لأن نظافته ضرورية للصحة العـامة مثل نظافة المنزل سواء .

ثم هناك الصبيان المشردون. هذا يتعلق بالترام وهو يرشح نفسه لقطع الساق أو الذراع. وليس بين الركاب من ينهره بل يترك جميعهم هذه المهمة للتذكرى أو للشرطى الذى تنـدبه المحافظـة مرة كل شهر أو شهرين لضبط هؤلاء المتسلقين الذين يعرضون حياتهم وجيوب الركاب للخطر . بل هناك الشحاذ الذى يتسول علنا مع أن الملاجئ متعددة وهى قد أنشئت لكى تؤويه .

وفى كل هذه الأحوال يفرط الجمهور فى حقوقه ويقصر فى أداء واجباته . وهو يسلك سلوكا يرمز اليه الأوربيون المقيمون بيننا أو السائحون الراحلون عنا بلفظة "معلهش". وهى لفظة ما أقساها لو علمنا مغزاها . لأنها تعنى التفكك فى المبادئ والتسامح فى الحقوق والرضى بالهوان وكراهة الدقة والإحكام .

أجل . ما أقساها من لفظة نستعملها فى التهاون فى حقوقنا وفى التهاون فى واجباتنا وفى إخلاف المواعيد وفى غير ذلك مما يحتاج الى الأخلاق القاسية اخلاق الرجولة والنظام والفطنة والتبصر لمصلحة الوطن .

الأسرة المصرية

وهل كسبت شيئا بتعلم الفتاة

بقلم الآنسة الأديبة حميدة قطب

هذا العنوان غريب ؛ قد يدهش له البعض ، وقد يعتبرونه سؤالا قاسيا ، ولكن هذا هو الحق مع الأسف ؛ وسببه أن تعليم الفتاة لم يوجه الوجهة الصالحة ؛ ولم تلاحظ مصلحة الأسرة المصرية فى برامجه ، ولم تكن الأمومة الصالحة وجهته .

وعند ما ارتفعت الأصوات تطالب بتعليم المرأة حسب الناس أن مصر ستجنى أطيب الثمرات ؛ وأنها ستنشئ جيلا جديدا عميق الإحساس بالوطنية ، غيورا على الكرامة القومية وكانوا يرتقبون من الأم المتعلمة أنها ستمحو من الجيل الجديد الفردية والأثرة وسائر الصفات التى غرستها الأمومة الجاهلة فى الأجيال الماضية .

والآن وبعد كذا من السنوات تعلمت فيها المرأة وشاركت الرجل فى الثقافة ، نبحث عن الأم الصالحة وعن الجيل الجديد الذى انتظره الوطن بفارغ الصبر وعلق عليه الآمال العظيمة ، فلا نجد شيئا .

ذلك أن الأم المتعلمة لم تتعلم واجبات الأمومة ولا أصول التربية ؛ ولكنها تعلمت أشياء أخرى لاتحتاج إليها كثيرا فى مملكة البيت ، وبقيت جاهلة بشؤون هذه المملكة كالتى لم تتعلم شيئا .

وكانت المهمة الأولى المنتظرة من الأم المتعلمة أن تغرس فى نفوس أبنائها من معانى الوطنية والقومية ما عجزت عنه الأم الجاهلة التى كانت معذورة فى عجزها ، فماذا صنعت الأم المثقفة ؟ لقد تعلمت لتحتقر وطنها وتهزأ بكل ما هو مصرى ! إن كلمة مصر وكلمة الوطن لا تذكرهما إلا فى معرض السخرية والتهكم ؛ وهى لاتشترى لوازمها إلا من المصنوعات الأجنبية والمحال الاجنبية ، فخورة بذلك أمام صديقاتها وأطفالها ، بينما تحط من قدر المصنوعات المصرية فتغرس فى نفوسهم احتقارها .

وهى تباهى دائما بأنها تعرف لغة أجنبية وتتحدث بها فى كثير من الأحيان وتهزأ باللغة العربية لأنها لغة «ناشفة» ولا تتكلم بها إلا اذا دست فيها بعض كلمات من اللغة «الناعمة» .

لم تكن الأم الجاهلة تعلم أبناءها التضحية لأنها لم تكن تعرفها ولا تفهم معناها ، وقد عرفتها الأم المتعلمة ، ولكنها لم تعن بغرسها فى نفوس أطفالها ، بل هى بحديثها وتصرفاتها تعلمهم كل يوم أن يأخذوا كل شىء ولا يعطوا شيئا .

سألت صبية لها أم متعلمة تعليما كاملا : أتحبين مصر ؟ قالت : لا ! أنا أحب حلوان . ولما أفهمتها بعد جهد أن مصر ليست القاهرة بل هي المملكة المصرية كلها ، أجابت ببرود وهي تهز كتفيها : أحبها ! وكانت ممسكة بلعبة فقلت لها : من أين اشتريت هذه اللعبة ؟ فذكرت لي اسم محل أجنبي . فسألتها : لماذا لم تشتريها من شركة بيع المصنوعات؟ فقالت : ما ما تقول المحلات الأفرنجية أحسن بفداعيتها قائلة : إذا كانت مصر تحتاج إلى هذه اللعبة فهل ترضين بإعطائها لها " فكان جوابها " ياسلام . ليه يعني أديها لها . وأنا مشتريالها بفلوس كتيرة " !

وهذه الصبية نموذج للجيل الجديد الذي تنشئه الأمهات المتعلمات .

أما التربية الخلقية فلست أبالغ إذا قلت إن الأم الجاهلة كانت فيها خيرا من الأم المتعلمة. فالأولى كانت غالبا محافظة على دينها وتقاليدها ، وكانت تلقن أبناءها هذه المحافظة بالقدوة على الأقل ، أما الأم الجديدة فقد نبذت كل ذلك . ثم لم تأخذ من التقاليد الغربية إلا قشورها ومظاهرها الفاسدة . وهي تربي أبناءها على مبادئ هذه المدنية كما فهمتها فينشأون مستهترين . المدنية عندهم هي ملابس وزينة وحفلات وارتياد للسينما والملاهي .

لم تكن الأم الجاهلة تهتم بالإشراف الدقيق على الأطفال في حركاتهم وألعابهم ، لأنها لم تعرف أن أخلاق الطفل تتكون في سنواته الأولى ولم تعرف أن اللعب أكبر مدرسة لتكوين خلق الأطفال . ولقد علموا الفتاة لتتدارك هذا النقص ، ولكن تعليمها الحاضر لم يجد شيئا ، فهاهم أطفالها مهملون في حركاتهم وألعابهم ، وهي مشغولة عنهم بشؤونها الخاصة ، بمواعيدها وزياراتها ، " ببروفات فساتينها " بتتبع آخر الأزياء " والمودات " بتجربة أنواع " التواليت " وطرقه ..... أما أطفالها ففي يد الخدم إن كانت الأم من طبقة غنية ، أو مع زملائهم وزميلاتهم يلعبون في الطرقات بلا رقيب إن لم تكن من ذوات الخدم والحشم يتعلمون في هذه الألعاب كل ما يطبعهم على الغش والخداع والحلف الكاذب لأتفه الأسباب .

شاهدت مرة طفلتين تلعبان لعبة " القولة " (الخطوط المتقاطعة وقطعة الحجر تنقل بالقدم) في غفلة عن أمهما وكانت كبراهما تحاول الغش في اللعب لتنتصر على الصغرى ، بالتزوير في الخطوط و باخفاء الأخطاء ، فهل تدرك الأم مدى جناية لعب كهذا على مستقبل فتاتها يوم تستخدم هذا الغش في حياتها اليومية "

الأم المصرية جاهلة أو متعلمة لا تفكر في أن بين يديها أمانة لوطنها الذي أنشأها ولدى تدين له بكل شيء - أمانة يجب أن تؤديها له على أكمل وجه . والذنب في هذا ليس ذنبها ولكنه ذنب الجهل حين كانت جاهلة ، وذنب التعليم الحاضر حين أصبحت متعلمة ، ذلك التعليم الذي يبعدها كل البعد عن طبيعتها وعن إعدادها لوظيفتها في الحياة

حميدة قطب

بادن باول

مؤسس الفرق الكشافة

حياته وعمله

توفى فى الشهر الأسبق السير بادن باول مؤسس الفرق الكشافة التى عمت أنظمتها العالم المتمدن وأخذت مصر منها بنصيب . ويجدر بنا أن نذكر لهذه المناسبة شيئ من ترجمته والبواعث التى بعثته على تأليف هذه الفرق وفلسفته عن أغراضها :

ولد بادن باول عام ١٨٥٧ فى أسرة متوسطة وتعلم فى إحدى " المدارس العامة" وهى فى حقيقتها مدارس" خاصة " تعنى بالأخلاق أكثر مما تعنى بالمواد الدراسية المألوفة، أوهى تعنى بالتربية أكثر مما تعنى بالتعليم . ومع أن هذا النظام يجد كثيرا من النقد فان مما لاشك فيه أن طراز التعليم فى هذه المدارس والميل العام فيها إلى أن يعيش التلميذ على أسلوب خاص فى المدرسة بإشراف المعلمين وعائلاتهم يجعل التلاميذ يتعودون عادات حسنة فى ترتيب أعمالهم والاهتمام بدروسهم وألعابهم وعلى أن ينشأوا نشأة الاستقلال .

والتحق بادن باول بعد ذلك بإحدى المدارس الحربية ثم دخل الجيش عام ١٨٧٦ ضابطا فى الفرسان . وانتقل إلى إفريقيا الجنوبية . وكانت الحكومة البريطانية أو الحكومات البريطانية المتفرقة فى هذه الأقاليم لاتزال تكافح القبائل البدائية التى كانت تحتل الأرض الخصبة أو الأقاليم التى تكثر فيها مناجم الفحم أو الذهب أو الأحجار الكريمة . وكانت هذه القبائل على مقدار عظيم من الشجاعة ولها رؤساء قادرون على المقاومة الحربية و إن كانت أسلحتهم دون الأسلحة العصرية . فإنهم كانوا مع جوادهم البنادق والمدافع يعرفون الرماية عن القوس والمحاذة بالرماح، وكانوا أيضا يسممون حرابهم بسموم مشتقة من الأعشاب التى تنبت فى أرضهم حتى كان الجرح الصغير يؤدى إلى قتل المصاب به بعد ساعات أو أيام من العذاب . وكانت قبيلة المتابيل أعظم هذه القبائل قوة وشكيمة . واشتبكت معها القوات الانجليزية بين سنة ١٨٩٦ و ١٨٩٧ وكان بادن بويل مشتركا فى القتال . وتروى مآثر من البطولة فى الجانبين . من ذلك أن أحد المتابيل زرق ضابطا انجليزيا بحربة قصيرة ثبتت فى جسمه ونفذت فى ظهره . فلم يهن الضابط بل نهض وهو يعلم أن خاتمته قد اقتربت وعدا وراء المتابيل كأنه ليس به شيء مع أن الحربة بارزة من صدره وظهره . وكان هذا الحادث الذى رواه المتابيل فيما بينهم من أعظم الحوادث التى بثت الذعر بينهم وجعلتهم يتوهمون أن أسلحتهم

لاتفتك بالانجليز . وانتهت المعارك بالطبع بهزيمة المتابيل الذين لم يقووا ، على الرغم من شجاعتهم ، من الثبات أمام الآلات الحربية العصرية . وأبدى بادن باول فى هـذا القتال براعة فائقة فى تفهم العقلية المتابيلية وتعقبهم فى معاقلهم فى الغابات .

وفى عام ١٨٩٩ نشبت الحرب بين البوير و بين الانجليز . والبوير هم المستعمرون الهولنديون الذين استوطنوا افريقيا الجنوبية واحتلوا الاقاليم الغنية بالمناجم وخاصة مناجم الذهب والألماس . وكان بادن باول يقود قوة انجليزية حوصرت فى ما فكنج مدة سبعة أشهر أنقذها فى نهايتها الجيش الانجليزى . وفى مدة الحصار هذه لم يكن بادن باول قانعا بالسلامة مقتصرا على الدفاع السلبى بل كان يخرج من وقت لآخر لمهاجمة القوات المحاصرة . وكان يستعين على الاهتداء لأماكنها وتقدير قواتها بالصبيان فى مدينة ما فكنج . فقد كان يرسل هؤلاء الصبيان زحفين على لركب يخفيهم الدبس والاعشاب حتى يقتربوا من قوات البوير ويدرسوا أحوالهم و يعودوا اليه ويخبروه بعددهم وقواتهم . ثم يبنى هو خططه ومكايده الحربية على ما يقدمه له هؤلاء الصبيان من معلومات . وهذا العمل هو الذى أوحى اليه بعد ذلك الفكرة عن إنشاء فرق الكشافة .

ولما انتهت الحرب عين بادن باول رئيسا — أو كما نقول — حكمدارا لقوات البوليس فى افريقيا الجنوبية . فلما كانت سنة ١٩٠٣ — عاد الى انجلترا وتعين معتشيا عاما لقسم الفرسان فى الجيش البريطانى . وكان أعظم ما يمتاز به فى هـذه الفترة عنايته بالاستطلاع والتجسس والوقوف على مقدار القوة التى للعدو .

وفى عام ١٩٠٨ انشأ فى انجلترا « فرق الكشافة » فلقيت نجاحا عظيما ولم تكد تنشأ مدرسة عن إيجاد فرقة فيها ، ووضع مؤلفات مختلفة فى تنظيمها وأغراضها لا تزال تعد دستورا الى الآن فى جميع الفرق الكشافة . و إن كانت تعاليم الكشف قد نالها كثير من التوسع على أيدى آخرين من رجاله الذين لم يخرجوا مع ذلك عن إيحاء بادن باول ولم ينحرفوا عن أغراضه .

وقد قدرت الحكومة البريطانية خدماته فمنحته لقب سير . وله مؤلفات كثيرة فى فن الحرب عامة والاستطلاع خاصة . أما مؤلفاته عن الكشف فكثيرة قد انتشرت وترجمت الى معظم اللغات الحية . ومن أحسن مؤلفاته " اقتحاماتى فى التجسس " و " الكشف للصبيان " و " حملة المتابيل " .

و"الكشف" هو فى الأصل التجسس والاستطلاع والتعقب للعدو والاهتداء إلى الطريق من أمارات صغيرة فى مكان الشمس أو الكواكب أو اتجاه الرياح . وجميع الأمم التى تعيش فى البداوة وتصادفها أوقات يجد فيها الفرد نفسه بين السماء والأرض متفردا تعرف هذه الثقافة البدائية وتمارسها وتهتدى بها . فإن " اقتفاء الأثر " كان ولا يزال من الفنون البدوية عند

الأعراب. وتلك القبائل التى تعيش بالصيد تعرف كثيرا من المعارف عن الصحارى والغابات والرياح . فان البدوى من العرب أو الترك يشيم الأفق لكى يعرف مواقع السحاب . وهو حين يقطع الصحراء على ناقته يميز بين الماء والسراب . وهو يعرك بعرة البعير لكى يعرف مأتاه ومنحاه . وهو يميز بين حافر الغزال ومخلب الثعلب وخف الجمل . وهو يشعل النار بأوهى وأخف المواد من قش وحجر ويعرف كيف ينصب خيمته ويصيد ويجنى طعامه من أرض قاحلة أو كالقاحلة يجوع فيها المتمدن وهذه المعارف تستعمل فى السلم والحرب معا. وبادن باول حين عمد إلى صبيان مافكنج واستخدمهم للاستطلاع عن حركات العدو انما كان ينقل إلى أبناء المتحضرين ثقافة البدائيين . ولم يأخذ بادن باول هذه الثقافة كما هى نقلا تاما ، بل نقح فيها وزاد ونقص بحيث تلائم البيئة المتحضرة . فإنه زيادة على ما يعلمه للكشاف من المعارف التى تتصل بالطبيعة لمعرفة الوقت من الجو أو تعيين بعض البزور أو إشعال النار بلا ثقاب أو الطبخ العاجل والتمييز بين الأعشاب الضارة والأعشاب النافعة كذلك يعلمهم معالجة الخشب ونصب الخيام والاسعافات الأولية للغريق أو الجريح ورسم الخوارط . ومبادئ الفرق الكشافة لم يطرأ عليها تنقيح إذ هى لا تزال كما وضعها بادن باول سنة ١٩٠٧ وأهمها :

(١) أن الكشاف يجب أن يكون أمينا يوثق بشرفه .

(٢) أن يدين بالولاء للملك والوطن ولأبويه وضباطه .

(٣) أن ينفع الآخرين .

(٤) أن يبتسم ويصفو فى أوقات الشدة .

(٥) أن يكون نظيف الفكر واللفظ والعمل .

وقد أخذت جميع الأمم بهذا النظام وهو فى الأمم الديمقراطية يخطو نحو السلم ولا علاقة له بتاتا بالحرب . وفى الأمم الفاشية أو النازية يتجه نحو التعاليم الحربية . كما أن المعارف التى يمتاز بها الكشاف تختلف كثيرا بين كل أمة وأخرى ، وهى تتبع الوسط الذى يعيش فيه .

الأمراض الوبائية

نصائح وإرشادات تقدمها وزارة الصحة الى الجمهور

السل أو التدرن الرئوى

من الضرورى أن نعلم أن مرض التدرن أو السل الرئوى لا ينتشر فقط فى البلاد الباردة ، بل هو منتشر فى كل بلاد العالم . وهو منتشر فى القطر المصرى خصوصا السل الرئوى لدرجة لا يستهان بها .

والسل إما أن يصيب الرئة أو يصيب الأعضاء الأخرى كالأمعاء والمفاصل الخ . . . وهو مرض خطر يفتك بالشباب وهم فى ريعان الصبا وبذلك تفقد الأمة عددا كبيرا من شبابها الذين هم قوتها العاملة فضلا عن خسارتها المادية التى تنشأ عن وفاة هؤلاء الشبان بعد أن أنفقت على تربيتهم أموالا طائلة ، وهى من هذه الوجهة أكثر فداحة من الخسارة التى تنشأ عن وفاة الأطفال الذين يفتك السل بعدد عظيم منهم أيضا .

والسل مرض معدٍ له ميكروب يوجد فى ألبان الأبقار المريضة بالتدرن ، وفى المواد البلغمية التى يبصقها المصابون بهذا المرض فى بعض أدواره ، كما أنه يوجد فى الأتربة المتطايرة ، بسبب ما يعلق بها من جراثيم المرض بعد أن تجف المواد البلغمية التى يبصقها المريض على الأرض .

وتنتقل عدوى السل من المواد التى يوجد بها الميكروب كما سبق القول إما بواسطة الطعام كاللبن واللحوم المأخوذة من مواش مصابة بالتدرن ، أو من مأكولات تداولتها أيدى أشخاص مصابين به أو أطعمة تركت مكشوفة للتراب يتساقط فيها والذباب يجتمع عليها أو من تلوث أقدام المارة إذا مروا بأقدامهم فوق بصاق مريض فى الطريق أو من مخالطة مريض بالتدرن .

ويساعد على ظهور المرض بجسم الشخص استعداد الشخص أو ضعف مناعته الطبيعية لسبب ما مثل سوء الحالة الصحية التى يعيش فى دائرتها كرداءة المسكن وعدم توفر وسائل التهوية بالغرف وبعد الجسم عن الرياضة البدنية وعدم توفر الراحة اللازمة له والتعرض للنزلات البردية ، واستعمال المكيفات الخ . . .

أعراض المرض : وتبدأ أعراض المرض بانحراف المزاج ونقص الوزن المستمر وفقدان الشهية يصحبها سعال خفيف مستمر مع آلام وخزية فى الصدر ، فاذا شعر أحد بهذه الأعراض فيجب عليه أن يبادر باستشارة الطبيب .

ولا ينبغى أن تتهاون حتى تظاهر أعراض المرض الخطرة كالبصاق الدموى أو الضعف العام الشديد ، فإن العلاج فى هذه الحالات قليل الفائدة ، أى أن الأمل فى الشفاء يكون ضعيفا .

الوقاية خير من العلاج :

١ — لا تجلس كثيرا فى مكان مغلق ردىء التهوية ، ولا تعرض نفسك للنزلات البردية ولا تهمل علاجها إذا أصبت بها :

٢ — اجتهد أن تجدد دائما هواء المنزل خصوصا غرف النوم ولا تدع عدة أشخاص ينامون معك فى غرفة واحدة أغلقت أبوابها ونوافذها .

٣ — لا تسعل أو تعطس فى وجه أى شخص آخر ، وكذلك لا تعط الفرصة لآخر حتى يسعل فى وجهك .

٤ — حسن حالتك المعيشية بقدر الإمكان ، وذلك بأن تختار لنفسك غذاء جيدا ومسكنا صحيا وراحة كافية لجسمك بعد عناء عملك اليومى .

٥ — ساعد على تحسين الحالة الصحية باتباع الأمور الآتية :

(أ) إزالة القاذورات المنزلية أولا فأولا فى أوعية مقفلة .

(ب) لا تترك اللبن أو أى طعام آخر مكشوفا ومعرضا للتراب والذباب .

(ج) يجب أن تغلى اللبن قبل شربه . واذا كان اللبن هو طعام طفلك الوحيد فيجب أن تعطيه أيضا عصير البرتقال ليعوض ما يفقده اللبن من مواد حيوية أثناء غليه .

(د) بأن تجتنب المسكرات والمكيفات وتحارب انتشارها فإنها تسبب المرض عن طريقتين :

أولا — تضعف مقاومة الجسم وتعرض الإنسان للمرض مباشرة .

ثانيا — أنها تورث الفقر والفقر يورث المرض .

٦ — ساعد رجال الصحة فى مجهوداتهم الموجهة لمنع انتقال عدوى مرض السل لدى أشخاص أصحاء ، وذلك بأن تتبع الجهة الصحية عن أى شخص يصاب بهذا المرض . وبذا يمكن لأولياء الأمور أن يعنوا بحاله وعلاجه وإرشاده اذا كان فى حاجة الى شىء من هذا القبيل.

٧ — لا تبصق على الأرض وانصح لكل شخص تعرفه بألا يبصق على الأرض وأن يستعمل منديله ليبصق فيه .

٨ — إذا كنت شابا فإياك والعادة السرية السيئة فانها تجهد أجهزة الجسم وقد تؤول بك الى مرض السل .

٩ — استشر الطبيب اذا داخلك ريب فى وجود أعراض المرض عندك .

نصائح للمرضى بالسل ومخالطيهم :

١ — لا تطل الجلوس فى مكان ردىء التهوية ولا تعرض نفسك للنزلات الصدرية ولا تهمل علاجها اذا أصبت بها .

٢ — اجتهد أن يكون هواء منزلك ، وخصوصا غرف النوم ، متجددا باستمرار ولا تدع أشخاصا آخرين ينامون معك .

٣ — لا تسعل ولا تعطس فى وجه أى شخص آخر .

٤ — لا تبصق على الأرض واستعمل آنية خاصة لذلك أو منديلا خاصا .

٥ — حسن حالتك المعيشية بقدر الإمكان وتناول غذاء جيدا واعط جسمك قسطه الكافى من الراحة .

٦ — تجنب تعاطى المسكرات والمكيفات ومنها التدخين .

٧ — بلغ الإدارة الصحية عن مرضك وهى تعنى بمعالجتك وترشدك الى أفعل الطرق للمحافظة على حياتك ومنع المرض من أن ينشب أظفاره فيك .

٨ — يجب أن تستعمل أوانى خاصة لطعامك وشرابك ولا تدع الغير يستعملها .

٩ — يجب غسل وتطهير الملابس والمناديل التى تبصق فيها وتعريض الفراش للشمس .

١٠ — لا تعرض نفسك لعدوى السل بالإقامة طويلا بغرفة المريض به .

١١ — ساعد على تحسين الحالة الصحية بإزالة القاذورات المنزلية أولا بأول .

١٢ — لا يجوز أن يترك اللبن أو أى طعام آخر مكشوفا ومعرضا للذباب والتراب .

١٣ — اغل اللبن قبل أن تشربه ، وخصوصا اذا كان هو غذاء طفلك .

١٤ — بلغ الادارة الصحية عن مرضك وساعد رجال الصحة فى مجهوداتهم الموجهة لمنع انتقال عدوى مرض السل الى الأصحاء .

١٥ — استشر الطبيب اذا داخلك ريب فى وجود أعراض المرض عندك .

١٦ — اذا كنت شابا فإياك والعادة السرية فانها تجهد أجهزة جسمك أكثر من طاقته فتهد قوتك وتمتص عصارة الحياة من جسدك .

الحمى المخية الشوكية

أعراضها وكيفية انتقال عدواها وطرق الوقاية منها

يبدأ هذا المرض عادة بغتة ويكون مصحوبا بحمى ودوخة شديدة وآلام فى الرأس والظهر مع رعشة وقىء ، ثم تتوتر عضلات الظهر فيتقوس تدريجيا فى الأمام وتعترى عضلات الذراعين والرجلين ارتعاشات واهتزازات ، وأحيانا يظهر على الجسم طفح وردى اللون . وعند تقدم المرض تحدث عيوبة قد تنتهى بالوفاة .

وتحصل العدوى دائما من إفرازات فم وأنف المصاب ، وأيضا من الرذاذ المتطاير من أنف وفم الأشخاص الحاملين لميكروب المرض ومن الأشياء التى تلوثت بهذه الإفرازات كالمناديل والمناشف (الفوط) وأدوات الأكل والشرب .

ولتجنب الإصابة بهذا المرض الخطر ولمنع انتشاره يجب اتباع الإرشادات الآتية :

١ — اغسل يديك قبل الأكل وبعده واغسلهما أيضا كلما تلوثتا بإفرازات أنفك أو فمك ، استعمل منشفة (فوطة) خاصة بك دون غيرك .

٢ — استعمل أوانى خاصة بك لأكلك وشربك دون سواك .

٣ — ولا تتعرض مباشرة للرذاذ الخارج من أنف أو فم الأشخاص الذين يسعلون أو يعطسون ، ولا تعرض غيرك للرذاذ المتطاير من أنفك وفمك .

٤ — اجتنب الأماكن المزدحمة .

٥ — اجتهد فى أن تصرف معظم أوقاتك متريضا فى الهواء الطلق والشمس .

٦ — استعمل غرغرة للحلق مرتين صباحا ومساء بمطهر خفيف بعد استشارة طبيبك الخاص .

وطبيب وزارة الصحة مستعد لإرشادك مجانا عن أفضل غرغرة تفيدك .

٧ — اذا شعرت بأى عرض من الأعراض السابق ذكرها فاعرض نفسك على الطبيب بدون إبطاء .

٨ — اذا علمت أن أحد أقاربك أو جيرانك مصاب بهذه الأمراض فبلغ عنه أقرب مكتب للصحة .

الذكاء وقيمته الاجتماعية

هل نحن أذكياء بالطبع أم بالتطبع ؟ هل الذكاء طبيعة نولد بها أم عادة نتعودها ؟ هل للوسط الذى نعيش فيه تأثير فى الذكاء بالزيادة أم بالنقص ؟ هذه الأسئلة كبيرة المغزى الاجتماعى، لأن عليها يتوقف رأينا فى النهاية عن قيمة التربية الحسنة فى الصبيان والشبان . لأنه إذا كان مقدار الذكاء موروثا لا يزيد بالتربية الحسنة ولا بالوسط الحسن فإن النظر الاجتماعى للمدرسة — وهى جنين المجتمع — وللوسط ، سيتغير .

وقبل أكثر من خمسين سنة ألف أحد العلماء الإنجليز وهو السر جالتون بن عم داروين كتابا بعنوان " العبقرية الوراثية " أورد فيه تاريخ الأسر التى اشتهرت فى التاريخ بالتفوق على اختلاف أنواعه : فى الإدارة وفى القضاء وفى العلوم وفى الآداب وفى غير ذلك مما يتنافس فيه الناس ، ولم يقتصر على العصر الحديث بل عاد إلى أيام الرومان ومن جاء بعدهم. وتقصى تراجم العبقريين وأقربائهم . وخرج برأى جبرى فى الذكاء . وهو أنه مقدار موروث يجرى فى الأسرة . فكما أن إحدى الأسر قد تتسم بالأنف الأشم أو الأنف الأفطس . كذلك تتسم أسرة أخرى بالذكاء الوافر أو الذكاء الناقص . فقد وجد جالتون أن الأسرة التى يظهر فيها عبقرى لا تلبث أن تجد له زملاء من العباقرة فى إخوته أو أبناء عمومته أو خئولته. فالذكاء يجرى فى الأسرة . ولكن القارئ لهذا الكتاب لا يسعه الا أن يتساءل أيضا : "لماذا لا نعزو تعدد الأذكياء أو المتفوقين فى أسرة معينة الى أن أفرادها يساعد بعضهم بعضا فى الحصول على المناصب العليا فى الدولة ؟ فالتعدد هنا نعزوه الى المحاباة . وأيضا نستطيع أن نعزوه الى أن الوسط الحسن الذى أثمر أحد المتفوقين وزوده بوسائل التربية والتعليم والأخلاق قد أثمر مثل هذه الميزات فى عضو آخر من الأسرة .

الواقع أن المسألة معقدة . فقد ثبت مثلا أن صبيان الإصلاحيات الذين وصلوا اليها بعد شذوذ أخلاقى أو بعد الوقوع فى جرائم صغيرة وكذلك كبار المجرمين فى السجون يتسمون فى المجموع بمقدار من الذكاء ينقص بعض الشىء عن المقدار السوى . وهذه الحقيقة تحملنا لأول وهلة على أن نقول : " هذا ما ننتظر . فإن الصبى أو الشاب الذى يقع فى الإجرام إنما يثبت بذلك أنه ضعيف الحيلة عن تحقيق غرضه بالوسائل المألوفة. وضعف الحيلة هنا هو عجز فى الذكاء . ولو كان المجرم ذكيا لما وقع فى الإجرام " .

ولكنا حين نقول هذا الكلام ننسى أن المجرم إنما ينشأ فى وسط سيئ لا يستنكر فيه الإجرام وهو يتخذ الإجرام أسلوبا للحياة ويتعوده عادة كما يتعود غيره الاستقامة أو الجد أو الشجاعة أو البر .

وهنا نستطيع أن نجرؤ ونقول : لم لا يكون الذكاء عادة ؟

أليس الذكاء هو نوع من النظر للأشياء؟ النظر الذى يرافقه النقد والجد والمثابرة والفحص وكراهة التسليم بظواهر الأشياء والرغبة فى التعمق كأنه — أى الذكاء — نوع من المكر النزيه ! وإننا نتعلم هذا النظر فى وسط ما ولا نتعلمه فى وسط آخر ؟

ولكن يبرز أمامنا مثال الأسر التى تتوارث البلاهة . فإننا حين نجد شخصا أبله قد اتضحت البلاهة فى لغته وهدامه وسلوكه لا نلبث أن نجد له أبا أو أما أو خئولة أو عمومة قد اتضح فيها أيضا هذا البله . فإذا كان البله يورث ، وهو درجة منحطة من الذكاء ، فلماذا لا تورث العبقرية وهى درجة عالية من الذكاء ؟ ثم لماذا لا تورث سائر درجات الذكاء ؟

الحق أنه ليس هناك مفر من أن مقدارا من الذكاء يورث ، ولكن الاختلاف ينحصر فى : هل الذكاء كله موروث أم بعضه ؟ وهل فى مستطاعنا زيادة الذكاء بالتعليم والتربية أم أن هذه الزيادة غير ممكنة ؟

كان النظر الى الذكاء حتى العام الماضى بين رجال التربية نظرا جبريا ، وهو أن مقدار الذكاء الذى خص به كل منا لا يزيد بالتربية أو الوسط الحسن ، وكأنه قد كتب علينا أن نعيش بقامة معينة من الطول أو القصر . ولكن منذ أشهر أخذ هذا الرأى يتزعزع . ونقول يتزعزع فقط ولا نقول إنه انهار . لأنه ما زال له مؤيدون يستمسكون به كأنه العقيدة .

وقياس الذكاء مألوف فى المعاهد التعليمية منذ أيام بينيه السيكلوجى الفرنسى أى منذ نحو أربعين سنة تقريبا . وكان بينيه يؤمن بأن الذكاء كفاية وراثية لا يؤثر فيها الوسط . ولكن هذا الايمان تزعزع قليلا حين أدركته الآنسة ديجان بمقابلة احصائية عن درجات الذكاء فى مدرسة راقية هى مدرسة ديكرولى فى بلجيكا ودرجات الذكاء فى حى فقير فى باريس . فقد وجد أن الفرق عظيم وأنه لا يمكن أن يعزى إلا إلى أن الوسط المدرسى الراقى قد نبه الذكاء ونماه فى تلاميذ ديكرولى فى حين أن وسط الفاقة والعوز والحرمان فى الحى الفقير فى باريس قد بلّد الأذهان ونقص الذكاء . فكأن الذكاء ينمو توسعا وتعمقا بالمنبهات الذهنية التى يحصل عليها الصبى فى مدرسة راقية ولا يحصل عليها فى الحى الفقير .

وفى مدة الحرب الكبرى الماضية أجريت امتحانات الذكاء فى جميع المجندين الأمريكيين. لأن الولايات المتحدة الأمريكية عندما دخلت الحرب كانت تحتاج الى السرعة فى الإعداد والتأهب. فعمدت الى امتحان الذكاء لكى لا يضيع الوقت فى تعليم المجندين الذين لا يؤهلهم ذكاؤهم للتبعات الكبيرة و لأعمال الدقيقة . واختارت الأذكياء وخصتهم بالمهم من الأعمال وتركت لمن دونهم فى الذكاء غير لمهم .

وفى الولايات المتحدة ٤٨ ولاية تتفاوت عنايتها بالتعليم . فبعض الولايات متقدم جدا و بعضه متوسط، و بعضه متأخر. وعمد الدكتور ياركس الى الفحص عن الأذكياء والمتوسطين والبلداء كما أوضحت أحوالهم امتحانات الذكاء فى الجيش الأمريكى . و بحث عن الولاية التى خرجوا منها فوجد أن أكثر الولايات أذكياء كانت تلك التى عنيت أكثر من غيرها بالتعليم . وأقلها فى الذكاء تلك التى قلت عنايتها بالمدرس والتعليم . فهنا نجد استنتاجا يدل على أن الذكاء ينمو بالمدرسة الحسنة و يعجز بالمدرسة السيئة أو بنقص التعليم أو انعدامه. وعمد الدكتور ولمان الى مدرسة منحطة سيئة التعليم فنقل منها بعض تلاميذها الى مدرسة راقية تأخذ بالأساليب العصرية فوجد أن درجة الذكاء فى هؤلاء المنقولين قد زادت مع أنها بقيت على حالها السابقة عند التلاميذ الذين بقوا فى المدرسة المنحطة .

وكما كان هناك من يعزو الى الوراثة كل شىء فى الذكاء قد أصبحنا نرى من يكاد يهملها تماما و يعزو الذكاء كله الى الوسط . فهذا ولترليف مثلا يقول : " إن اختلاف أرقام الذكاء للأطفال الذين ينتمون الى بيئات اجتماعية واقتصادية متباينة يمكن أن يعزى كله الى اختلاف الفرص التى تتيحها هذه البيئات المتباينة . وليس هناك ما يدعو الى الاعتماد على نظرية الوراثة ".

وهذا هو الطرف الأقصى لدعاة الوسط ، كما أن هناك طرفا أقصى لدعاة الوراثة . و يبدو أن الحقيقة هى بين الطرفين . أى أن الذكاء هو نتاج أو ثمرة الوراثة والوسط معا . وأن الجبرية العلمية فى هذا الموضوع لم تعد تنهض على أساس . والمغزى الاجتماعى من هذا النظر الجديد أن الإصلاح الصحى والرفاهية الاقتصادية والرقى الاجتماعى — كل هذا يرقى الذكاء كما يرقيه انتشار المدارس وزيادة السن للتعليم . فإذا كانت الأمة تريد الذكاء فى أبنائها و إذا كانت تريد مكافحة البلادة والغفلة فإنها يجب أن تشمر عن ساعد الجد وتكافح الأمية والفاقة والقبح فى المنزل والشارع، ويجب أن ترقى مدارسها وتحسن البيئة التى يعيش فيها الصبيان بإيجاد الأندية والملاعب والمكتبات الحسنة .

الوسائل العلمية لمعالجة الإجرام

وكيف تقوم بها مؤسسة انجليزية

للأستاذ س . م .

سبق أن ذكرنا فى هذه المجلة أن معظم الإصلاحات التى تقوم بها الحكومة البريطانية انما ابتكرها الشعب وسار بها شوطا بعيدا كان بمثابة التعبيد للطريق والقيام بالتجارب والكسب للاختبارات ، حتى اذا اتضحت الفائدة تقدمت الحكومة وعاونت برجالها وأموالها أو تحملت العبء كله . وهذا هو الذى نراه فى التعليم بالمجان وفى التأمينات الاجتماعية وفى مكافحة الأمراض ، بل وفى مكافحة الفاقة . وهذا هو ما ينتظر من كل أمة ديمقراطية . فإن الابتكار فى الديمقراطيات للشعوب وليس للحكومات .

وهكذا الشأن أيضا فى المعالجة العلمية للإجرام . ففى بريطانيا الآن ما يسمى "مؤسسة المعالجة العلمية للإجرام فى الصغار" وهى هيئة شعبية مؤلفة من الأطباء والسيكلوجيين الاجتماعيين . وغايتها بحث الأحوال التى تؤدى الى السلوك السيئ فى الصبيان وهو الذى يوقعهم فى الإجرام ولا يؤدى بهم مع ذلك الى السجن . ولكن قد يؤدى بهم الى الإصلاحيات . وليست غاية هذه المؤسسة أن يستبدل الطبيب بالقاضى . ولكن المقصود هو التعاون بين الاثنين .

وفى البرلمان البريطانى مشروع قانون فى الوقت الحاضر يراد به معالجة المجرمين الصغار بالوسائل التى اهتدت اليها هذه المؤسسة . والتعاون قائم الآن بين هذه المؤسسة وبين محاكم الصبيان . فإن المجرم يحال على المؤسسة التى تبحثه من ثلاث نواح .

الناحية الأولى هى الفحص عن صحته الجسمية . فإن هناك أمراضا تجعل المجهود الصغير متعبا مضنيا يهرب منه الصبى ويحتال للحصول على القليل من المال الذى ينفق بوسائل لا يقرها المجتمع أو هو يقصر فى عمله لضعفه الجسمانى فيلقى من العقوبات والقسر والإحراج ما يلجئه الى هذه الوسائل فيقع فى الإجرام . ولذلك تشرع المؤسسة عندما يصل اليها أحد المجرمين الصغار فى الفحص للطبى عن أمراضه وتحاول معالجته . وقد يعود الصبى سويا بعد ذلك ليس به شذوذ .

فاذا لم يكن به عيب جسمانى أو اعتلال صحى بحثت المؤسسة حالته السيكلوجية ، وهذه هى الناحية الثانية فقد يكون جسمه سليما ولكن نفسه مريضة . لأنه قد نشأ بشخصية عوجاء وتعلم أسلوبا خاطئا فى المعيشة والأقيسة الاجتماعية . وهو هنا تحلل نفسيته وقد يكفى أن

يحادثه العالم السيكلوجى خمس مرات. ولكن فى الحالات المستعصية يحتاج إلى ستين محادثة. ويأتى التأليف بعد التحليل ، فإن شخصيته يجب أن تؤلف من جديد باتخاذ أسلوب آخر فى الحياة و إيجاد مثليات جديدة وتعود عادات حسنة .

أما الناحية الثالثة ، وهى الناحية الاجتماعية ، فان المختص الاجتماعى يعالجها ببحث البيئة البيتية التى نشأ فيها هذا الصبى. فلعل أحد أبويه كان مجرما فاتخذ الصبى أسلوبه فى الحياة منه بالقدوة. ولعل صبيان الشارع قد هيأوا له عشرة السوء فتعلم منهم ، بل لعل العائلة تعيش فى فاقة سوداء تجعل الصبى يهرب و يسرق لكى يعوض نفسه من الحرمان الذى يلقاه فى البيت . بل هناك الأبوان المتشاقان اللذان يجعلان الصبى يكره البيت و يفر منه الى الشارع . وفى هذه الأحوال جميعها يعالج الصبى بإلحاقه بأحد الأندية التى يجد فيها السلويات المتعددة التى تقيه من التشرد كما أن العائلة تجد من يزورها ويحاول إصلاحها باعادة الوفاق بين الزوجين أو بتوجيه الزوج الى العمل الكاسب . وأحيانا يؤخذ الصبى من البيئة السيئة و يسلم لإحدى العائلات الحسنة التى تتبناه وتحسن إرشاده وتعليمه .

ولا يقتصر مجهود هذه المؤسسة على إصلاح الصبيان المجرمين واستردادهم أعضاء نافعين للمجتمع ، بل هى تنظم المحاضرات للأطباء والقضاة حتى يستنيروا فى الأسباب العديدة التى تتواطأ على إيجاد المجرم الصغير. وقد عنيت جامعة لندن بهذه المؤسسة واعترفت بشهادتها ، وهذا تقدير كبير . كما أن الاصلاحيات الانجليزية أخذت بتعاليمها واسترشدت باستنتاجاتها ولذلك لم تعد هذه الاصلاحيات سجونا بل حتى الاسم قد ألغى فى بعضها وأطلق عليها اسم "المدارس" لكى لا يعلق بها ما يوهم العقوبة ولكى لا ينشأ الصبى وفى نفسه جرح نفسى قديم بشأن شذوذه عن زملائه .

ولا يقتصر الانتفاع بهذه الأبحاث على الصبيان الشاذين أو الناشزين ، لأننا كما نعرف الصحة بدرس الأمراض كذلك نعرف الأخلاق السوية والسلوك الحسن بدرس الأسباب التى تؤدى الى ضدهما. فالمعلم فى المدرسة والوالد فى البيت كلاهما ينتفع بدرس الاستنتاجات التى وصلت اليها هذه المؤسسة . وقد ظهر فى الانجليزية كتاب حديث باسم " المعالجة السيكلوجية للجريمة " لمؤلفيه الدكتور اميست والدكتور هو برت .

وهذا الكتاب قائم على أبحاث " مؤسسة المعالجة العلمية للإجرام فى الصغار " .

ولا تزال هذه المؤسسة شعبية لا شأن للحكومة البريطانية بها من حيث التنظيم والنفقات ولكن السجون والإصلاحيات الحكومية انتفعت بها . كما أن جامعة لندن تعاونها الآن . ولن يكون الزمن بعيدا حين تشترك الحكومة اشتراكا فعليا فى زيادة العناية بالمجرمين الصغار بجعل هذه المؤسسة حكومية يرجع اليها فى كل ما يتعلق بالجريمة للصغار والكبار .

س . م .

ترقية العائلات الريفية

جمعية من الفتيات بين الزنوج

في الولايات المتحدة الأمريكية نحو ١٥ مليون زنجي يعمل بعضهم في الولايات الجنوبية وخاصة في زراعة القطن . والحفاء بينهم و بين البيض كثيرا ماينفجر و يؤدى الى مصادمات دموية . ولكن منذ تحريرهم سنة ١٨٦٠ أخذ التعليم ينتشر بينهم حتى صار منهم لمحامون والأطباء والتجار والمزارعون . ولكن الأغلبية بين الزنوج الأمريكيين لاتزال فقيرة تعمل في فلاحة الأرض . والفقر يجر وراءه كثيرا من الأمراض التي يجهل هؤلاء الزنوج طرق الوقاية منها أو معالجتها. ولذلك تزيد منوية الوفيات بينهم على ماهي عليه بين البيض زيادة كبيرة.

وقد أحس الزنوج المتيسرون هذه الأحوال السيئة التي يعيش فيها اخوانهم في الجنوب، وكان هـذا الاحساس على أشده بين طالبات الجامعات وخريجاتها . فألفوا فيما بينهن جمعية برياسة الدكتورة دوروتى فيريي وهي طبيبة زنجية . وأعضاء هذه الجمعية يستغللن إجازاتهن الصيفية في معالجة الأمراض المتفشية بين زنوج الولايات الجنوبية الفقراء . وعضو الجمعية تؤجر على عملها هذا بعشرة دولارات ونصف دولار كل أسبوع . وهذا زيادة على أن بنزين الأتومبيل الذي تجول به تقوم الجمعية بأداء ثمنه . ويبلغ أعضاء الجمعية ٢٢٠٠ عضو يتفرقن في الحقول ويفحصن عن العمال رجالا ونساء وأطفالا . وقد استطعن في صيف واحد أن يقطعن ٥٣٠٠ ميل قمن فيها بحقن ٢٠٠٠ حقنة ضد الدفتيريا و ٣٠٠٠ حقنة ضد الجدري كما عالجن أمراضا أخرى مثل نخر الأسنان والملاريا وكساح الأطفال .

ومما يذكر أن مرض البلاغرا يتفشى بين الزنوج لسوء طعامهم الذي يؤلف عادة من الخبز الأبيض واللحم والعسل . وقد وجدت الجمعية أن معالجة هؤلاء المرض تقتضي التعليم وتقديم الغذاء الذي يحوى الفيتامينات المضادة للبلاجره . ونجحت الى حد بعيد في مكافحة هذا المرض . فإن عضو الجمعية كانت تنتظر اللحظة السيكولوجية حين يجوع العمال وتقدم لهم ألوانا من الأطعمة التي تحفل بالفيتامينات فيأكلونها ثم تشرح لهم ميزاتها حتى يشتروها و يبدلوها بطعامهم .

وقد انتهت الجمعية أخيرا الى تأسيس مستشفى يحوى خمسين سريرا والى إيجاد نوع من التأمين ضد المرض بين الزنوج. ولكنها مع ذلك لم تهمل أتومبيلاتها المتنقلة التي تعالج الزنوج في الحقول .

و كل هذا من مجهود الطالبات والخريجات فقط لم يشترك فيه الطلبة أو الخريجون . والتبرعات تجمع من الزوج من أعضاء الولايات المتحدة فتشترى بها العقاقير والأدوية و يؤدى بعضها للأعضاء لكى يقمن بنفقاتهن . والحكومة الأمريكية مؤسسات كثيرة للعالجة ولكنها لا تصل الى هؤلاء الفقراء من الزوج لتفرقهم فى حقول القطن والمزارع النائية . ولذلك يتجه همّ الجمعية الى الوصول الى هؤلاء لمعالجتهم .

وحبذا هذا البر تقوم به طالبات بإشراف الخريجات من الجامعات الأمريكية لأخواتهن اللاتى لم يتح لهن الحظ مثلما أتاح لأولئك حتى يحظين بالثروة والتعليم والصحة . وما أجدر فتياتنا من طالبات الجامعة بمثل هذا البر فيقمن به نحو إخواتهن من فقيرات الريف . فإن عاداتنا وتقاليدنا تحمل اتصال الطالب بالأسرة الريفية الفقيرة لمعالجة أفرادها من الجنسين شاقا . لأن الحجاب الذى ضعف فى المدن لا تزل له مكانة وسلطان فى الريف وخاصة فى الصعيد . ولكن ما يعجز عنه الطالب لا تعجز عنه الطالبة التى تستطيع أن تدخل البيوت وتختلط بالزوجة أو الفتاة وتفحص عنها وتتعرف أمراضها وتعالجها . ورب الأسرة حين يجد أن المعالجة والفحص سيكونان على يد فتاة لا يعارض ولا يمانع . والجمعية الأمريكية التى ذكرناها هنا لا يقتصر عملها على المعالجة فإنها تعلم الزوج والزنجيات الأسلوب الذى يجب أن يتخذوا للمعيشة الصحية . فإن ما تنفقه الأسرة الزنجية على الطعام مثلا يكفى للحصول على طعام حسن واف بقى من البلاغرا . ولكنها اعتادت الخبز الأبيض واللحم ، ومعظمه غير طازج ، والعسل .

ولا يقى هذا الغذاء من البلاغرا التى تتفشى بينهم . ولو تعود هؤلاء الزنوج شراء اللبن واتخاذه فطورا مع استهلاك القليل من البيض والخضراوات لما وقعوا فى البلاغرا . ولذلك كان من المهام التى قام بها أعضاء الجمعية حمل أصحاب الأرض على زرع بعض الخضراوات لكى تجد فيها أسر الزنوج طعاما واقيا من الأمراض .

لقد قام طلبتنا بحركات مختلفة لإنهاض القرية ، وكان أعظم ما اتجه اليه نشاطهم تعميم القراءة والكتابة للأميين . وهذا كله حسن ، ولكن طالباتنا أحدر منهم بالقيام بتنوير العائلات الريفية والاندساس بين أعضائها من النساء والفتيات للتنوير عن الطعام الصحى وقيمة النظافة وتربية الأطفال على غرار ما فعلت هذه الجمعية الأمريكية .

متفرقات اجتماعية

اللغة والذكاء

من المشاهد أن الأطفال الذين يتسمون بقلة الذكاء يتأخر عندهم النطق والتعبير . فكلماتهم قليلة وأداؤهم ضعيف . وهناك من السيكلوجيين من يرد التفكير كله الى اللغة . فنحن نفكر بالتكلم وإن يكن هذا التكلم صامتا أو محبوسا .

وقد يكون فى هذه النظرية مبالغة . ولكن ليس شك فى أن التفاعل كبير جدا بين ألفاظنا وبين تفكيرنا ، وأن الفكرة تبقى غامضة غائمة حتى تتقيد وتتضح باللفظة . ومن هنا ضرورة مساعدة الأطفال على التفكير باللغة . فإن الطفل متى عرف لفظة ما تتصل بلعبه أو عمله أو سائر اهتماماته يلصق بها ويجعلها اداة من أدوات تفكيره. فهو يستعملها فرحا كما أنها هى تعينه على التفكير .

ولذلك يجب على الآباء أن يساعدوا أبناءهم فى اللغة بالحديث المنير عن الحيوانات والنباتات والتجارة والصناعة. وأن يضمنوا أحاديثهم معهم كلمة جديدة من وقت الى آخر. ومن الآباء من يظن أن عقل الطفل صغير. وهو كذلك بالفعل ولكن يجب ألا نبالغ فى صغره . لأن الطفل الذى لا ينخفض ذكاؤه ولا يعلو على المستوى العادى يستطيع بين الرابعة والسابعة من عمره أن يعرف مقدارا عظيما جدا من المعلومات وأن يتعود حتى فى هذه السن المناقشة المنطقية ويألف النقد الدقيق . وهو اذا وجد الفرصة لتدريبه على الألفاظ الكتابية قبل العاشرة استطاع أن يقرأ الكتب الجدية فى هذه السن .

شتاؤنا ومجتمعاتنا

شتاؤنا قصير وليس برده قارسا إلا فى أيام معدودات . ولهذا السبب لا نبالى بإيجاد المواقد فى الغرف . فإذا جاء الشتاء وأحسسنا البرد انكفأ كل منا الى سريره وتغطى بلحافه وقضى الوقت منفردا منعزلا عن سائر أعضاء العائلة . وليست هذه الحال بالحال المثلى للحياة العائلية . والموقد فى أوربا وسيلة لاجتماع العائلة وتحدثهم أو سهرهم حول النار . ونحن محرومون من هذه الأنسة لأن بيوتنا خالية من الموقد مدة الشتاء مع أن تكاليف بنائه ليست كبيرة وهو بالطبع لا يحتاج الى كثير من الوقود إذ هو لا يشعل غير ساعتين فى اليوم مدى شهرين أو ثلاثة أشهر فى السنة .

ولذلك يجمل بأصحاب العقارات أن يخصوا المنازل التى يبنونها للإيجار بغرفة واحدة بموقد يبعث النشاط فى الحياة الاجتماعية المصرية . وقد شاعت فى القاهرة والاسكندرية مواقد كهربائية وبترولية . والأولى حسنة ولكنها باهظة التكاليف. إذ هى لو استعملت ساعتين فى اليوم لزادت تكاليفها على جنيهين فى شهر واحد . أما الثانية فصغيرة التكاليف ولكنها مضرة بالصحة لأنها تخرج غاز المونو أوكسيد وهو سم يتسلل الى المراكز العصبية فيسكرها أو يخدرها حتى ينتهى بقتل المستدفئين . وخير من هذا وذاك موقد يبنى بالحائط ويخرج دخانه الى سطح المنزل ويوقد بالخشب .

صناعات زائلة

كنا نسير فى أحد الأحياء الوطنية بالقاهرة فوجدنا بها زقاقا يدعى " حارة الركيب " وهذ " لركيب " هو شخص قد زال أو كاد يزول من الوجود فى المجتمع المصرى حتى لا يكاد يعرفه الشاب العصرى . فقد كان هذا " الركيب " يدرب الخيول والبغال وأحيانا الحمير على الهملجة أى السير فى سرعة وخفة دون العدو . وكان كثيرون يعيشون من هذه الحرفة الكاسبة المحترمة . ولكن منذ نحو ثلاثين أو أربعين سنة أخذ الأتومبيل يطرد هذه المطايا من مدننا، بل أحيانا من ريفنا لأن الأعيان صاروا يفاخرون باقتنائه بعد أن كانوا يفاخرون باقتناء الجياد أو البغال أو الحمير .

وفى وقتنا الحاضر صناعات كثيرة صائرة الى الزوال يجب أن يتنبه لها الآباء ولا يشقوا أبناءهم بتعلمها . كما أن هناك صناعات كثيرة ناشئة يرجى لها الرواج والتقدم فى المستقبل القريب فيجب أن يستعد لها الأبناء . مثال ذلك أن العالم الآن " يتموطر " فى السلم والحرب. أى أن الموطر يدخل فى الاتومبيل والطائرة والدبابة بل أحيانا فى السفينة وفى المصنع . وهو آلة دقيقة تحتاج الى سنوات من الدرس . وليس شك فى أنه سينشىء وسيحتاج الى المصانع التى تصبه والى الورش التى ترممه وقت الخلل أو الكسر . وكذلك الشأن فى جميع الصناعات الكهربائية والكيماوية فإن التوسع فيها مستمر .

فعلى الآباء أن يفتحوا أعينهم لمستقبل أبنائهم فى الصناعات الحاضرة الزائل منها والناشئ .

العشا من الغذاء السيء

العشا هو سوء البصر ، وخاصة فى الليل أو وقت الغبشة . وهذه العلة التى كانت تخفى حتى على المصابين بها قبل الحرب قد أخذت تتضح بعد الحرب عقب الإطفاء العام للمصابيح

أو تظليلها لكى يقل الضوء فى الشوارع . فإن كثيرين ممن كانوا يظنون أنهم لا يشكون ضعفا فى البصر قد أحسوا فى هذه الحال الجديدة ضعفا أو عجزا يمنعهم من السير فى شوارع القاهرة أو الاسكندرية أو سائر المدن إلا إذا تحسسوا الجدران أو تعقبوا سائرا آخر أمامهم يسترشدون بوقع أقدامه .

وهذا العشا يعود إلى ضعف البصر لأمراض سابقة . ونحن أكثر الأمم إصابات للعين لأسباب مختلفة بعضها يرجع إلى وفرة الغبار والذباب وبعضها إلى العادات السيئة التى تتبعها الأمهات فى المعالجة . ولكن بعض الأسباب لهذا العشا يعود أيضا إلى سوء الغذاء . فقد ثبت أن نقص الفيتامينات فى الطعام يؤدى إلى العشا . وهذا النقص يكثر فى المدن حيث الأطعمة الحية لا تتوافر وحيث قلة الكسب لا تجعل الطعام متنوعا يحوى ألوانا مختلفة . ولذلك قد يشبع الفقير من طعامه كما ولكنه لا يشبع كيفا . أى أن معدته لا تحس الجوع ولكن جسمه يحسه وعندئذ تبدو علامات النقص فى أمراض مختلفة منها هذا العشا فى الظلام أو الغبشة .

نحو الفناء ؟

تسير الحضارة الصناعية التى تشتاق إليها وتدعو لها جميع الأمم نحو الفناء الشعبى . ففى مدينة استوكهولم عاصمة أسوج مثلا يحتل نصف المنازل أفراد بلا عائلات . أى فرد واحد لكل منزل . والولايات المتحدة الأمريكية التى كانت أكثر الأمم تزايدا فى القرن التاسع عشر قد أخذ تحديد النسل فيها يتفشى . وهذا التفشى يسير بسرعة التفشى فى المصانع . حتى إن بعض الكتاب الإحصائيين يتكهن بالوقت القريب الذى ستقفل فيه بعض المدارس فى الولايات وانجلترا لقلة الأطفال الذين سيولدون فى السنوات القادمة . كما يتكهن أيضا بزيادة المعاشات التى يجب أن تتحملها خزائن الدولة للذين تزيد أعمارهم على الستين . فان من غرائب عصرنا أن الرقى الصحى قد زاد الأعمار فصار المسنون لا يموتون فى العقد السادس كما كان الشأن فى الأغلب فى القرن الماضى ، بل أصبحوا يبلغون العقد السابع أو يتجاوزونه . كما أن تكاليف المعيشة فى المدن قد جعلت الشبان يخشون الزواج المبكر وجعلت الأمهات يتوقين الحمل إلا القليل جدا .

ولكن إزاء هذه الحال ما زلنا نجد الريفيين حتى فى أسوج وانجلترا والولايات المتحدة لا يبالون كثرة الأولاد . فالمعيشة فى الريف على الرغم من قلة الرفاهية فيها — أو بالأحرى قلة الترف — لا تزال المعيشة المثلى من حيث مصلحة الأمة وتزايد سكانها أو على الأقل المحافظة عليهم من التناقص .

الزراعة واللبن

يرى كثير من أطبائنا الذين اختصوا بدرس مجتمعنا الريفي أن مسألة التغذية السيئة التي يعانيها الفقراء عامة يمكن أن تحل بتنظيم اقتصادي جديد للانتاج بحيث يصير إنتاج اللبن ومشتقاته أساس هذا التنظيم الجديد . ويستطيع ينظر هؤلاء المصلحون الى مثال دنمركا التي جعلت الزراعة تغل للزارعين ربحا لا يقل عن ربح الصناعات الراقية .

ونحن نرى أيضا هذا الرأى . فإذا توافر اللبن للفلاح استطاع أن يكمل به النقص الذى يجد فى سائر الأغذية . كما أنه باقتناء الماشية الحلوب يجد السماد لأرضه فتخصب ويجود بها الزرع . ومتى توافر اللبن ومشتقاته نقص ثمنه وأمكن الفقراء فى المدن أيضا أن يشتروه ويقوتوا به أطفالهم ويكملوا به النقص فى أغذيتهم . لأن اللبن يحوى جميع الفيتامينات . واللبن الجاموس فى مصر يمتاز على لبن البقر من حيث قلة تعرضه لعدوى السل .

وعندنا أن أولى الخطوات لإيجاد هذا النظام أن تؤدى الحكومة إعانة لاستنتاج اللبن . وذلك مثلا بشرائه وتوزيعه بالمجان على المدارس والمستشفيات والملاجئ . وثانيا بتأمين ماشية الفلاح بحيث اذا نفقت وجد عشرة جنيهات يستطيع أن يشترى بها غيرها . وبهذه الطريقة يعنى الفلاحون بإنتاج اللبن فيجدون منه الغذاء الذى يقيهم الأمراض كما يجد أبناء المدن حاجتهم منه . وفى الوقت نفسه تجد الأرض الخصوبة التى تحتاج اليها من روث الماشية .

الزراعة معيشة أم اقتصاد ؟

ليست الزراعة ميدانا اقتصاديا فقط يعمد اليه الراغب فى الربح كما يعمد إلى شراء عقار آخر أو إقامة مصنع أو متجر . لأن الزراعة زيادة على أنها تزود الزارع بالكسب إنما هى نمط من المعيشة يختلف عن النمط الذى يتبعه ساكن المدينة المتكسب بمتجره أو مصنعه .

فالزارع يعيش فى قلب الطبيعة ويحيا بحياتها ويستمتع بنضرة النبات ونمو الحيوان وصحو الجو وصفو الهواء . وهو يجد الطعام الوافر من الأطعمة الصحية كاللبن ومشتقاته والخضراوات الطازجة . كما أن عمله يحمله على الحركة والنشاط الجسمى الذى لا يترك له فرصة الخمول والترهل . ولست تجد فى الريف كله زارعا مستكرشا إلا إذا كان يعيش عالة على غيره . ولهذه الأسباب تزيد الأعمار فى الريف على ما هى عليه فى المدن . ولا عبرة بتفشى الديدان فى ريفنا ، لأن هذه الحال فى الحقيقة طارئة تعود إلى وفرة مياه الرى التى عنيت بها الحكومة فى مدى خمسين سنة لزيادة الإنتاج دون أن تحسب حسابا لما تؤدى اليه هذه

الوفرة من الرشح فى التربة وهو الرشح الذى تقص خصوبتها وزيد الديدان الفاتكة بالانسان والحيوان والنبات . وعندما تجف الأرض ستتغير هذه الحال ويعود الريف أصح مكان للإقامة .

ولكن ميزة الريف لا تقتصر هنا على توفير الصحة الجسمية للمقيم فيه ، فان الصحة النفسية أيضا تتوافر فى الريفيين الذين قلما تجد فيهم من يشكو نيوروز أى تأزم العواطف وذلك لأن الوسط الريفى يبعث على القناعة ولا يتيح للمرء أن يطمح إلى المطامع البعيدة . فهو هادئ راض ، ورضاه هذا يطيب نفسه ويهنئه بعمله وشيخوخته .

ولذلك يجب ألا نقارن بين الزراعة وبين أى عمل كاسب آخر من حيث ميزة الكسب فقط ، بل يجب أن ننظر فى ميزات المعيشة أيضا .

نصائح للشباب

هو جيست عالم نمسوى وضع كتابا قبل ثلاث سنوات بعنوان "خطاب إلى عالم مريض" عالج فيه معظم القلق الفاشى والأمراض المستعصية إلى اضطراب نفسى قد بعثته أخطاء فى المعيشة السائدة بين المتمدنين . وقد وضع هذه النصائح العشر التالية للشباب :

١ — الحياة تتجاوز المدرسة . فلا تدهش إذا أعطتك الحياة من الدرجات غير ما كانت تعطيك اياها المدرسة .

٢ — التقدم العام هو قانون الطبيعة الأول . فاذا كنت تتحدى تيارات التطور فثق بأن النتائج ستكون كارثة .

٣ — اشكر الله على مكانك فى الشمس . فانك مخلوق ضعيف خاضع لقوانين الطبيعة ولكن سخاء الطبيعة وما ورثته من تراث الأسلاف كلاهما سيمنحك القوة لأن تقف فى وجه عواصف الحياة وتحظى بالرخاء .

٤ — لا تتأخر عن المقارنة بين حقائق الحياة والحقائق التى تعلمت فى المدرسة .

٥ — لا تلم الآخرين لخيبة آمالك أو لما ينزل بك من محن أو لحالتك النفسية لأن كل هذه الاشياء إنما تعود إلى أخطائك وإهمالك .

٦ — العقل السليم فى الجسم السليم . لتكن هذه الجملة شعارك لأن أبواب السعادة إنما تتفتح لذوى العقل السليم .

٧ — إن الإنسان مخلوق بحيث ينتفع حتى بكوارثه . فاعتبر لطمات القدر دروسا مفيدة للمستقبل .

٨ — احذر التشاؤم الذى يشل النفس واذكر أن التفاؤل ينبه الذهن فى حين أن التشاؤم يهبط بك الى الحضيض .

٩ — قوانين الطبيعة ليست مقصورة على المذاهب الجافة فى الفيزيقا والمادية ، لأن فوق هذه القوانين قوانين أخرى روحية خالدة لا تمكن مخالفتها بدون الضرر الأكيد .

١٠ — تهيأ لأن تعيش حياة مستقلة ، فاعتمد على نفسك إذا شئت أن تثبت قويا فى الحياة .

نصائح للآباء

ننقل هذه النصائح العشر التالية للآباء من كتاب " خطاب إلى عالم مريض " للمؤلف النمسوى فويجيست :

١ — ليس من الضرورى القول بأنه يجب أن يحب الوالدون أبناءهم . ولكن من الضرورى أن نقول بأنه يجب ألا يسرفوا فى حبهم أو بالأحرى يجب ألا يسرفوا فى إبداء المظاهر لهذا الحب .

٢ — والمهم ألا تضحوا بكل شىء من أجل أطفالكم ، ولكن المهم أن تربوهم بحيث يمكنهم أن يثبتوا فى الحياة دون الحاجة الى مساعدتكم .

٣ — إن واجبكم يقتضيكم أن تربوهم لكى يجدوا السعادة والقناعة والحب والتسامح والسلام الروحى . وهذه الفضائل خير لهم من الشهادات الجامعية ومن المال ونحو ذلك مما تظنون أنه يكفل لهم المستقبل .

٤ — علموا أولادكم الضحك وتعلموا أنتم كيف تحيون حياة نفسية متزنة .

٥ — لاتكلفوا أبناءكم القيام بواجبات تجاوز مقدرتهم العقلية ، بل اعتدلوا فى تكليفهم .

٦ — إن أعظم مايصدم أبناءكم أن يروكم بدون الهالة التى رسموها فى مخيلتهم عنكم .

٧ — لايتشاجر الزوجان فى حضور الأطفال . ولاتجعلوا الأطفال يشهدون أية مشاجرة عائلية .

٨ — لاتشتموا — وأكثر من ذلك — لاتضربوا أبناءكم إلا لأسباب قوية . وأيضا لاتغروهم بالوعود والهدايا لكى يطيعوكم .

٩ — المبدأ المرشد فى تربية الاطفال أن تقطعوا العادة السيئة فى بدايتها . ومع غرابة ما أقول هنا يجب أن نذكر أن استئناس الجواد يقدم لنا المثال الحسن فى تربية الأطفال . لأننا عندما نعالج الجواد فى بداية تعليمه من عاداته السيئة كالعناد والعصيان يسير سائر حياته كالحمل الوديع ، فى حين أن العادة السيئة الثابتة يكاد يكون من المستحيل تغييرها .

١٠ — الحب ، بل الحب الذى لاحد له ، هو شعار التربية الحسنة ويجب أن يكون هذا الحب عميقا حتى يؤدى بالآباء الى عقوبة أبنائهم أحيانا حين تقتضى الضرورة .

الكذب والصحة النفسية

من المؤكد أن للحال النفسية أثرا سيئا أو حسنا فى أحوال الجسم من مرض أو صحة. كما أن لسلوكنا العام أو لطراز الحياة التى نتخذ فى هذا السلوك أثرا فى نفسيتنا . فالرجل القانع بمعيشته الصريح فى أخلاقه الشجاع الذى لايخشى المستقبل يحظى بنفسية هادئة راضية . ثم تؤثر هذه النفسية فى جسمه وتفيده الصحة . ولكن الرجل الذى تمادى به المطامع ويبقى على الدوام فى خشية من المستقبل تؤثر فيه هذه الحالة بالقلق النفسى الذى يؤثر هو أيضا فى صحة جسمه.

ولذلك يمكن أن نعد الكذب و بعض الرذائل الأخرى أساسا للاضطراب النفسى والمرض الجسمى ، فإن الكذاب يكتم عواطفه و يكلف نفسه حياة مزدوجة . وهذه حال اضطراب تنطوى على كراهة الواقع والخوف منه وتجنبه .

وهناك ماهو دون الكذب وما هو أخطر منه من الرذائل التى تحدث كظما فى النفس لأن صاحبها يتجنب الصراحة و يتهرب من الواقع . وكل كظم مضر ، ونحن نستعمل « الكظم » هنا لإخفاء عواطف تحمل صاحبها عبئا ثقيلا مرهقا .

أرض الضواحى

أرض الضواحى للمدن هى أرض زراعية تستحيل بمرور السنين والتقدم العمرانى فى المدن الى أرض بنائية. فتزيد أثمانها من مائة جنيه مثلا الى ٤٠٠٠ جنيه أو أكثر للفدان. وليس لصاحب الأرض أى فضل فى هذه الزيادة التى تعزى فى الواقع إلى نمو المدينة فقط .

ولذلك تعمد المجالس البلدية فى جميع الأمم الراقية الى شراء الأرض المحيطة بالمدن بأثمانها الزراعية ثم تقسمها وتبيعها للراغبين فى البناء أو تبنى هى بنفسها المنازل عليها للعمال وغيرهم . مثال ذلك أن مدينة زوريخ فى سويسرا تملك ٣٣٠٠ فدان حول المدينة كما تملك ثلث المنازل فى هذه المدينة . ومدينة استوكهولم فى أسوج تملك ٨٠٪ من أرض الضواحى وثلث المنازل فى المدينة .

وحركة بناء المنازل من أعظم الحركات الاجتماعية التى قامت بها الأمم الديمقراطية عقب الحرب الماضية. وهى بالطبع لم تكن لتستطيع هذا البناء لملايين المنازل لولا أنها كانت تشترى الأرض — على يد مجالسها البلدية — بأثمان زراعية ثم تبنيها وتبيعها منازل فخمة متينة أو تؤجرها.

وتحسن حكومتنا اذا هى درست هذا الموضوع بغية منع الأرباح الزائدة عن غير مستحقيها وإيجاد عقارات تغنى المجالس البلدية عن الحاجة الدائمة الى المال .

أمراض الزوجين

يقول الدكتور أنطونيو شوكو (فى الولايات المتحدة الأمريكية) إن الزوجين كثيرا ما يشتركان فى المرض الذى يمرضان به أو الذى يموتان به . وبدهى أن العلة فى هذا الاشتراك قد ترجع إلى أن المرض مكروبى فتنتقل العدوى من أحد الزوجين إلى الآخر ولكن هـذه الحالات قليلة جدا بل نادرة . ولا يمكن أن نعتمد عليها إلا فى مرض قوى العدوى مثـل التدرن .

ولكن هناك أمراضا غير معدية أو أن العدوى فيهـا ضعيفة تصيب كلا من الزوجين فى أحيان كثيرة مثل السرطان وأمراض القلب والانفلوانزا . وتعليل هذا الاشتراك فى الأمراض يمكن أن نرجعه إلى فرضين :

الفرض الأول أن الزوجين يعيشان معا فى وسط واحد من حيث الغذاء والظروف البيئية الأخرى . فاذا كان الوسط سببا لمرض أحدهما فهو بالطبع سبب لمرض الآخر . فان هناك عادات يتبعها أحد الناس فى معيشته من حيث الانغماس فى الطعام أو كراهة الهواء الطلق أو التدفئة المفرطة أو النظافة فاذا كانت إحدى هذه العادات سببا لمرض ما فان الأغلب أن الزوج الآخر يقع فى هذا المرض نفسه لأنه يشارك زوجه فى عاداته . ولهذا السبب قلما نجد زوجا مريضا بالديابيطس (البول السكرى) إلا ونجد زوجته كذلك مريضة به ، لأن مرجعه إلى عادات سيئة فى الإكثار من الطعام الدسم أو النشوى . وما دام كلاهما يأكل على مائدة واحدة لا يتركها الا عند ما ينتهى الآخر فإن المرض يصيبهما على السواء . وكذا الشأن فى أمراض أخرى .

ولكن هناك تعليلا آخر . ذلك أن الزوج يختار زوجته من طرازه قواما وتقاسيم . ومن المسلم به أن هناك أمراضا تصيب طرازا معينا من الناس . فإذا أصيب الزوج بمرض ما كان من المرجح أن تصاب الزوجة به كذلك لأنها من طراز زوجها وبها استعداد للمرض الذى وقع فيه .